

# فيض العنقا في إرفاء الفضائل

للإمام الخافظ أبي حاتم محمد بن حَبَّان البُسْتِي  
المتوفى سنة ٣٥٤ من الهجرة وهو في عشر الثمانين  
رحمه الله



بتحقيق وتصحيح

محمد يحيى الدين عبد الحميد  
عفا الله عنه

محمد حامد الفقي	محمد عبد الرزاق حمزة
رئيس جماعة أنصار السنة المتمدنة	للدروس بالمسجد الحرام



١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م



٧٩٠١٧





## ترجمة الإمام ابن حبان<sup>(١)</sup>

أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمي - كذا  
نسبه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخاري ، المعروف بفتحجار ، وواقعه غيره  
إلى معبد - ثم قال : ابن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله  
ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَافَة بن تميم بن مرّ بن أذ بن  
طابخة بن إلياس بن مضر -

الإمام العلامة الفاضل المتقن ، كان كثيراً من الحديث والرحلة ، والشيوخ ،  
عالماً بالتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره . ومن تأمل  
تصانيفه تأملَ منصفٍ علم أن الرجل كان مجراً في العلوم .

سافر ما بين الشاش والإسكندرية ، وأدرك الأئمة والعلماء ، والأسانيد  
العالية ، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه : عن إمام الأئمة أبي بكر بن  
خزيمة ، ولازمه وتلذّذ له ، وصارت تصانيفه عدّة لأصحاب الحديث ، غير أنها  
عزيزة الوجود .

جمع يلبده بسّ : أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضي ، وأما الحسن محمد  
ابن عبد الله بن جنيد البستي .

وبهراة : أبا بكر محمد بن عثمان بن سعد الدارمي .

وبمرو : أبا عبد الله وأما عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي ،  
وأما يحيى محمد بن يحيى بن خاله اللديني .

(١) عن معجم البلدان لياقوت ( ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٨ ) .

و بقرية سنج : أبا علي الحسين بن محمد بن مصعب السنجي ، وأبا عبد الله محمد بن نصر بن ترقل الهورقاني .

و بالصفد بما وراء النهر : أبا حفص عمر بن محمد بن يحيى المزداني .  
و بفسا : أبا العباس الحسن بن سفيان الشيباني ، ومحمد بن عمر بن يوسف ، ومحمد بن محمود بن عدي التسييني .

و بنيسابور : أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج النخعي ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه الأزدي .

و بأرغيان : أبا عبيد الله محمد بن المسيب بن إسحاق الأرغواني .  
و بخرجان : عمران بن موسى بن مجاشع ، وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الوزان الجرجانيين .

و بإزى : أبا القاسم العباس بن الفضل بن عاذان المقرئ ، وعلي بن الحسن بن مسلم الرازي .

و بالكركج : أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ ، والحسين ابن إسحاق الأصهباني .

و بمسكر مسكرم : أبا محمد عبد الله بن محمد بن موسى الجواليقي ، المعروف ببندان الأهوازي .

و بفسر : أبا جعفر محمد بن محمد بن يحيى بن زهير الحافظ .

و بالأهواز : أبا العباس محمد بن يعقوب الخطيب .

و بالابلة : أبا يعلى محمد بن زهير ، والحسين بن محمد بن بسطام الأبليين .

و بالبصرة : أبا خليفة الفضل بن الحبيب الجعفي ، وأبا يعلى زكرياء بن يحيى الساجي ، وأبا سعيد عبد الكريم بن عمر الخطابي .

وبواسط : أبا محمد جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، والخليل بن محمد  
الواسطي ابن بنت تميم بن المنتصر .

وبنم الصُّلَح : عبد الله بن قُحطبة بن مرزوق الصلحي .

وبنهر سائب ، قرية من قرى واسط : خلاد بن محمد بن خالد الواسطي .

وبغداد : أبا العباس حامد بن محمد بن شعيب البلخي ، وأبا أحمد الهيثم بن  
خلف الدوري ، وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي .

وبالكوفة : أبا محمد عبد الله بن زيدان البجلي .

وبمكة : أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه ، صاحب  
كتاب الإشراف في اختلاف الفقهاء ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم  
الجفدي .

وبسامرا : علي بن سعيد العسكري - عسكر سامرا .

وبالموصل : أبا علي أحمد بن علي بن المثنى الموصل ، وهارون بن المسكين

البلدي ، وأبا جابر زيد بن علي بن عبد العزيز بن حيان الموصل ، وروح بن  
عبد المجيد الموصل .

وببلد سنجار : علي بن إبراهيم بن الهيثم الموصل .

وبنصيبين : أبا السري هاشم بن يحيى النصيبيني ، ومسدد بن يعقوب بن  
إسحاق القلوسى .

وبكفرتوت ، من ديار ريعة : محمد بن الحسين بن أبي معشر السلي .

وبسرغامرطا ، من ديار مضر : أبا بدر أحمد بن خالد بن عبد الملك بن

عبد الله بن مسرح الخزائي .

وبالرافقة : محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البندادي .

وبالرقّة : الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان .  
 وبمجنّج : عمر بن سعيد بن سنان الحافظ ، وصالح بن الأصمغ بن عامر التنوخي .  
 وبجلب : علي بن أحمد بن عمران الجرجاني .  
 وبالمصيصة : أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيمي .  
 وبأنطاكية : أبا علي وصيف بن عبد الله الحافظ .  
 وبطرسوس : محمد بن يزيد الدورقي ، وإبراهيم بن أبي أمية الطرسوسي .  
 وبأذنة : محمد بن علان الأذني .  
 وبصيدا : محمد بن أبي المعافى بن سليمان الصّيدآوي .  
 وببيروت : محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي المعروف بمكحول .  
 وبجهمص : محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعي الراهب .  
 وبدمشق : أبا الحسن أحمد بن عمير بن خوصاء الحافظ ، وجعفر بن أحمد  
 ابن عاصم الأنصاري ، وأبا العباس حاجب بن أركين القرقاني الحافظ .  
 وباليبت المقدس : عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسي الخطيب .  
 وبالرملة : أبا بكر محمد بن الحسن بن قتيبة الصفحاني .  
 وبمصر : أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، وسعيد بن داود  
 ابن وردان المصري ، وعلي بن الحسين بن سليمان المعدل .  
 وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم .  
 وروى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وأبو عبد الله بن منته الأصبهاني ،  
 وأبو عبد الله محمد بن أحمد التجار الحافظ البخاري ، وأبو علي منصور بن عبد الله  
 ابن خالد الذهلي المروزي ، وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعي ، وجعفر  
 ابن شعيب بن محمد السمرقندي ، والحسن بن منصور الإسبيجاني ، والحسن بن  
 محمد بن سهل القارسي ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزني ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خُثَّام الشَّروطى ، وجماعة كثيرة لا نحصى .

أخبرنا القاضى الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصارى الحرَّستانى - إذنا - عن أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامى عن أبي عثمان سميد البحترى قال : سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول :

أبو حاتم البستي القاضى كان من أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ ، ومن عتلاء الرجال ، صنف ، فخرج له من التصنيف فى الحديث ما لم يُسبق إليه ، وولى القضاء بسمرقند وغيرها من المدن . ثم ورد نيسابور سنة ٣٣٤ و حضرناه يوم الجمعة بعد الصلاة ، فلما سألناه الحديث نظر إلى الناس ، وأنا أصغروهم سناً - فقال : استمل ، فقلت : نعم ، فاستملت عليه ، ثم أقام عندنا ، وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها ، وانصرف إلى وطنه ، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته .

أخبرنا أبو العين زيد بن الحسن الكندى - شَقَّاهَا - قال : أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقي - إذنا - عن أبي بكر أحمد بن على بن ثابت - كتابة - قال : ومن الكتب التى تكثر مناقبها ، إن كانت على قدر ما ترجحها به واضعوها : مصنفات أبي حاتم محمد بن حبان البستي التى ذكرها لى مسعود بن ناصر السجزي ، ووقفى على تذكرة بأسمائها ، ولم يقدر لى الوصول إلى النظر فيها ، لأنها غير موجودة بيننا ، ولا معروفة عندنا ، وأنا أذكر منها ما استحسنته ، سوى ما عدلت عنه وأطرحتة .

فمن ذلك : كتاب الصحابة ، خمسة أجزاء . وكتاب التابعين : اثنا عشر جزءا . وكتاب أتباع التابعين : خمسة عشر جزءا . وكتاب تبع الأتباع : سبعة عشر جزءا ، وكتاب تبع تبع : عشرون جزءا . وكتاب الفصل بين القلة :

عشرة أجزاء . وكتاب العلل ، علل أوهم أصحاب التواريخ : عشرة أجزاء . وكتاب  
 علل حديث الزهري : عشرون جزءا . وكتاب علل حديث مالك : عشرة أجزاء .  
 وكتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه : عشرة أجزاء . وكتاب علل ما استند إليه  
 أبو حنيفة : عشرة أجزاء . وكتاب ما خالف الثوري [فيه] شعبة : ثلاثة أجزاء .  
 وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن : عشرة أجزاء . وكتاب ما انفرد به  
 أهل مكة من السنن : عشرة أجزاء ، وكتاب ما عند شعبة عن قتادة ، وليس عند  
 سميد عن قتادة : جزءان ، وكتاب غرائب الأخبار : عشرون جزءا . وكتاب  
 ما أغرب [فيه] الكوفيون عن البصريين : عشرة أجزاء . وكتاب ما أغرب  
 البصريون [فيه] عن الكوفيين : ثمانية أجزاء ، وكتاب أسامي من يُعرف  
 بالكنية : ثلاثة أجزاء . وكتاب كُنَى من يعرف بالأسامي : ثلاثة أجزاء .  
 وكتاب الفصل والوصل : عشرة أجزاء . وكتاب التمييز بين حديث النضر  
 الخدافي والنضر الحزاز : جزءان . وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك  
 وأشعث بن سوار : جزءان ، وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر  
 ومنصور بن راذان : ثلاثة أجزاء . وكتاب الفصل بين مكحول الشامى  
 ومكحول الأزدي : جزء . وكتاب موقوف ما رفع : عشرة أجزاء . وكتاب  
 آداب الرجال : جزءان . وكتاب ما أسند جُفاعة عن عباد : جزء . وكتاب  
 الفصل بين حديث ثور بن زيد وثور بن يزيد : جزء ، وكتاب ما جعل  
 عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر : جزءان . وكتاب ما جعل شيبان سفيان ،  
 أو سفيان شيبان : ثلاثة أجزاء ، وكتاب مناقب مالك بن أنس : جزءان ، وكتاب  
 مناقب الشافعي : جزءان ، وكتاب المعجم على المدن : عشرة أجزاء ، وكتاب القلقين  
 من الحجازيين : عشرة أجزاء . وكتاب القلقين من العراقيين : عشرون جزءا .  
 وكتاب الأبواب المخرقة : ثلاثون جزءا . وكتاب الجمل بين الأخبار للتضادة :



جزءان ، وكتاب وصف المعدل والمعدل : جزءان . وكتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا : جزء . وكتاب وصف العلوم وأنواعها : ثلاثون جزءا . وكتاب الهداية إلى علم السنن ، قصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه ، يذكر حديثنا ويترجم له ، ثم يذكر مَنْ ينفرد بذلك الحديث ، ومن مقاريد أي بلد هو ؟ ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبته ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ، ثم يذكر مافي ذلك الحديث من الفقه والحكمة . فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما . وإن تضاد لفظه في خبر آخر تلطفت للجمع بينهما حتى يعلم مافي كل خبر من صناعة الفقه والحديث معا . وهذا من أنبل كتبه وأعزها .

قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر - يعني السجزي - فقلت له : أكل هذه الكتب موجودة عندهم ، ومقدور عليها ببلاذكم ؟ قال : إنما يوجد منها الشيء اليسير ، والقرّر الحقيق . قال : وقد كان أبو حاتم بن حبان سبّل كتبه ووقفها ، وجمعها في دار رسمها بها . فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوي القيث والتساد ، على أهل تلك البلاد .

قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ ، ويتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ، ويحفظوها ، إخراجا لها . ولا أحسب المانع من ذلك إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم عنه ، وعدم بصيرتهم به . والله أعلم .

قال الإمام تاج الإسلام : وحصل عندي من كتبه بالإسناد المتصل سماعا : كتاب التقسيم والأنواع : خمس مجلدات ، قرأتها على أبي القاسم الشحام . عن أبي الحسن البجائي عن أبي هارون الزوزني عنه . وكتاب روضة العقلاء

[ وهو هذا ] فرائده على حنبل السَّجَزِي عن أبي محمد التوني عن أبي عبد الله الشروطلى عنه .

وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب ، مثل كتاب الهداية إلى علم السنن ، من أوله قدر مجلدين .

وله - وهو أشهر من هذه كلها - كتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، أدرك عليه في كتاب التقاسيم .  
 قال : في أربع ركعات يصلحها الإنسان سنائة سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرجناها بنصولها في كتاب صفة الصلاة ، فأغنى ذلك عن نظمها في هذا النوع من هذا الكتاب .

قال أبو مسد : سمعت أبا بكر وجيه بن طاهر الخطيب ، بقصر الرمح ، سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي ، سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون سمعت عبد الله بن محمد الأسترايذى يقول : أبو حاتم بن حبان البستي كان على قضاء سمرقند مدة طويلة ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار والمشهورين في الأمصار والأقطار ، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم . أنت كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضمائم والكتب الكثيرة من كل فن .

أخبرتني الحرة زينب الشمرية - إذنا - عن زاهر بن طاهر ، عن أحمد بن الحسين الإمام ، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للتراباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمفتحة ، ولهم جرايات يستنفقونها ، داره ، وفيها خزانة كتبه في يدي وصى ، سلمها إليه ليبدلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة ، من غير أن يخرجها منها ، شكر الله له عنايته في تصنيفها ، وأحسن مثوبته على جميل نية في أمرها بفضل ورافته ! .

وأخبرني القاضي أبو القاسم الحرستاني في كتابه ، قال : أخبرني وجهه بن طاهر الخطيب بقصر الرمح - إذنا - سمعت الحسن بن أحمد الحافظ سمعت أبا بشر النيسابوري يقول : سمعت أبا سعيد الأديسي يقول : سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري - الرجل الصالح بمرقند - يقول : كنا مع أبي بكر محمد ابن إسحاق بن خزيمة في بعض الطريق من نيسابور ، وكان معنا أبو حاتم البستي ، وكان يسأله ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة : يا بشارد ، تنح عني ، لا تؤذيني ، أو كلمة نحوها ، فكتب أبو حاتم مقالته ، فقيل له : تكتب هذا ؟ فقال : نعم أكتب كل شيء يقوله .

أخبرني الخطيب أبو الحسن السديدي - مشافهةً - بمَرَوَ - قال : أخبرني أبو سعد - إذنا - أخبرنا أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي - إجازة - سمعت والدي سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ - وذكر كتاب الجرحين لأبي حاتم البستي ، فقال : كان لعمر بن سعيد ابن سنان التميمي ابن رَحْلٍ في طلب الحديث ، وأدرك هؤلاء الشيوخ ، وهذا تصفيه - وأساء القول في أبي حاتم .

قال الحاكم : أبو حاتم كبير في العلوم ، وكان يُحمد لفضله وتقدمه . وقلت من خط صديقنا الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمي الحديثي - وذكر أنه نقله من خط أبي الفضل أحمد بن علي بن عمرو السليمانى البَيْهَكنَدى الحافظ من كتاب شيوخه - وكان قد ذكر فيه ألف شيخ في باب السكذابين - قال : وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي ، قدم علينا من سمرقند سنة ٣٣٠ أو سنة ٣٢٩ ، فقال لي أبو حاتم سهل بن السري الحافظ : لا تكتب عنه ، فإنه كذاب . وقد صنف لأبي الطيب المصعبي كتاباً في القرامطة حتى قلبه قضاء سمرقند ، فلما أخبر أهل سمرقند بذلك أرادوا أن

يقتله ، فهرب ودخل بخارى ، وأقام دلالاً في البرازين ، حتى اشترى له ثياباً بخمسة آلاف درهم إلى شهرين وهرب في الليل ، وذهب بأموال الناس .

قال : وسمعت السليمانى الحافظ بنيسابور قال لى : كتبت عن أبى حاتم البستي ؟ فقلت : نعم . فقال : إياك أن تروى عنه . فإنه جاءنى فكتب مصنفاتى ، وروى عن مشايخى ، ثم إنه خرج إلى سجستان بكتابه فى القرامطة ، إلى ابن بابو ، حتى قبله وقلده أعمال سجستان ، فأت به .

قال السليمانى : فرأيت وجهه وجه الكذابين ، وكلامه كلام الكذابين . وكان يقول : يا بني ، اكتب : أبو حاتم محمد بن حبان البستي إمام الأئمة ، حتى كتبت بين يديه ، ثم محوته ، قال أبو يعقوب إسحاق بن أبى إسحاق القرّاب : سمعت أحمد بن محمد بن صالح السجستاني يقول : توفى أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان سنة ٣٥٤ .

وعن شيخنا أبى القاسم الحرستاني عن أبى القاسم الشحامى عن أبى عثمان سعيد ابن محمد البهترى سمعت محمد بن عبد الله الضبي يقول : توفى أبو حاتم البستي ليلة الجمعة لثمان ليالٍ يقين من شوال سنة ٣٥٤ .

ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصُّنَّة التى ابتناها بمدينة بُسْت بقرب داره . وذكر أبو عبد الله الفُتُجَار الحافظ فى تاريخ بخارى : أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤ وقبره ببُست معروف إلى الآن يزار ، فإن لم يكن نقل من سجستان إليها بعد الموت ، وإلا فالصواب أنه مات ببست .

## مسند الكتاب إلى المؤلف

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي أدام الله نأيله وأجره من كل خير مزيده ! في شهر سنة اثنتين وستائة .  
قال : حدثنا الأمير القاضي الإمام عمدة الدين معين الإسلام ناصر السنة أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد البوسنجي من لفظه ببوسنج<sup>(١)</sup> في شهر سنة اثنتين وستين وخمسمائة .  
قال : أخبرنا الشيخ الإمام العالم الزاهد عفيف الدين أبو جعفر حنبل بن علي بن الحسين البخاري الصوفي السني ، رحمه الله !  
قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد القوي<sup>(٢)</sup> سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشروطي .  
قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، رضي الله عنه ! قال :

---

(١) بالنسبة المهمة من قرى ترمذ ، وبالشين المعجمة بليدة من نواحي هرات .  
(٢) التوفي : نسبة إلى تون ، مدينة من ناحية قهستان قرب قائن ، حكاه ياقوت ونسب إليها أبا محمد هذا ، وذكر روايته عن شيخه الشروطي .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنفرد بوحداية الألوهية ، المتمرزة بعظمة الربوبية ، القاسم على نفوس العالم بأجلالها ، والعالم بقلوبها وأحوالها ، المأن عليهم بتواتر آلائه ، المتفضل عليهم بسوانح نعماته ، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير ، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير ، فضت فيهم بقدرته مشيئته ، وغذت فيهم بمرته إرادته ، فألمهم حسن الإطلاع ، وركب فيهم تشعب الأخلاق ، فهم على طبقات أقدارهم يشون ، وعلى تشعب أخلاقهم يدورون ، وفيما قضى وقدر عليهم يهيئون ( ٥٣: ٢٣ كل حزب بما لديهم فرحون ) .

وأشهد أن لا إله إلا الله فاطر السموات والأرض ، ومنشئ الأرضين والثرى ، لا تمتد لحكمه ولا راد لقضائه ( ٢٣: ٢١ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ) وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ، ورسوله المرتضى ، بعثه بالنور المضيء ، والأمر المرضي ، على حين فترة من الرسل ، ودروس من السبل ، فدمع به الطغين ، وأكل به الإيمان ، وأظهره على كل الأديان ، وقع به أهل الأوثان ، فصلى الله عليه وسلم مادار في السماء فلك ، وما سبح في الملكوت ملك ، وعلى آله أجمعين .

أما بعد ، فإن الزمان قد تبين للمافل تنبيهه ، ولاح للبيب تهديده ، حيث يسر ضرعته بعد الفزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، وتحل عوده بعد الرطوبة ، وبشع مذاقه بعد المذوبة ، فنيغ فيه أقوام يدعون التمكن من العقل باستعمال ضد ما يوجب العقل : من شهوات صدورهم ، وترك ما يوجب نفس العقل بهجسات

قلوبهم ، جعلوا أساس العقل الذى يعقدون عليه عند المضلات : التفارق والمداهنة . وفروعه عند ورود الثائبات : تحسن اللباس والنصاحة ، وزعموا أَنَّ مَنْ أَحْكَمَ هذه الأشياء الأربع فهو العاقل ، الذى يجب الاقتداء به ، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأثوك<sup>(١)</sup> الذى يجب الازورار عنه<sup>(٢)</sup> .

فلما رأيت الرعاع<sup>(٣)</sup> من العالم يفترقون بأفعالم ، والمهيج من الناس يفتنون بأشالمهم ، دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف ، يشتمل متضمنه على معنى لطيف ، مما يحتاج إليه العقلاء في أيامهم ، من معرفة الأحوال في أوقاتهم ، ليكون كالنذكرة لذوى الحجة<sup>(٤)</sup> عند حضرتهم ، وكالمعين لأولى النهى عند غيبتهم ، يفوق العالم به أقرانه ، والحافظ له أترابه ، يكون النديم الصادق للعاقل في الطلوات ، والمؤنس الحافظ له في الثلوات ، إن حصَّ به من يجب من إخوانه ، لم يفتقده من ديوانه ، وإن استبدَّ به دون أوليائه ، فاق به على نظرائه .

أُتِيتُ فيه ما تحسُّنُ للعاقل استعماله من الاتصال المحمودة ، ويقبح به إتيائه من الخلال المذمومة ، مع القصد في لزوم الاختصار ، وترك الإمعان في الإكثار ، ليخفَّ على حامله ، وتعيه أذنُ مستمعه ، لأن فنون الأخبار ، وأنواع الأشغال ، إذا استقصى المجتهد في إطالتها ، فليس يرجو النهاية إلى غايتها ، ومن لم يبرح<sup>(٥)</sup> التحكُّم من الكمال في الإكثار ، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار .

والله الموفق للسداد ، والمهتدى إلى الرشاد ، وإياه أسأل إصلاح الأسرار ، وترك المعاقبة على الأوزار ، إنه جواد كريم ، روف رحيم .

(١) الأثوك : أى الأحمق .

(٢) الازورار : الاتقياض والتباعد .

(٣) الرعاع : أى الجهالة والدعاء (٤) الحجة : بالكسر مقصوراً - العقل .

والنهي : جمع نهي - بالضم - وهى العقل أيضاً

## ذكر الحث على لزوم العقل

### وصفة العاقل اللبيب

حدثنا محمد بن يوسف بن مطر حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبْوَةَ حدثنا أحمد بن يونس حدثنا فضيل بن عياض عن محمد بن نور عن مَمَرٍ عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مُكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَيَكْرَهُ سَفَافَهَا <sup>(١)</sup> » .

قال أبو حاتم : لست أحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم خبراً صحيحاً في العقل ؛ لأنَّ أبا نَافَةَ بنَ أَبِي عِيَّاشٍ ، وَسَلَمَةَ بنَ وَرْدَانَ ، وَعُمَيْرَ بنَ عِمْرَانَ ، وَعَلَى بنَ زَيْدٍ ، وَالْحَسَنَ بنَ دِينَارٍ ، وَعَبَّادَ بنَ كَثِيرٍ ، وَمَيْسَرَةَ بنَ عَبْدِ رَبِّهِ ، وَدَاوُدَ ابنَ الْحَجَّارِ ، وَمَنْصُورَ بنَ صَفْرِ وَذَوَيْهِمْ ، لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ، فَأَخْرَجَ مَا عَنْهُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي الْعَقْلِ <sup>(٢)</sup> .

وإنَّ حُبَّ الْمَرْءِ الْمُسَكَّرِ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَكَرَاهَتَهُ سَفَافَهَا هُوَ نَفْسُ الْعَقْلِ .  
فَالْعَقْلُ بِهِ يَكُونُ الْخَطُّ ، وَيُؤْنَسُ الْغَرَبَةُ ، وَيَتَنَبَّئُ الْفَاقَةُ ، وَلَا مَالٌ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَا يَتَمَّ دِينَ أَحَدٌ حَتَّى يَتَمَّ عَقْلَهُ .

والعقل : اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب ، والعلم باجتناب الخطأ ، فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل إذا دخل في أول حدِّ الدماء قيل له : شيطان ، فإذا عَتَا في الطغيان قيل : مَارِدٌ ، فإذا زاد على ذلك قيل : عَابِقَرِي <sup>(٣)</sup> ، فإذا جمع إلى خُبْنِهِ شِدَّةٌ شَرٌّ قيل : عَفْرِيت

(١) سفافها : أي دنيئها وخسيسها (٢) أي أن هؤلاء الضعفاء والمبروحين رَوَوْا أَحَادِيثَ فِي فَضْلِ الْعَقْلِ لَا يَرَاهَا الْمُؤَلَّفُ حُجَّةً لِسُقُوطِ رَوَاتِهَا

(٣) عبقري : نسبة إلى عبقر ، وهو مسكن الجن في زعم العرب ، وهم ينسبون كل ما يتعاطفونه ويرونه فوق متناولهم إلى عبقر



وكذلك الجاهل ، يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيق ، ثم الأثوك ، ثم الأحنى .

وأفضل مواهب الله لعباده العقل ، ولقد أحسن الذى يقول :  
وأفضل قسم الله للمرء عقله      فليس من الخيرات شيء يقاربه  
إذا أكل الرحمن للمرء عقله      فقد كملت أخلاقه وما ربه  
يميش القتي في الناس بالعقل ، إنه      على العقل يحمرى علمه وتجاربه  
يزيد القتي في الناس جودة عقابه      وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا أحمد بن سيار حدثنا حبيب الجلاب  
قال : قيل لابن المبارك « ما خير ما أعطى الرجل ؟ قال : غريزة عقل ، قيل :  
فإن لم يكن ؟ قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح يستشير ،  
قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صنت طویل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل »  
أخبرنا محمد بن داود الرازي حدثنا محمد بن حميد حدثنا ابن المبارك قال  
« سئل عقيل : ما أفضل ما أعطى العبد ؟ قال : غريزة عقل ، قال : فإن لم يكن ؟  
قال : فأدب حسن ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأخ شفيق يستشير ، قال : فإن لم  
يكن ؟ فطول صنت ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فوت عاجل »

قال أبو حاتم : العقل نوعان : مطبوع وسموع ، فالمطبوع منها كالأرض ،  
والسموع كالبذر والماء . ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون  
أن يرد عليه العقل المسموع ، فينبه من رقدته ، ويطلقه من مكانه ، كما يستخرج  
البذر والماء ما في قعر الأرض من كثرة الرّيح .

فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض ، والعقل  
للسموع من ظاهره كتندي ثمرة الشجرة من فروعه .  
أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

رَأَيْتَ الْعَقْلَ نَوْعَيْنِ      فِقْطُبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ      إِذَا لَمْ يَكْ مَقْبُوعٌ  
كَأَلَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ      وَضَوْءُ الْمَيِّتِ مَمْنُوعٌ

أخبرنا القطان بالرقعة حدثنا موسى بن مروان حدثنا بقية عن عبد الله بن حسان.  
حدثني ابن عامر، قال : قلت لعطاء بن أبي رباح « يا أبا محمد ، ما أفضل ما أعطى  
العبد ؟ قال : العقل عن الله »

أُنشِدْنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنَعَانِي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَكَرَاشَ :  
يَزِينُ الْقَتَى فِي النَّاسِ حُجَّةَ عَقْلِهِ      وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَايِسُهُ  
يَبْسِيطُ الْقَتَى فِي النَّاسِ خُفَّةَ عَقْلِهِ      وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَتَنَسَبُهُ  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فَأَلْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ : أَنْ يَكُونَ بِمَا أَحْيَا عَقْلَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ  
أَكَلَفَ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ بِمَا أَحْيَا جَسَدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ ، لِأَنَّ قُوَّةَ الْأَجْسَادِ الْمَطَاعِمَ ، وَقُوَّةَ  
الْعَقْلِ الْحَكْمَ ، فَكَمَا أَنَّ الْأَجْسَادَ تَمُوتُ عِنْدَ فَقْدِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، كَذَلِكَ  
الْعُقُولُ إِذَا فَقَدَتْ قُوَّتَهَا مِنَ الْحِكْمَةِ مَاتَتْ .  
وَالْتَقَلَّبَ فِي الْأُمُصَارِ وَالْإِعْتِبَارِ بِخَلْقِ اللَّهِ عَمَّا يَزِيدُ الْمَرْءَ عَقْلًا ، وَإِنْ عَدِمَ الْمَالُ  
فِي تَقْلِبِهِ .

أُنشِدْنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَقَاتِلِي :  
إِنْ ذَا الْعَقْلِ يَرَى غِنَاهُ لَهُ      عَدَمَ الْمَالِ ، إِذَا مَا الْعَقْلُ صَحِ  
مَا عَلَى الْمَرْءِ يَعْدُمُ سُبَّةٌ      إِنْ وَفَا الْعَقْلُ ، وَإِنْ دِينَ صَلَحَ  
أخبرنا محمد بن السيب حدثنا أحمد بن إسماعيل المدني قال : سمعت حاتم بن  
إسماعيل يقول « ما استودع الله عقلاً عبداً إلا استغفنه به يوماً ما »

(١) حفظي \* رأيت العقل عقليْن \*  
(٢) أكلف : أي أشد كلفاً ، والكلف : الحبة

قال أبو حاتم : العقل دواء القلوب ، ومَطيّة المجتهدين ، وبذر حراثة الآخرة ، وتاج المؤمن في الدنيا ، وعُدّته في وقوع النوائب ، ومن عدم العقل لم يزده السلطان عزا ، ولا لال يرفسه قدراً ، ولا عَقْلَ لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه ، فكما أن أشد الزمّانة الجهل ، كذلك أشد الفاقة عدم العقل .

والعقل والهوى متعاديان ، فالواجب على المرء : أن يكون رأيه مُستغفاً<sup>(١)</sup> ، وهواه مسوّفاً<sup>(٢)</sup> . فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربها من هواه ؛ لأن في مجانبته الهوى إصلاح السمائر ، وبالعقل تصلح الضائر .

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري ثنا<sup>(٣)</sup> ثنا محمد بن عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني ، قال : قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من العرب عمرٌ دهرأ « أخبرني بأحسن شيء رأيته ، قال : عقل طُلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة »

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :  
إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أياديه ، وتم بناؤه  
فإن لم يكن عقل تبين نقصه ولو كان ذا مال كثيراً عطاؤه  
أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو كامل الجحدري<sup>(٤)</sup> حدثنا عمران بن خالد الخزازي قال : سمعت الحسن<sup>(٥)</sup> يقول « ما تم دينٌ عبداً قط حتى يتم عقله »  
قال أبو حاتم : أفضل ذوى العقول منزلة أدومهم لنفسه محاسبة ، وأقلهم عنها فقرة .

فبالعقل تعمر القلوب ، كما أن بالعلم تستخرج الأحلام ، وعود السمادة العقل ،

---

(١) مستغفاً : معينا مساعداً (٢) التسوييف : التأخير عن كسل (٣) ياض بالأصل (٤) اسمه : فضيل بن حسين (٥) هو ابن أبي الحسن البصري

ورأس العقل الاختيار ، ولو صور العقل صورة لأظلمت معه الشمس لنوره ، فـقرب العقل مَرَجُوْ خيره على كل حال ، كما أن قرب الجاهل تخوف شره على كل حال .

ولا يجب للعقل أن يقم ؛ لأن العم لا ينفع ، وكثرته تُزري بالعقل ، ولا أن يحزن ؛ لأن الحزن لا يرُدُّ المَرَوْنَةَ <sup>(١)</sup> . ودوامه ينقص العقل .

والعقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه ، فإذا وقع فيه رضى وصبر ، والعقل لا يخيف أحداً أبداً ما استطاع ، ولا يقم على خوف وهو يجد منه مَذْهَباً ، وإذا خاف على نفسه الموان طابت نفسه عما يهلك من الطارف والثالث <sup>(٢)</sup> ، مع لزوم المغاف ، إذ هو قُطْبُ شُعْبِ العقل .

أشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

أولست تأمر بالمغاف وبالتقى وإليه آل الأمر حين يؤول ؟

فإن استطعت فخذ بعقلك فضلة إن العقول يرى لها تفضيل

أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بالكرج حدثنا محمد بن علي الطاحي حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحوافي حدثنا مفضل بن صالح قال : قال علي <sup>(٣)</sup> « لما أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل ، فقال : إني أمرت أن أخيرك في ثلاثة ، فأختر واحدة ، ودع اثنتين ، فقال آدم : وما الثلاث ؟ قال : الحياء والدين والعقل ، فقال آدم : فإني قد اخترت العقل ، قال : فقال جبريل للحياء والدين : انصرفا ودعاه ، فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، ثم عرج جبريل وقال : شأنكم »

(١) النصية التي تروى : أى تتقل الكاهل فينوء بها (٢) الجديد والقديم (٣) أى ابن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين

قال أبو حاتم : من حسنَ عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قبايح وجهه ، ومن حسن وجهه وقل عقله فقد أذهب تحاسن وجهه نقائص نفسه ، فلا يجب للعاقل أن يتم إذا كان معدماً<sup>(١)</sup> ، لأن العاقل قد يرجى له النقي ، [ولا] يوثق للجاهل للكثرة ببقاء ماله ، ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله . وآفة العقل الصَّلف<sup>(٢)</sup> والبلاء المردي ، والرخاء المفرط ؛ لأن البلاء إذا تواترت عليه أهلك عقله ، والرخاء إذا تواتر عليه أبطره ، والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

عدوك ذو العقل أبى عليك من الجاهل الواثق الأحق<sup>(٣)</sup>  
وذو العقل يأتي جميل الأمور ويقصد للأرشد الأرفق

أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة بمسفلان حدثنا ابن أبي السري حدثنا داود ابن الجراح وضمرة بن ربيعة عن خلود بن دعلج قال : سمعت معاوية بن قرة يقول « إن القوم ليحجون ويمترونها ، ويجاهدون ويصلون ، ويصومون ، وما يُعْطَوْنَ يوم القيامة إلا على قدر عقولهم »

سمعت محمد بن محمود بن عدي النسائي يقول : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت حفص بن حميد الأكلبي يقول : « العاقل لا يتبين ، والورع لا يتبين »

قال أبو حاتم : هذه انظة جامعة ، تشتمل على معان شتى ، فكما لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق ، ولا الجلال بغير حلاوة ، ولا السرور بغير أمن ، كذلك لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عمل ، وكما أن السرور تبع للأمن ، والقراءة تبع للورع ، كذلك المروءات كلها تبع للعقل .

(١) أي فقيراً (٢) أي الكبر (٣) الواثق : الحب ، ووثق بقرينة : أحب

وعقول كل قوم على قدر زمانهم ، فالعقل يختار من العمر أحسنه وإن قل ، فإنه خير من الحياة النكدية وإن طالت ، والعقل الموعى - غير المنتفع به - كالأرض الطيبة الخراب .

والعقل لا يتدبى الكلام إلا أن يُسأل ، ولا يكثر التمارى <sup>(١)</sup> إلا عند القبول ، ولا يسرع الجواب إلا عند الثبوت .

والعقل لا يستحقر أحداً : لأن من استحقر السلطان أفقد دنياه ، ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه ، ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته ، ومن استحقر العام <sup>(٢)</sup> أذهب صيافته .

والعقل لا يخفى عليه عيب نفسه ؛ لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره ، وإن من أشد العقوبة المرء أن يخفى عليه عيبه ؛ لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها ، وما أنفع التجارب للمبتدئ .

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

ألم تر أن العقل زين لأهله وأن كمال العقل طول التجارب  
وقد وعظ الماضي من الدهر ذا النهي <sup>(٣)</sup> ويزداد في أيامه بالتجارب  
أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحكم  
ابن عبد الله قال « كانت العرب تقول : العقل التجارب ، والحزم سوء الظن »  
قال أبو حاتم : لا يكون المرء بالمصيب في الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب  
والعقل يكون حسنً للماخذ في ضرره ، صحيح الاعتبار في صباه ، حسن العفة عند

---

(١) التمارى : أى البحث والمحاورة (٢) العام : أى العوام والجمهور (٣) النهى : جمع نية أى العقل

إدراكه ، رضى الشاغل فى شبابه ، ذا الرأى والحزم فى كهولته يضع نفسه دون غايته برتوة<sup>(١)</sup> . ثم يحمل لنفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية فى كل شئ صار إلى النقص .

ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال ، كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأى إلا بالاتصال<sup>(٢)</sup> ، كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان .

ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه أخاف أن يكون حظه<sup>(٣)</sup> فى أقرب الأشياء إليه .

ورأس العقل : المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون .

والواجب على العاقل أن يختبأ أشياء ثلاثة ، فإنها أسرع فى إفساد العقل من النار فى يديس المتوسج : الاستغراق فى الضحك ، وكثرة التنى ، وسوء التثبت ؛ لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدرك ، ولا يتعد إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من الثناء<sup>(٤)</sup> ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى<sup>(٥)</sup> عليه نفعه منه .

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولمعرفته رفدَه ومحضره ، ولعدوه عدله وبره ، ولعمامة بشره وتحيته ، ولا يستعين إلا بمن يجب أن يظفر بمحاجته ، ولا يحدث إلا من يرى حديثه مغنيا ، إلا أن يغلبه الاضطراب عليه ، ولا يدعى ما يحسن من العلم لأن قصاص الرجال ليست ما دَعَتْهَا ولكن ما سبها الناس بينهم ، ولا يبغى ما فاتته من حُطَام الدنيا ، مع ما رزق من الحظ فى القتل .

---

(١) فى القاموس - الرتوة : بالتاء الشاة - الخطوة (٢) الاتصال : الاستخلاص والتحصين من نخل الطحين لأخذ حواره (٣) حظه : أى هلاكه (٤) الثناء : النفع (٥) أجدى : أى عاد عليه بالنفع .

أشدنى عبد الرحمن بن محمد المقاتلى :

فمن كان ذا عقل ، ولم يك ذا غنى      يكون كذى رجل ، وليس له نعل  
ومن كان ذا مال ، ولم يك ذا حِجى      يكون كذى نعل ، وليس له رجل

قال أبو حاتم : كفى بالعقل فضلا وإن عدم المال : بأن تُصَرَّف مساوى أعماله إلى المحاسن ، فتجمل البلادة منه حلما ، والمسكر عقلا ، والهمد<sup>(١)</sup> بلاغة ، والحدة ذكاء ، والى صمتا ، والمقوبة تأديبا ، والجرأة عزمًا ، والجبن ثانيا ، والإسراف جوداً ، والإسك تقديرا ، فلا تكاد ترى عاقلا إلا موفرا للرؤساء ، ناصحا للأقران ، مواتيا للآخوان ، متحززا من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا مخادع للأحباب .  
ولا يتحرش بالأشرار ، ولا يبتغل فى الفنى ، ولا يشره فى الناقة ، ولا يتقاد للهوى ، ولا يجمع فى الفضب ، ولا يبرح فى الولاية ، ولا يمتنى مالا يجد ، ولا يكتنز إذا وجد ، ولا يدخل فى دعوى ، ولا يشارك فى مراء ، ولا يذلى بحجة حتى يرى قاضيا ، ولا يشكو الوجع إلا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يمدح أحدا إلا بما فيه : لأن من مدح رجلا بما ليس فيه فقد بالغ فى جهاته ، ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرة .

والعقل يكرم على غير مال كالأسد يهاب وإن كان رابضا<sup>(٢)</sup> .

وكلام العقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح ، وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض .

وكلام العقل وإن كان زرا<sup>(٣)</sup> خطوة عظيمة ، كما أن مقارفة المائم وإن كان زرا مصيبة جلية .

ومن العقل التثبت فى كل عمل قبل الدخول فيه .

(١) الهمد : كثرة الكلام (٢) ريش الأسد : جثم (٣) زرا : قليلا



وآفة العقل المحجب ، بل على العاقل أن يوطن نفسه على الصبر على جار  
السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء ، فإن ذلك مما لا يحطيه على عمر الأيام .  
ولا يجب للعاقل أن يحب أن يستي به ، لأن من عرف بالدهاء حذر ، ومن  
عقل العاقل دفن عقله ما استطاع ، لأن البذر وإن خفي في الأرض أياما فإنه لا بد  
ظاهر في أوانه ، وكذلك العاقل لا يخفي عقله وإن أخفى ذلك جهده .  
وأول تمكن للمرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

إن المكارم أبوابٌ مُصَنَّفَةٌ      فالعقل أولها والصمت ثانيها  
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها ،      والجلود خامسها ، والصدق سادسها <sup>(١)</sup>  
والصبر سابعها ، والشكر ثامنها      واللين تاسعها ، والصدق عاشيها  
أخبرنا عمر بن عبد الله بن عمر الهجري بالأبلة حدثنا عبد الله بن خبيق حدثنا  
موسى بن طريف قال شعيب بن حرب : قال لى شعبة « عقولنا قليلة ، فإذا  
جلسنا مع من هو أقل عقلا منا ذهب ذلك القليل ، وإن لأدى الرجل يجلس  
مع من هو أقل عقلا منه فأمقته » <sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم : أول خصال الخير للمرء في الدنيا العقل ، وهو من أفضل  
ما وهب الله لعباده فلا يجب أن يدنس نعمة الله بمجالسة من هو بضدها قائم .  
والواجب على العاقل : أن يكون حسن السمّة <sup>(٣)</sup> طويل الصمت ، فإن ذلك  
من أخلاق الأنبياء ، كما أن سوء السمّة وترك الصمت من شيم الأشرقياء .  
والعاقل لا يطول أمه ؛ لأن من قوى أمه ضعف عمله ، ومن أناه أجله  
لم ينفعه أمه .

(١) سادسها : ثمة في سادسها (٢) المقت : أشد البغض (٣) السمّة : أذى .  
الهيئة والنظر .

والعقل لا يقاتل من غير عُدَّة ، ولا يخاضم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ، لأن بالعقل تحيا النفوس ، وتثور القلوب ، وتمضى الأمور ، وتعمر الدنيا .

والعقل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قد رأى ، ويضيف ما لم يسمع منها إلى ما قد سمع ، وما لم يصيب منها إلى ما قد أصاب ، وما بقى من عمره بما فنى ، وما لم يشل منها بما قد أوتى ، ولا يتكل على المال وإن كان فى تمام الحال ؛ لأن المال يحل ويرتحل ، والعقل يقيم ولا يبرح ، ولو أن العقل شجرة لكانت من أحسن الشجر ، كما أن الصبر لو كان ثمرة لكان من أكرم الثمر .

والذى يزداد به العاقل من نماء عقله هو التقرب من أشكاله ، والتباعد من أصداده .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد الثعلبي حدثنا محمد بن أبي مالك النخعي ، قال : سمعت أبي يقول « جالسوا الألباء : <sup>(١)</sup> أصدقاؤكم كانوا أو أعداء ؛ فإن العقول تلقح <sup>(٢)</sup> العقول »

قال أبو حاتم : مجالة العقلاء لأنهم من أحد متينين : إما تذكر الحالة التى يحتاج العاقل إلى الانتباه لها ، أو الإفادة بالشئ الخطير الذى يحتاج الجاهل إلى معرفتها .

فقرّب العاقل غم لأشكاله ، وعبّرة لأصداده ، على الأحوال كلها .  
ولا يجب لمن نسي به أن يتدلل إلا على من يحتمل دلاله ، ويقبل إلا على من يجب إقباله ، ولو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر ، والآخر التثبت .  
جعلنا الله ممن رُكِّب فيه حسن وجود العقل ، فسلك بتمام النعم مسلك الخصال التى تقر به إلى بارئيه ، فى دارى الأمد والأبد ؛ إنه العمال لما يريد .

(١) الألباء : جمع لبيب ، واللييب : ذو اللب وهو العقل

(٢) أى : تبيدها وتنورها .

## ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير - بَسْتَر - حدثنا عمر بن شبة حدثنا مؤمل  
ابن إسماعيل حدثنا شعبة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كره الله منك شيئاً فلا تفعله إذا خلوت »  
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل الحازم أن يعلم أن للعقل شعباً من  
المأمورات والمزجورات ، لا بد له من معرفتها ، واستعمالها في أوقاتها ، لمباينة العام ،  
وأوباش الناس بها

وإني إذا ذكر في هذا الكتاب - إن الله قضى ذلك وشاء - خمسين شعباً  
من شعب العقل من المأمورات والمزجورات ، ليكون الكتاب مشتملاً على خمسين  
باباً ، بناء كل باب منها على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تتكلم في  
عقيب كل سنة منها بحسب ما يمين الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله  
فأول شعب العقل هو لزوم تقوى الله ، وإصلاح السريرة ، لأن من صلح  
جوانبه أصلح الله برآئته ، ومن فسد جوانبه أفسد الله برآئته .

ولقد أحسن الذي يقول :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ، ولكن قل : على رقيب  
ولا تحسب الله يغلط ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب  
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غداً للناظرين قريب ؟  
أخبرنا عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي حدثنا شعبة بن هيرة حدثنا  
جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال « اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح  
من غير بضاعة »

قال أبو حاتم : قطبُ الطاعات للمرء في الدنيا : هو إصلاح السرائر ، وترك إفساد الصائِر .

والواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريره ، والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره ، وحركته وسكونه ؛ لأنَّ تكثُر الأوقات وتنمُّص اللذات لا يكون إلا عند فسادِه .

ولو لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدي العاقل إلى استعماله إلا إظهار الله عليه كيفية سريره ، خيراً كان أو شراً ، لكان الواجبُ عليه قلة الإغضاء عن تماهدها .

أُنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

يَلْبَسُ اللهُ فِي الْعَلَانِيَةِ الْعَبْدَ الَّذِي كَانَ يَخْتَفِي فِي السَّرِيرَةِ  
حَسَنًا كَانَ ، أَوْ قَبِيحًا سَيَبْدَى كُلُّ مَا كَانَ تَمَّ مِنْ كُلِّ سِيرَةٍ  
فَاتَمَّحَ اللهُ أَنْ تَرَانِي لِلنَّاسِ فَإِنَّ الرِّيَاءَ بَشَسَ الدَّخِيرَةَ  
أَخْبَرَنَا أَبُو يَحْيَى حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا عُبَيْدَةُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ مَنْصُورٍ  
عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ كَعْبٌ « وَالَّذِي فَلقَ الْبَحْرَ  
لَبِى إِسْرَائِيلَ ، إِنِّى لأَجِدُ فِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبًا : يَا بَنَ آدَمَ ، اتَّقِ رَبَّكَ ، وَصِلْ رَحِمَكَ ،  
وَبِرَّ وَالِدَيْكَ ، يُحَدِّثْ لَكَ فِي عُمْرِكَ ، وَيُبَشِّرْ لَكَ يُسْرَكَ ، وَيَصْرِفْ عَنْكَ  
عُسْرَكَ » .

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيق حدثنا أبي حدثنا  
جعفر بن سليمان الضبي عن مالك بن دينار قال « إن القلب إذا لم يكن فيه حزن  
حَرِبَ ، كما يخرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن . وإن قلوب الأبرار تنلُّ بأعمال  
البرِّ . وإن قلوب العُجَّار تنلُّ بأعمال القصور . والله يرى همومكم ، فانظروا  
ما همومكم ؟ رحمكم الله »

أُشْدَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْحَى الْبَغْدَادِي :

وَإِذَا أَعْلَنْتَ أَمْرًا حَسَنًا فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَا تُبِيرُ  
فِيهِ الْخَيْرَ مَوْسُومٌ بِهِ وَمُيَسِّرَ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرِّ

أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا شَرِيحُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَبُو مَعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ  
قَالَ « إِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلَامِ يَنْوِي فِيهِ الْخَيْرَ ، فَيُلْقِي اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ،  
حَتَّى يَقُولُوا : مَا أَرَادَ بِكَلَامِهِ هَذَا إِلَّا الْخَيْرَ . وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلَامِ الشَّرِّ  
لَا يَنْوِي فِيهِ الْخَيْرَ ، فَيُلْقِي اللَّهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا : مَا أَرَادَ بِكَلَامِهِ هَذَا  
إِلَّا الشَّرَّ »

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْهَمْدَانِي حَدَّثَنَا الْقَطَوَانِي حَدَّثَنَا سَيَّارٌ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ  
عَنْ أَيُّوبَ قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ « إِنَّكُمْ وَقُوفٌ هَاهُنَا تَنْتَظِرُونَ آجَالَكُمْ ،  
وَعِنْدَ الْمَوْتِ تَقُفُونَ الْخَيْرَ ، فَخُذُوا مَا عِنْدَكُمْ مَا بَعْدَكُمْ » .

قَالَ أَبُو سَاهِمٍ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَأْخُذَ مَا عِنْدَهُ لَمَّا بَعْدَهُ مِنَ التَّقْوَى  
وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ : بِإِصْلَاحِ السَّرِيرَةِ ، وَتَقَيِّى الْفَسَادَ عَنْ خَلَلِ الطَّاعَاتِ عِنْدَ إِجَابَةِ  
الْقَلْبِ وَإِيَّائِهِ . فَإِذَا كَانَ حُجَّةَ السَّبِيلِ فِي إِقْبَالِهِ مَوْجُودًا أَغْذَهُ بِأَعْضَائِهِ . وَإِنْ  
كَانَ عَدَمُ وُجُودِهِ مَوْجُودًا كَبَحَثِهِ عَنْهَا ، لِأَنَّهُ بِصِفَاءِ الْقَلْبِ تَصْنَعُ الْأَعْضَاءُ  
وَأُشْدَى التَّنَصُّرِ بْنِ بِلَالِ بْنِ التَّنَصُّرِ الْأَنْصَارِيِّ :

وَإِنَّ أَمْرًا لَمْ يَصِفْ اللَّهُ قَلْبَهُ آفِي وَخَشَةٍ مِنْ كُلِّ نَظَرَةٍ نَافِظٍ  
وَإِنَّ أَمْرًا لَمْ يَرْتَحِلْ بِيَضَاعَةِ إِلَى دَارِهِ الْأُخْرَى فَلَيْسَ بِتَاجِرٍ  
وَإِنْ أَمْرًا ابْتِغَى دُنْيَا بَدِينِهِ لِمُنْقَلَبٍ مِنْهَا بِصَفْقَةٍ خَاسِرٍ

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِي بَيْنَادَ حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرِ النَّمَارِ  
حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ عَنْ خَالِدِ الرَّبْعِيِّ قَالَ « كَانَ لَقِيَانُ عَبْدًا حَبِشِيًّا بِمَجَارٍ ، فَأَسْرَهُ  
سَيِّدُهُ أَنْ يَذْبَحَ شَاةً ، فَذَبَحَ شَاةً ، فَقَالَ : أَتَنْتَى بِأَطْيَبِ مُضْغَتَيْنِ فِي الشَّاةِ ، فَأَتَاهُ

باللسان والقلب، ثم مكث أياماً، فقال : اذبح شاة ، فذبح ، فقال : انتنى بأخبث مضمنتين في الشاة ، فألقى إليه اللسان والقلب ، فقال له سيده : قلت لك حين ذبحت انتنى بأطيب مضمنتين في الشاة ، فأنتيتني باللسان والقلب ، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة : انتنى بأخبث مضمنتين في الشاة ، فألقيت اللسان والقلب ؟ فقال : إنه لا أطيب منها هذا طاباً ، ولا أخبث منها إذا حَبُثاً .

وأنشدني منصور بن محمد الكريري :

وما المرء إلا قلبه ولسانه إذا حصلت أخباره ومدخله  
إذا ما رده المرء لم يَلِكْ طاهراً فهيهات أن يُنتقيه بالماء غاسله  
وما كل من تخشى بئناك شره وما كل ما أَمَلْتَهُ أنت نائله  
أخبرنا أحمد بن عيسى بن السكيني - بواسطة - حدثنا عبد الحميد بن محمد بن  
مُسْتَمْتَم حدثنا مُحَمَّد بن يزيد حدثنا صالح بن حسان الثؤفون قال « دخلت على عمر  
ابن عبد العزيز ، فسمعتة يقول : لا يبقى الله عبد حتى يجد طعام الذل »

قال أبو حاتم : العاقل يفتش قلبه في ورود الأوقات ، ويكبح نفسه عن جميع  
الزجورات ، ويأخذها بالقيام في أنواع المأمورات ، ولزوم الانباه عند ورود الفقرة  
في الحسالات ، ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا فأما حتى يوجد منه حصة الثبوت  
في الأعمال .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

وإذا بَحِثْتَ عن التَّقَى وجدته رجلاً يُسَدِّقُ قوله بفعله  
وإذا اتَّقَى الله امرؤ وأطاعه فبذله بين مكارم ومَعَال  
وعلى التقى إذا تراسخ في التقى تاجان : تاجُ سَكينة ، وجمال  
وإذا تنسبت الرجال ، فما أرى نسباً يكون كصالح الأعمال

أخبرنا القطان بالرقه حدثنا عبد الله بن روى البراز عن أبيه قال : قلما دخلت على إسحاق بن أبي ربيع الرافعي إلا وهو يتأمل بهذا البيت :  
خيرٌ من السال والآيامُ مقيلةٌ حبيبٌ تقى من الآتام والدَّنس<sup>(١)</sup>  
أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله  
أخبرنا الربيع عن الحسن قال « أفضل العمل الورع والتفكر »

قال أبو حاتم : العاقل يدبر أحواله بصحة الورع ، ويمضي لسانه بلزوم التقوى ، لأن ذلك أول شُعب العقل ، وليس إليه سبيل إلا بصلاح القلب .  
ومثل قلب العاقل إذا لزم رعاية العقل - على ما نذكرها في كتابنا هذا - إن الله قضى ذلك وشاء - كأن قلبه شُرِّح بسكاكين التقية ، ثم مُلِّح بملح الخشعية ، ثم جُفِّف برياح العظمة ، ثم أحيى بماء القربة ، فلا يوجد فيه إلا ما يرضى للمولى جل وعلا ، ولا يبالي المرء إذا كان بهذا التمتع أن يتنعم عند الناس ، ومحال أن يكون ذلك أبداً .

سمعت أحمد بن موسى واسط يقول « وجد [ت] على خف عطاء السلى مكتوبا ، وكان حائكا » :

ألا إنما التقوى هو المز والكرم وغررك بالدنيا هو النلل والمقدم  
وليس على عبد تقى نقيصة إذا صحح التقوى ، وإن حاك أو حجبم  
أخبرنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا طريف بن سعيد  
حدثنا القاسم بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن علي بن حسين قال « إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء : ذنبا الرجل ، فأعد زاداً » .  
وانشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا انتسب الناس كان التقى يتقوا أفضل من يتسب  
ومن يتق الله يَكْتَسِبْ به من الحظُّ أفضل ما يكتسب  
ومن يتخذ سبباً للنجاة فإنَّ تَقَى الله خير السبب  
وأشدنى أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لابن عكراش :

ومها بُسِرَ المرءُ بَيْدُ لَرْتِهِ وما يَنْسَهُ الإنسان لا يَنْسُ كاتبُهُ  
ومن كان غَلَاً يَجْهَدُ وَتَجَدَّةً فَذُو الحِظِّ في أمر المعبشة غالبه  
وأشدنى أبو بكر أحمد بن خالد بن عبيد الله بن عبد الملك بِحَرْزَان :

يَا نَفْسُ ، ما هو إلا صَبْرٌ أَيْامٍ كَانَ لَدَاتِهَا أَضْعَافُ أَحْلَامِ  
يَا نَفْسُ ، جُوزِي عن الدنيا مَبَادِرَةً وَخَلَّ عنها ، فإن العيش قَدَامِي

أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله  
أخبرنا سفيان عن معن قال : قال عبد الله « من لُذَّ القلوب شهوة وإقبالاً ،  
وإن لها قُفْرَةً وإدباراً ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ، ودَعُوها عند قُفْرَتِهَا  
وإدبارها » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود  
السبب الذي يورث القساوة له عليه ؛ لأن بصلاح الملك فصلح الجنود ، وبفساده  
تفسد الجنود ، فإذا أهتم بإحدى التخصلطين تجنَّبَ أقربهما من هواء ، وتَوَخَّى (١)  
أبعدهما من الردى .

ولقد أحسن الذي يقول :

وإذا تشاجر في فؤادك مَرَّةً أَمْرَانِ ، فاعْتَدِ للأعْفَى الأَجَلِ  
وإذا هممت بأمر سوء ، فَاتَّئِدْ وإذا هممت بأمر خير فَاقْتَلِ

(١) توخى : قصد ، والردى : الهلاك .



أخبرنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عَزْرَةَ الشامي عن مسعر بن كدام عن عَوْن بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب « جالسوا التوابين ، فإنهم أرقُّ أفئدة »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن عمرو بن حَمَلَة حدثنا محمد بن مروان حدثنا عطاء الأزرق قال : قال رجل للحسن « يا أبا سعيد ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ قال : كيف حال مَنْ أُمسى وأصبح ينتظر الموت ، ولا يدري ما يُصْنَع به » .

وأشدنى منصور بن محمد الكركري :

تَحَوَّرَ قَرِينًا مِنْ فِعَالِكَ ، إِنَّمَا يَرَيْنُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ  
وَبِإِنْ كُنْتَ مَشْغُولًا بِشَيْءٍ ، فَلَا تَكُنْ بِغَيْرِ الَّذِي يَرْتَمِي بِهِ اللَّهُ تُشْتَلُ  
فَلَا يَدُ بَعْدَ الْقَبْرِ مِنْ أَنْ تُعَذَّبَ لِيَوْمٍ يَنَادِي الْمَرْءَ فِيهِ ، فَيَسْأَلُ  
فَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ وَلَا بَعْدَهُ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَفْعَلُ  
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِهِ يُقِيمُ قَلِيلًا بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَرْحَلُ

أخبرنا علي بن سعيد العسكري ، حدثنا إبراهيم بن الجعيد حدثنا محمد بن الحسين حدثنا إسماعيل بن زياد قال « قدم علينا عبد العزيز بن سليمان عبادان في بعض قَدَمَاتِهِ ، فَأَتَيْنَاهُ نَسَلَمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَنَا : صَفُّوا لِنَعْنِمَ قُلُوبَكُمْ ، يَكْفِيكُمْ الْمَوْتُ عِنْدَ هَمِّكُمْ » ثُمَّ قَالَ « لَوْ خَدَمْتُ مَخْلُوقًا فَأَطَاعَتِ خِدْمَتُهُ ، أَلَمْ يَكُنْ يَرَعَى خِدْمَتَكَ حَرَمَةً ؟ فَكَيْفَ بِنِيعَمٍ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مُسِيءٌ إِلَى نَفْسِكَ ، تَتَقَلَّبُ فِي نَيْبِهِ ، وَتَتَعَرَّضُ لِنَفْضِهِ ؟ هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ ، هِمَّةَ الْبَطَالِينِ ، لَيْسَ لِهَذَا خُلُقُكُمْ ، وَلَا بَذَا أَمْرُنِي ، السَّكِينُ السَّكِينُ ، وَرَحِمَكُمُ اللَّهُ » وَكَانَ يَقُطِرُ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ .

قال أبو حاتم : لَنْ تَصْفُوَ الْقُلُوبَ مِنْ وَجُودِ الدَّرَنِ فِيهَا حَتَّى تَكُونَ الْمَهْمُ فِي اللَّهِ هَمًّا وَاحِدًا ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَفَى الْمَهْمُ فِي الْمَهْمِ إِلَّا الْمَهْمُ الَّذِي يَزُولُ ٣ - روضة القلاء .

مَتَّبِعْهُ <sup>(١)</sup> إلى رضا الباري جل وعز ، بلزوم تقوى الله في الخلوة والملا، إذ هو أفضل زاد المقلاء في دارهم ، وأجل مَطِيَّة الحُكَّاء في حالهم .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

عليك بتقوى الله في كل أمره      تجدد غِيَّة يوم الحساب المطوَّل <sup>(٢)</sup>  
ألا إن تقوى الله خيرُ مَنِيَّة      وأفضل زادِ الطاعن المترحِّل  
قال أبو حاتم : قد ذكرت هذا الباب بكناه بالعلل والحكايات في كتاب  
مَحَبَّة المبتدئين بما أرجو المُتَنِيَّة للنظر إذا ما تأملها ، فأغنى ذلك عن تكراره في  
هذا الكتاب .

### ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه

أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن رافع قالا :  
حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن زُرَّ بن حُبَيْش قال :  
« أتيت صفوان بن عَسَّال المرادي ، فقال : ما جاء بك ؟ قلت : جئت أنبِط العلم <sup>(٣)</sup>  
قال : فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من خارج يخرج من  
بيته يطلب العلم إلا وَضَعَتْ له الملائكةُ أجنحتها رِضاً بما يصنع »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سريرته : أن يُشَتِّي  
بطلب العلم والمداومة عليه ، إذ لا وصول للمرء إلى صفاء شيء من أسباب الدنيا

---

(١) متَّبِعْهُ - بضم الميم وفتح التاء والعين ، وتشديد القاف مفتوحة - أراد  
عَلَيْقَهُ .

(٢) القلب ، بالكسر : عاقبة الشيء كالعاقبة ، بالفتح

(٣) بَطَط العلم : استخرجه ، والأصل فيه استنباط الماء من البئر ونحوه

إلا بصفاء العلم فيه ، وحكمُ العاقل أن لا يُقَصَّر في سلوك حالة توجب له بسطُ  
الملائكة أجنحتها رضىً بصنيعه ذلك .

ولا يجب أن يكون متأملاً في سعيه الدنوي من السلاطين ، أو نوال الدنيا  
به ، فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا ! .

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد الدمياني حدثنا  
عبد الرحمن بن عَفَّان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما أقبح بالعالم يؤتى  
إلى منزله ، فيقال : أين العالم ؟ فيقال : عند الأمير ، أين العالم ؟ فيقال : عند  
القاضي ، ما للعالم وما للقاضي ؟ ما للعالم وما للأمير ؟ ينبغي للعالم أن يكون في  
مسجده يقرأ في مُحَقِّقه » .

حدثنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا سليم مولى الشعبي عن الشعبي  
قال « يا طلاب العلم ، لا تطلبوا العلم بسفاهةٍ وطيشٍ ، اطلبوه بسكينةٍ ووقارٍ  
وتؤدة » .

وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وفي العلم والإسلام للمرءِ وازع وفي ترك طاعاتِ القوادِ المقيمِ  
بصائرٍ رُشيدٍ للفتى مُستبينَةٍ وإخلاص صدق علمها بالتعلم  
أخبرنا إبراهيم بن نصر<sup>(١)</sup> حدثنا عبيد بن حميد حدثنا سعيد بن عامر  
عن حميد بن الأسود عن عيسى بن أبي عيسى الخياط قال قال الشعبي : « إنما  
كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان : العقل ، والنسك ، فإن كان  
عاقلاً ولم يكن ناسكاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا النساك ، فلم يطلبه ، وإن كان  
ناسكاً ولم يكن عاقلاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا العقلاء ، فلم يطلبه » قال :

(١) يياض بالأصل .

الشمسي « فلقد رعبت أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما ،  
لا عقل ولا نك »

قال أبو حاتم : العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قصد في العلم لما يناله من  
حطام هذه الدنيا ؛ لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره ؛ لأن المبتغى من  
الأشياء كلها نعمها لأنفسها ، والعلم ونفس العلم شين ، فمن أغضى عن نفعه لم  
ينفع نفسه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، والعلم له أول وآخر .

كما حدثنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا عمرو الناقد حدثنا يحيى بن العيمان  
قال : سمعت سفيان يقول « أول العلم الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ،  
ثم العمل به ، ثم النشر » وأنشدني الأبرش :

تعلم فليس المرء بولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل  
وإن كبير القوم لا يعلم عنده صغير إذا التفت عليه الخافل

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا جري عن  
بريد بن سنان عن سليمان بن موسى قال : قال أبو الدرداء « لا تكون عالماً  
حتى تكون متعلماً ، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به ، لأن  
من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد خيراً وتَجَبَّراً ، وللعمل تركاً وتضييعاً ، فيكون  
هداه في المتأسين به فيه أكثر من فساده في نفسه ، ويكون مثله كما قال الله تعالى  
( ١٦ : ٢٥ ) وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضْلِلُونَهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون )

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد حدثنا عبيد الرحمن  
ابن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « في جهنم أرحية تطحن العلماء  
طحنًا ، فقيل : من هؤلاء ؟ قال : قوم علموا فلم يعملوا »

أخبرنا عبد الله بن محمد السعدي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا جعفر

بن سليمان عن مالك بن دينار قال « إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سرَّه علمه ،  
وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخرأ »

أخبرنا محمد بن عمرو بن سليمان حدثنا محمد بن رافع حدثنا محمد بن بشر حدثني  
سلمة بن الخطاب عن عبد الحميد بن أبي جعفر الفراء قال: قال الحسن « مَنْ أَحَبَّ  
الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه » ومن أراد علماً ثم ازداد على الدنيا  
حرصاً لم يزد من الله إلا بعداً ، ولم يزد من الله إلا بنصاً »

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثني أحمد بن إبراهيم الخدثي حدثني إسماعيل  
ابن الحارث حدثني محمد بن الحسن الديلمي حدثنا أبو العوام « أن إبراهيم سمع  
صوت هاتف ، وهو يقول :

يا طالب العلم باثِر الورع	وباين النوم ، واهِر الشَّبَعَا
ماضر عبداً صحت إرادته	أجاع يوماً في الله أو شِيعَا
ماضر عبداً صحت عزائه	أين من الأرض : أربا صقعا <sup>(١)</sup>
ما طمعت نفس عابد فتوى	سؤال قوم إلا لهم خصما
يا أيها الناس ، ما لعالمكم	في بحر ماء الملوك قد كرعاً <sup>(٢)</sup>
يا أيها الناس ، أتم زرع	يحصده الموت كلها طلعا

أخبرنا ابن سالم حدثنا الحسين بن عبيد الرحمن الاحتياطي حدثنا يحيى بن  
اليمان العجلي عن سفيان الثوري قال « العالم طيب الدين ، والدرهم داء الدين ،  
فإذا اجتر الطيب الداء إلى نفسه ، فحق يداوى غيره ؟ »

أنشدني أحمد بن محمد الصنعاني أنشدني محمد بن عبد الله العراق :

---

(١) « أو » أربا وقع والصقع : الوقوع على الأرض اليابسة المستحجرة  
(٢) كرع من الماء : عب وشرب

عُتُوا يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ شَبَابًا ، فَلَمَّا حَصَلُوهُ وَحَشَرُوا  
وَصَحَّحُوا نَحْمُ بِإِسْنَادِهِ وَأَصُولِهِ وَصَارُوا شَبُوحًا صَحِيحًا وَأَذْبَرُوا  
وَمَالُوا عَلَى الدُّنْيَا ، فَهَمَّ يَحْكُمُونَهَا بِأَخْلَافِهَا مَفْتُوحَهَا لَا يُضَرَّرُ<sup>(١)</sup>  
فِيهَا عِلْمُ السَّوَدِ ، أَيْنَ عَقُولُكُمْ ؟ وَأَيْنَ الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الْمُتَخَيَّرُ ؟  
أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيُّ - بِصُورَ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْلَبِيُّ قَالَ :  
سَمِعْتُ عَمِّي مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ « كُنْتُ مَعَ ابْنِ الْمُبَارَكِ بِبَغْدَادَ ، فَرَأَى إِسْمَاعِيلُ  
ابْنَ عُثَيْبَةَ رَاكِبًا بَقْلَةً عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :

يَا جَاعِلَ الدِّينِ لَهُ يَازِيَا يَصْطَادُ أَمْوَالَ السُّلَاطِينِ  
لَا تَعِمْ الدِّينَ بِدُنْيَا ، كَمَا يَفْعَلُ ضُلَّالُ الرَّهَائِينِ  
اِحْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا بِحِيلَةٍ تَنْهَبُ بِالْأَيْدِينِ  
وَصَرَتْ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا كُنْتُ دَوَاءَ الْمَجَانِينِ  
فَتُكْرَمُ النَّاسُ جَمِيعًا بِأَنْ زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطَّيْنِ

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَرْذَعِيُّ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ  
عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيُّ قَالَ « لَمَّا وَلِيَ ابْنُ عُثَيْبَةَ صَدَقَاتِ الْإِيْلِ وَالنَّهْمِ بِالْبَصْرَةِ ، كَتَبَ  
إِلَيْهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ كِتَابًا ، وَكَتَبَ فِي أَسْفَلِهِ :

يَا جَاعِلَ الدِّينِ لَهُ يَازِيَا يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمُسَاكِينِ  
اِحْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا بِحِيلَةٍ تَنْهَبُ بِالْأَيْدِينِ  
يَا فَاضِحَ الْعِلْمِ وَمَنْ كَانَ ذَا لَبٍّ وَمَنْ عَابَ السُّلَاطِينِ<sup>(٢)</sup>

(١) أَخْلَافٌ : جَمْعُ خَلْفٍ ، وَهُوَ ثِيَابُ الشَّاةِ وَنَحْوُهَا مِنْ كُلِّ حَالِبٍ ، وَالتَّصْرِيحُ :

جَمْعُ اللَّيْنِ وَاجْتِرَانُهُ فِي الضَّرْعِ

(٢) قَدْ وَقَعَ هُنَا إِقْوَاءٌ : قَالَ فِي الْفَنَائِسِ : أَقْوَى فِي الشَّعْرِ ، خَالَفَ فِي قَوَائِمِهِ بَرَفَعَ  
بَيْتَ وَجَرَ آخِرَ ، وَكُنْتُ قَصِيدَةً لَهُمْ بِلاَ إِقْوَاءٍ ، وَأَمَّا الْإِقْوَاءُ بِالنَّصْبِ فَقَلِيلٌ لَهُ وَقَدْ  
تَكَرَّرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَيُبَيِّنُ أَنْ يَقْبَهُ لَهُ

أين رواياتك في سرّها عن ابن عون وابن سيرين؟  
وزاد غير أحمد بن عبد الله :

إن قلت : أكرهت ، فإذا كذا زلّ حمار العلم في الطين  
فلما قرأ ابن عُلَيَّةَ الكتاب بكى ، ثم كتب جوابه ، وكتب في أسفله :  
أفّ لنديا أبتُ تواتني إلا بنقضي لها عرى ديني  
عني لِحَتِي<sup>(١)</sup> تدير مقلتها تطلب ما سرّها لترويني

أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا العباس بن الوليد النّزّسي حدثنا  
وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال « عليكم بالعلم قبل أن يقبضَ  
وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَحْبَابُهُ ، وإنكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم إلى  
كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ، وعليكم بالعلم ، فإن أحدكم لا يدري متى  
يفتقر ، أو يُفْتَقَرُ إليه عنده ؟ وعليكم بالعلم ، وإياكم والبِدْع ، وعليكم بالعتيق »

حدثنا محمد بن زنجوية القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة حدثنا  
قرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال : قال ابن مسعود « ليس العلم بكثرة  
الرواية ، إنما العلم الخشية » .

حدثني إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحارث بن مسكين حدثنا ابن  
القاسم قال : سمعت مالكا يقول « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية »  
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل : مجانية ما يدنس علمه من أسباب هذه  
الدنيا ، مع القصد في لزوم العمل بما قدرَ عليه ، ولو استعمال خمسة أحاديث من  
كل مائتي حديث ، فيكون كأنه قد أدى زكاة العلم ، فمن عجز عن العمل بما جمع  
من العلم فلا يجب أن يُعْجَزَ عن حفظه .

وقد أبانا ابن قحطبة حدثنا حسين بن محمد الكوفي قال : سمعت محمد ابن بشير الخزاعي يقول :

أما لو أعي كلَّ ما سمعَ وأحفظ من ذاك ما أجمع  
ولم أستاذ غير ما قد جمعت لقييل : هو العالم الفنع<sup>(١)</sup>  
ولكنَّ نفسي إلى كل شيء من العلم نسمه تنزع  
وأحضرُ بالجهل في مجلسي وعلى في الكتب مُتودع  
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من حجه أشيع  
ومن يك في علمه هكذا يكن دهره اتفقري يرجع  
إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع  
وأشدني محمد بن عبد الله اللؤب :

جامع العلم تراه أبداً غير ذي حفظ ولكن ذا غلط  
وتراه حسن الخط إذا كتب الخط بصيراً بالنقط  
فإذا فشتته عن علمه قال : علمي يا خليلي في السقط<sup>(٢)</sup>  
في كرايس جيد أحكت ومحط أي خط أي خط  
فإذا قلت له : هات لنا حك نخيه جميعاً وامتخط

أخبرنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا حفص بن عمرو الريال<sup>(٣)</sup>  
حدثنا الحجاج بن نصير حدثنا عبد القدوس قال : سمعت وهب بن منبه يقول :  
« من تعلم علماً في حق وسنة لم يذهب الله بعقله أبداً »

(١) شاهد مقنع كقعد : أي رضى يضع به

(٢) السقط - محرركة كما في القاموس : كالجوالق ، أو كالقفة .

(٣) الريال بالفتح ولا م : نسبة إلى ريال اسم جده اه لياب الأنساب



حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال « كتب إلى أبي ، وأنا بالكوفة : اشتر الصنف ، وأكتب العلم ؛ فإن المال ينفي والعلم يبقى »

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك ، قال « كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحيفة حكيم ، فأوحى الله إليه : إنك قد ملأت الأرض نفاقاً ، وإن الله لم يتقبل شيئاً من نفاقك »

قال أبو حاتم : إفتاء المرء محرم بكثرة الأسفار ، ومباينة الأهل والأوطان في طلب العلم دون العمل به ، أو الحفظ له ، ليس من شيم العسلاء ، ولا من زى الألباء ، وإن من أجود ما يستعين المرء به على الحفظ : الطبع الجيد ، مع الهمة واجتناب المعاصي ، وأنشدني الأبرش :

نِعِمَّ عون الله الطَّالِبَ لِعِلْمٍ    أولِ بعض المقول صحة طبع  
فإذا الطبع فاته بَقَّ العِلْمُ    ثم وصار العناء في غير نفع

سمعت إبراهيم بن نصر العنبري يقول : سمعت علي بن خنسم يقول سمعت وكيعاً يقول « استعينوا على الحفظ بترك المعصية »

قال أبو حاتم : يجب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله ، لأن الازداد من العلم أثرٌ عند العاقل من الذكر بالعلم ، والعدو زين في الرخاء ، ومنجاة في الشدة ، ومن تعلم ازداد ، كما أن من حاتم ساد ، وفضل العلم<sup>(١)</sup> في غير خير مهلكة ، كما أن كثرة الأدب في غير رضوان الله موبقة ، والعاقل لا يسعى في فنونه إلا بما أجدى عليه نفعاً في الدارين مما ، وإذا رزق منه الخطأ لا يخل بالأفادة ، لأن أول بركة العلم الإفادة ، وما رأيت أحداً قط يخل بالعلم إلا لم ينتفع به ، وكما

(١) أي : الفاضل والزايد من العلم عن الحاجة

لا ينفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم ينبثق ، ولا بالذهب الأحمر ما لم يستخرج من معدنه ، ولا بالقرنؤ النفس ما لم يخرج من بخره ، كذلك لا ينفع بالعلم ما دام مكتوناً لا ينشر ولا يفاد .

أبانا أحمد بن مضر الرباطي حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر حدثنا أبو صالح القراء قال : سمعت ابن المبارك يقول « من نجل بالحديث يتلى يا حدى ثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينسى ، أو يتلى بالسلطان »

حدثنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن يرد عن سليمان ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « الناس عالم ومعلم ، ولا خير فيما بين ذلك » وأنشدني الكريزي :

أفد العلم ، ولا تبخل به      وإلى علمك علما فاستفد  
استفدما استطعت من علم وكن      علما بالعلم والناس أوقد  
من يقدم يحجزه الله به      وسيغني الله عن من لم يقد  
ليس من ناقس فيه عاجزاً      إنما العاجز من لا يجتهد

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا حماد ابن واقد عن هشام بن حسان عن الحسن قال « لأن يتعلم الرجل باباً من العلم فيمده به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أوطأ إلى آخرها له فوضعها في الآخرة »

قال أبو حاتم : قد ذكرت أسباب المتعلمين وأخلاق العلماء بدلتها في كتاب « العالم والمتعلم » ، بما أرجو أن يكون فيه غنية لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن التكرار ؛ لأننا شرطنا في هذا الكتاب الاختصار ، كراهية سلوك التطويل والإشارة إلى قصد نفس التحصيل .

## ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان

أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي - ببغداد - حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا ذكر المطيبتين - اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم : أن يبلغ بمجهوده حينئذ في حفظ اللسان حتى يستقيم له ، إذ اللسان هو المورد للفرح موارد العطب . والصمت يكسب الحجة والوقار ، ومن حفظ لسانه أراح نفسه ، والرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام ، والصمت منام العقل ، والمنطق يقظته .

حدثنا محمد بن زنجويه حدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن لقمان قال « إن من الحكم الصمت ، وقليل فاعله » .  
وأشدني الكريزي .

أقلل كلامك واستمذ من سره إن البلاء ببعضه مقرون<sup>(١)</sup>  
واحفظ لسانك ، واحتفظ من غيبه حتى يكون كأنه مسجون  
وكل فؤادك باللسان ، وقل له إن الكلام عليك موزون  
فزيادته وليك محكما ذا قلة في البلاغة في القليل تكون  
أخبرنا ابن قتيبة حدثنا جعفر بن نوح حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع قال :  
سمعت مالك بن أنس يقول « كل شيء ينتفع بفضله<sup>(٢)</sup> إلا الكلام فإن فاضله يضر »  
أخبرنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثنا مروان بن محمد عن سعيد

(١) عجز هذا البيت من قولهم في مثل « إن البلاء ، موكل بالمنطق » .

(٢) الفضل هنا : الزيادة

ابن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين : مُنْصِتٍ وَاِعٍ ، أو متكلم عالم »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا يغالب الناس على كلامهم ، ولا يعترض عليهم فيه ؛ لأن الكلام وإن كان في وقته خطوةً جليلة فإن الصمت في وقته مرتبةٌ عالية ، ومن جهَلَ بالصمت عَيَّ بالنطق <sup>(١)</sup> . والإنسان إنما هو صورةٌ مثلةٌ أو ضالَّةٌ مهملة ، لولا اللسان ، والله جل وعز رفع جاريةَ اللسان على سائر الجوارح ، فليس منها شيء أعظم أجراً منه إذا أطاع ، ولا أعظم ذنباً منه إذا جنى .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زُحَيجي البغدادي .

لئن كان يحكي اليومَ ما أنتَ قائلٌ ولم يكِ منه النفعُ فاصمتَ أيسرُ  
فلا تُبَدِّ قولاً من لسانك لم يَرْضَ مواضعه من قبلِ ذاك الضكُّورِ  
أخبرنا ابن قتيبة حدثنا هارون بن محمد بن بكار قال : سمعت أبا مسهر ينشد هذا البيت :

قد أرى كثرةَ الكلامِ قبيحاً كلُّ قولٍ يشينه إلا كثارُ  
أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثني محمد بن داود بن سليمان الرمي حدثنا  
السَّيب بن واضح قال : سمعت بن المبارك يقول :

تعاهد لسانك إن اللسانَ سريعٌ إلى المرءِ في قتله  
وهذا اللسانُ بَرِيدُ الفؤادِ يدلُّ الرجالَ على عقله  
أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيقي أنبأنا إبراهيم بن

---

(١) أي من وصفه الناس بالجهل لصمته كان منطقهم عيا

الأدب قال : سمعت المُصَيِّل بن عياض يقول « شيطان يقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال : سمعت يحيى بن النيان يقول : قال سفيان الثوري « أول العبادة الصمت ، ثم طلب العلم ، ثم العمل به ، ثم حفظه ، ثم نشره »

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العتيبي عن علي بن جرير عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الصمت أمان من تحريف اللفظ ، وعصمة من زَيْغِ النطق ، وسلامة من فضول القول ، وهيبة لصاحبه »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم ، فما أكثر مَنْ ندم إذا نطق ، وأقل من يندم إذا سكت ، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلى بلسان مُطَلَّق ، وفؤاد مُطَلِّق .

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها ، ويضع كل خصلة منها في موضعها : هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وباطق يردّ به الجواب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وشافع تدرك به الحاجات ، وواصف تعرف به الأشياء ، وحاصد تذهب الضغينة ، ونازع يجذب المودة ، ومُسَلِّ يذكي القلوب ، ومُتَرِّ تردّ به الأحزان .

ولقد أحسن الذي يقول :

إن كان يسجيك السكوت فإنه	قد كان يعجب قبلك الأخيارا
ولئن ندمت على سكوت مرة	فلقد ندمت على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ، ولربما	زرع الكلام عداوة وضارا
وإذا تقرب خاسر من خاسر	زادا بذلك خسارة وتبارا <sup>(١)</sup>

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا كثير بن عبد الله التيمي حدثنا العلماء  
ابن سعيد الكندي حدثني أبو حية قال « كنت أماشي إسماعيل بن سهل ، وكان  
أحد الحكماء ، فقال لي : ألا أخبرك ببیت شعر خير لك من عشرة آلاف  
درهم ؟ قال : نعم قال : أيما أحب إليك ؟ نفسك أو عشرة آلاف درهم ؟ قال :  
قلت : نفسي ، فأنشأ يقول :

اخضض الصوت إن نطقت بليلى والتفت بالنهار قبل المقال  
قال أبو حاتم : الواجب على السائل أن يكون ناطقا كتميم وعلمنا كجاهل ،  
وساكتا كناطق ؛ لأن الكلام لا بد له من الجواب ، والجواب لو جعل له جواب  
لم يكن القول نهاية ، وخرج المرء إلى ما ليس له غاية ، والمكلم لا يسلم من أن  
ينسب إليه <sup>(١)</sup> الصلف والتكلف ، وانصرفت لا يلبق به إلا الوقار وحسن السمات -  
ولقد أحسن مدى يقول :

حَتَفُ امْرِئٍ لِسَانَهُ فِي حَدِّهِ أَوَّلُهُ  
بَيْنَ اللَّهِ مَقْتَلُهُ رُكْبَةٍ فِي مَرْكَبِهِ <sup>(٢)</sup>

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الفلاحي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد  
ابن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال  
عمرو بن الخطاب « يا أحنف ، مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ  
حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ »  
وأنشدني الأبرش :

مَازَلْتُ ذَوِصَمْتُ ، وَمَا مِنْ مَكْثَرٍ إِلَّا يَرِلُّ ، وَمَا يُعَابِ صَمُوتُ  
إِنْ كَانَ مَنْطِقُ نَاطِقٍ مِنْ فِضَّةٍ فَالْصَمْتُ كُرٌّ زَانَهُ الْيَاقُوتُ

(١) الصلف : الكبر

(٢) اللها : جمع لهاة ، وهي لحمة في سقف الخلق ، أي حشفه وهلاكه في لسانه  
وهو كما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم « مقتل المرء بين فكيه »

أَبْنَانَا ابْنُ قَتِيبَةَ حَدَّثَنَا الْمُسَيْبُ بْنُ وَاضِحٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ بَكَّارٍ يَقُولُ « جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ بَابَيْنِ ، وَجَعَلَ لِلَّانِ أَرْبَعَةَ : الشَّفَتَيْنِ مَصْرَاعَيْنِ ، وَالْأَسْنَانِ مَصْرَاعَيْنِ »

أَبْنَانَا بَكْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الطَّاحِيَّ بِالْبَصْرَةِ حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْمِيُّ أَبْنَانَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خَنْبَسٍ عَنْ وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ « أَنَّ شَابَاكَ بْنَ يَحْضَرَ مَجْلِسَ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ ، وَيُحَسِّنُ الْإِسْتِغَاةَ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، فَقَطَّنَ لَهُ عَمْرٌ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ تَحْضُرُ مَجْلِسَهُ ، وَتُحَسِّنُ الْإِسْتِغَاةَ ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ الشَّابُّ : إِنِّي أَحْضَرُ فَأَتَوَقَّى وَأَتَتَّقِي ، وَأَصِحْتُ فَأَسْلَمَ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! - الْوَالِجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُنْصَفَ أَذُنُهُ مِنْ قِيهِ ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا جَعَلَ لَهُ أُذُنَانِ وَفِيهِمَا وَاحِدٌ لِيَسْمَعَ أَكْثَرَ مَا يَقُولُ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ رُبَّمَا نَدِمَ ، وَإِنْ لَمْ يَقُلْ لَمْ يَنْدَمْ ، وَهُوَ عَلَى رَدِّ مَا لَمْ يَقُلْ أَتَقَدَّرُ مِنْهُ عَلَى رَدِّ مَا قَالُ ، وَالْكَلِمَةُ إِذَا تَكَلَّمَ بِهَا مَلَكَتْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكَتْهَا ، وَالْعَجَبُ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ إِنْ هِيَ رُفِفَتْ رُبَّمَا ضَرَّتْهُ ، وَإِنْ لَمْ تَرْفَعْ لَمْ تَضُرْ ، كَيْفَ لَا يَصْمُتُ ؟ وَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نَفْسَهُ ! »

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ قُرَيْشٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ النَّهْلِيُّ قَالَ : أَشَدُّنِي وَجَلَ مِنْ رِييَةِ :

لِعَمْرِكَ مَا شِئَ	عَلِمْتُ مَكَانَهُ	أَحَقَّ بِسَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ مُذَنَّلٍ
عَلَى فَيْكِ مَا لَيْسَ بِعَيْنِكَ شَأْنُهُ	يَقُولُ وَثَبِيحٌ مَا اسْتَطَعْتُ فَأَقِيلُ	
فَوَيْلٌ كَلَامٍ قَدْ جَرَى مِنْ مُتَمَارِجٍ	فَسَاقٍ إِلَيْهِ سَهْمٌ حَتْفٍ مَعْجَلٍ	
وَلَقِصْتُ خَيْرٌ مِنْ كَلَامٍ بِمَائِمٍ	فَكُنْ صَامِتًا تَسْلَمُ ، وَإِنْ قُلْتَ فَاعْدِلْ	

أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ يَزِيدَ عَنْ سُلَيْمَانَ

ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « كفى بك ظملاً أن لا تزال مخاصماً ، وكفى بك  
آثماً أن لا تزال عمارياً ، وكفى بك كاذباً أن لا تزال محدثاً ، إلا حديثاً في ذات  
الله تبارك وتعالى »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا معروف بن الحسن الكنانى حدثنا كثير  
ابن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن سعيد بن أبي سعيد عن كعب قال « العافية  
عشرة أجزاء ، تسعة منها في السكوت »

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدؤرق حدثنا يحيى  
القطان عن شعبة قال « من الناس من عقله بفنائه ، ومنهم من عقله معه ،  
ومنهم من لا عقل له ، فأما الذى عقله معه فالذى يُبصر ما يخرج منه  
قبل أن يتكلم ، وأما الذى عقله بفنائه فالذى يبصر ما يخرج منه بعد أن يتكلم .  
ومنهم من لا عقل له ، فحدثت به عبد الرحمن بن مهدى ، بعد ما رجعنا من عند  
يحيى ، فقال : هذه صفتنا ، يعنى الذى عقله بفنائه ، واستحسن الكلام ،  
وقال : لا ينبغي أن يكون هذا من كلام شعبة ، لعله سمعه من غيره »

وأشدنى البغدادي محمد بن عبد الله بن زنجى  
أنت من الصمت آمِنُ الزَّلَلِ ومن كثير الكلام فى وَجَلٍ <sup>(١)</sup>  
لا تنل القول ثم تُنْصِبه ياليت ما كنتُ قلتُ لم أقل  
سمعت محمد بن السيب يقول : سمعت العباس بن الوليد بن زيد يقول : سمعت  
أبى يقول سمعت الأوزاعى يقول « ما بلى أحد فى دينه بيلاً ، أضر عليه من  
طَلَاة لسانه »

سمعت محمد بن محمود النسائى يقول : سمعت أبا أحمد بن أبى قديد يقول :

(١) الزلل : السقوط ، والوجل : الخوف ، وكلامهما بفتح أوله وثانيه



سمعت العباس بن عبد العظيم يقول : سمعت عازماً يقول : سمعت خالد بن الحارث يقول « الكوت زين للعافل ، وشين للجاهل »  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : لو لم يكن في الصمت خصلة تحمد ، إلا تزَيْنُ العافل وتَشِينُ الجاهل به لكان الواجب على المرء أن لا يفارقه الصمت ما وجد إليه سبيلاً ، ومن أحب السلامة من الآثام فليقل ما يقبل منه ، وليقل مما يقبل منه : لأنه لا يجزىء على الكلام الكثير إلا فائق أو مائق<sup>(١)</sup> ،  
وقد ترك جماعة من أهل العلم حديث أقوام أكثروا الكلام فيما لا يليق بهم .  
من ذلك ما حدثنا به محمد بن الحسن بن مكرم بالبصرة حدثنا عمرو بن علي حدثنا أمية بن خالد عن سعيد قال : قلت للحكم : مالك لا تكتب عن زاذان ؟  
قال : كان كثير الكلام .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لسان العافل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد القول رجع إلى القلب ، فإن كان له قال ، وإلا فلا ، والجاهل قلبه في طرف لسانه ، ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه .  
واللسان إذا صلح تبين ذلك على الأعضاء ، وإذا فسد فكذلك .

أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الجنييد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن رجل قال « إني لا أكذب الكذبة فأعرفها في علي »  
أنبأنا أبو عروانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق حدثنا الفضل بن عبد الجبار حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال « ما صلح منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله » .

( ١ ) الفائق : المتفوق على القدرة على حسن التأتى وانتقاء القول من واسع ما علم . فهذا يقدم على الكلام وانقاً متيناً فيقيد . والمائق : الأحمق السفيه الذى لا يهتد أن يلقى نفسه في كل ورطة ، وأن يزع بنفسه في كل بلية لاخلص له منها لأنه لا يقدر العواقب ، ولا يفكر في المصائر .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : والعقل لا يتدى الكلام إلا أن يقال ولا يقول إلا لمن يقبل ، ولا يجيب إذا سُئِمَ ، ولا يجازى إذا أَسْعِمَ ؛ لأن الابتداء بالصمت وإن كان حسناً ، فإن السكوت عند التبيين أحسن منه »

وأنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

الصمت عند التبيين يسمعه      صاحبُ صدق لكل مضطرب  
فأثر الصمت ما استطعت ، فقد      يُؤثرُ قول الحكمي في الكتب  
لو كان بعض الكلام من وديق      لكان جُلَّ السكوت من ذهب

أخبرنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو بشر حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن القيرة بن مسلم المجببي عن أسير ابن جابر قال « ما رضعت عنراً قط » ولو قلت لا أرضعها خفت أن يصير بي البلاء إلى أن أرضعها ، إن البلاء مَوْكَلٌ بالقول »

وأنشدني الكروبي

استر الهمي ما استطعت بصمت      إن في الصمت راحةً للأصوات  
واجمل الصمت إن عييت جواباً      رب قول جوابه في السكوت

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا سفيان عن يزيد بن حبان عن عيسى بن عتبة قال : سمعت ابن مسعود يقول « والله الذي لا إله غيره ما شيء أحق بطول سجن من لسان » قال أبو حاتم رضي الله عنه : العقل يحفظ أحواله من ورود الخلل عليها في الأوقات ، وإن من أعظم الخلل للفرد السراثر والمذهب لصالح الضامر : لا أكثر من الكلام ، وإن أبيع له كثرة النطق ، ولا سبيل للمرء إلى رعاية الصمت إلا بترك ما أبيع له من النطق .

كما أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله عن

سفيان عن نسير بن دعلوق عن إبراهيم التيمي أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً فلم يسمع منه كلمة تعاب .

أنبأنا الجنيدي حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن أبي طمرة عن رجل من الحلي قال : أتيت الربيع بن خثيم بنعي الحسين . وقالوا : اليوم يشككم مقالة ، فأوّه ومدّ بها صوته ، ثم قال : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك بالخلق فباكتوا فيه يخجلون .

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الثعلابي حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حبيب حدثنا الأصمعي قال « بينا أنا أطوف بالبادية إذا أنا بأعرابية تمشي وحدها على بعير لها ، فقلت : يا أمة الجبار من تطلبين ؟ فقالت : من يهد الله فلا مضى له ومن يضل فلا هادي له ، قال : فعلت أنها قد أضلت أصحابها ، فقلت لها : كأنك قد أضلت أصحابك ؟ قالت : فهمناها سليمان ، وكلاً آتينا حكماً وعلماً ، فقلت لها : يا هذه من أين أنت ؟ قالت : سبجان الذي أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، فعلت أنها مقدسية ، فقلت لها : كيف لا تتكلمين ؟ فقالت : ما يلقض من قول إلا لمدية رقيب عتيد ، فقال بعض أصحابي : ينبغي أن تكون هذه من الخوارج ، فقالت : ولا تنف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، فبينا نحن نمشيها إذ رفعت لنا قباب وخيم ، فقالت : وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، قال : فلم أضل لقلوبها ، فقلت : ما تقولين ؟ فقالت : وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام ، قلت : بمن أصوت وبمن أَدعو ؟ فقالت : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، يا ذكريا إنا نبشرك ، يا داود إنا جطناك خليفة في الأرض ، قال : فإذا نحن بثلاثة أخوة كاللآلئ ، فقالوا : أمانا ورب السكبة أضللتنا منذ



« أمر أنا في طلبه منذ عشر سنين ، ولست بتارك طلبه ، قال : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعنيني » .

أخبارنا إبراهيم بن نصر العنبري حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم ابن رستم قال : سمعت خارجة يقول « صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئاً » .

### ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

أخبرني أحمد بن محمد بن حبيب الخنيدى قال : حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا محاسن بن المودع حدثنا الأعمش عن أبي سريان قال قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب له صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا فضل اللسان على سائر الجوارح ، ورفع درجته ، وأبان فضيلته ، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده ، فلا يجب للماقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب ، بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق ، وما يعود عليه نفعه في داره ، لأن اللسان يقتضى ما عود : إن صدقاً فصدقاً ، وإن كذباً فكذباً .

ولقد أحسن الذى يقول :

عود لسانك قول الطير تحفظ به إن اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضى ما سئنت له فاحتر لنفسك ، وانظر كيف تتراد

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن العباس البغدادى حدثنا المهيمن

ابن خازجة حدثنا الميثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول :  
 « كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أَجَنَّبَ بَنِي السَّعْنِ ، وكان يأمرني أن  
 لا أطعم طعاماً حتى يخرجوا إلى البراز ، وكان يقول : عَلَّمَ بَنِي الصَّدَقِ كَمَا نَعْلَمُهُم  
 القرآن ، وجنبهم الكذب وإن فيه كذا وكذا يعنى القتل »  
 وأنشدني الأبرش :

الكَذِبُ مُرْدِكٌ ، وإن لم تخف      والصدُّقُ منجيك على كل حال  
 فانطق بما شئت تجد غيبه      لم تُبْتَخَسْ وزنة مَقَال<sup>(١)</sup>  
 أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سليم  
 ابن جابر عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عمر بن الخطاب قال « إن  
 أبا بكر قام فينا عام أول ، فقال : إنه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من العفافة  
 بعد اليقين ، ألا إن الصدق والبر في الجنة ، ألا وإن الكذب والفسق في النار »  
 أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني  
 طيسلة بن علي الهذلي قال « كنت مع ابن عمر يوماً في أصول الأراك يوم عرفة ،  
 وبين يديه رجل من أهل العراق ، فقال له الرجل : يا ابن المنافق . قال : المنافق ،  
 - ونحك ! - الذي إذا حدث كذب ، وإذا وعد لم ينبجز ، وإذا أوثق لم يؤد » .  
 سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت محمد بن خلف بن أبي الأزهر  
 يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما من مُضْغَةٍ أَحَبُّ إلى الله من لسان  
 صدوق ، وما من مُضْغَةٍ أَبْغَضُ إلى الله من لسان كذوب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : كل شيء يستعار ليتجمل به سهل وجوده ،  
 خلا اللسان ، فإنه لا يبنى إلا عما عُوْدَ ، والصدق ينجي ، والكذب يُرْدِي ،

(١) غيب الشيء : عاقبته ، ولم تبْتَخَسْ : معناه لم تنقص .

ومن غلبَ لسانه أَمَره قومه ، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به ، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه .

حدثنا أحمد بن محمد بن زنجويه حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا أنس بن عياض عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب القرظي قال « إنما يكذب الكاذب من مَمَّاة نفسه » وأنشدني الكريزي .

كذبت ، ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدَّقا  
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً ، وإن كان صادقاً  
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا فقه إذا كان حاذقاً  
قال أبو حاتم : لو لم يكن للكذب من الشين إلا إزالته صاحبه بحيث إن صدق لم يُصدق ، لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم ، وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسياً ، فإذا كان كذلك كان كالمنادي على نفسه بالخبر في كل لحظة وطرفة .

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول سمعت نصر بن علي الجهضمي يقول : « إن الله أعاننا على الكذابين بالنسيان » وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا ما المرء أخطأه ثلاث فبعه ، ولو بكفٍ من رَماد  
سلامة صدره ، والصدق منه ، وكتان السرائر في القواد

أنبأنا بكر بن أحمد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عزة حدثنا سفيان ابن عيينة عن معمر قال قال الزهري « لو رأيت طاووساً نعلت أنه لا يكذب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : اللسان سبع عقور ، إن ضبطه صاحبه سلم ، وإن خلى عنه عقرة ، وبمه يفتضح الكذب ، فالماقل لا يشتمل بالخوض فيما لا يعلم فيمتهم فيما يعلم ، لأن رأس الذنوب الكذب ، وهو يبدى الفضائح ويكتم

الحامس ، ولا يجب على المرء إذا سمع شيئاً يعيبه أن يحدث به لأن من حدث عن كل شيء أزرى برأيه ، وأفقد صدقه .

ولقد أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الأحوص عن عبد الله قال « حَسْبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يَحْثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى بن مريم عليه السلام « طُوبَى لِمَنْ خَوَّنَ لِسَانَهُ ، وَوَسَّيَتْهُ يَدُهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ »  
أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

وَإِذَا الْأُمُورُ تَرَاوَجَتْ      فَالْصَّدَقُ أَكْرَمُهَا نِقَاجًا  
الْصَّدَقُ يَبْقَدُ فَوْقَ رَأْيِ      مَنْ خَانِيَهُ وَالْصَّدَقُ تَاجًا  
وَالْصَّدَقُ يَبْدَحُ زَنْدَهُ      فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ سَرَاجًا

أنبأنا القطان بالرفقة حدثنا نوح بن حبيب حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن منصور عن ربعي قالوا « من ذكرت يا أبا سفيان ؟ قال : ذكرت ربعيا ، وتَدْرُونَ مَنْ كَانَ رَبِي ؟ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَشْجَع ، زَعَمَ قَوْمُهُ أَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ ، فَسَمِعْتُ بِهِ سَاعَ إِلَى الْحِجَابِ ، فَقَالَ : هَاهُنَا رَجُلٌ مِنْ أَشْجَع ، زَعَمَ قَوْمُهُ أَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ ، وَإِنَّهُ يَكْذِبُ لَكَ الْيَوْمَ ، فَإِنَّكَ ضَرَبْتَ عَلَى ابْنَتِهِ الْبَيْتَ قَعَصِيًا ، وَهِيَ فِي الْبَيْتِ ، وَكَانَ غُرْبَةُ الْحِجَابِ لِلْعَاصِي ضَرْبُ السِّيفِ ، قَالَ : فَدَعَاهُ ، فَإِذَا شَيْخٌ مُنَحْنٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ رَبِّي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا هَذَا ابْنُكَ ؟ قَالَ : هَاهَا ذَانِ فِي الْبَيْتِ . قَالَ : لِحُطَّةٍ وَكَسَاهُ وَأَوْصَى بِهِ خَيْرًا »

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الفلاحي حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي عن أبيه قال « كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَمْنَى ، فَطُغْشَ ، فَأَتَاهُ إِلَى عَجُوزٍ ، فَاسْتَقَامَهَا مَاءً .



قالت : ما عندنا ، فقال : لينا ، فقالت : ما عندنا ، فبدرت جارية فقالت لها : تكذبين ، وما تستحين ؟ ثم قالت نعمر : هذا السقاء فيه لبن ، فسأل عمر عن الجارية فإذا أبوها تقف فخطبها على عاصم بن عمر ، فزوجها منه ، فولد له منها أم عاصم ، فزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز مروان ، رحمة الله عليه ! » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصدق يرفع المرء في الدارين ، كما أن الكذب يهوى به في الحالين ، ولو لم يكن للصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به قيل كذبه ، وصار صدقا عند من يسمعه — لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه ، حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب ، والى في بعض الأوقات خبر من النطق ؛ لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالى خير منه

أنشدني المنتصر بن بلال :

تحدث بصدق إن تحدثت ، وليكن لكل حديث من حديثك حين  
فما القول إلا كالثياب ، فبعضها عليك ، وبعض في الثخوت مصون<sup>(١)</sup>  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كم من حبيب كريم كان ذا شرف

قد شانه الكذب وسط الحى إن عدا

وآخر ، كان ضلوكا ، فشرقه

صدق الحديث وقول جانب القند

فصار هذا شريفا فوق صاحبه

وصار هذا وضيعا تحته أبدا

(١) الثخوت : جمع تحت ، وهو كل ما يحفظ فيه الثياب

أَبَانَا أَبُو خَلِيفَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ ، أَنَا سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَيْبٍ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ « لَا يَجِدُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحَقٌّ ، وَيَدَعَ السَّكْذِبَ فِي الْمِرَاحِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَقَلَبَ »

أَبَانَا ابْنُ سَعِيدٍ الْقُرَازِيُّ ، حَدَّثَنِي يَوْسُفُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ هَلَالٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ « دَرُّ مَالَسْتَ مِنْهُ فِي شَيْءٍ ، وَلَا تَنْطَلِقْ فِيهَا لِأَيَعْنِيكَ ، وَآخِرُنَّ لِسَانُكَ كَمَا تَحْزَنُ دِرَاهِمُكَ » وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ الْهَرَوِيُّ :

الْقَوْلُ كَاللِّسَنِ الْمُخْلُوبِ ، لَيْسَ لَهُ رَدٌّ وَكَيْفَ يَرُدُّ الْحَالِبُ اللَّبَنَ  
فِي ضَرْعِهِ ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ لَيْسَ لَهُ فِي الْجُوفِ رَدٌّ قَبِيحًا كَانَ أَوْ حَسَنًا  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ وَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ تَرْكُ الْإِغْصَاءِ عَنْ تَعْمِدِ  
اللِّسَانِ ؛ لِأَنَّهُ مَنْ كَثَرَ كَلَامَهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَالسَّقَطُ بِمَا تَعْدَى غَيْرُهُ فَيَهْلِكُهُ فِي  
وَرْعَةٍ لَا حَيَّةَ لَهُ فِي التَّخْلُصِ مِنْهَا ، لِأَنَّ اللِّسَانَ لَا يَنْدُمُ جُرْحَهُ ، وَلَا يَنْتُمُ مَاقِطَعُ  
بِهِ ، وَكَلِمَةُ الْقَوْلِ إِذَا وَصَلَ إِلَى الْقَلْبِ لَمْ يَنْزِعْ إِلَّا بَعْدَ مَلَّةٍ طَوِيلَةٍ ، وَلَمْ يَسْتَخْرِجْ  
إِلَّا بَعْدَ حَيَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَمَنْ النَّاسُ مِنْ لَا يُكْرِمُ إِلَّا لِلِّسَانِ ، وَلَا يَهَانُ إِلَّا بِهِ ؛  
فَالوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ يَهَانُ بِهِ .

أَبَانَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَتَمَاطِيُّ الْهَمْدَانِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيرٍ ، حَدَّثَنَا  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعَقِيلِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو سُلَيْمَةَ الْفَرَاعِيُّ ، حَدَّثَنَا شَيْبَةُ بْنُ شَبَةَ ،  
قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ سِيرِينَ يَقُولُ « السَّكْلَامُ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَكْذِبَ فِيهِ ظَرِيفٌ »  
ذَكَرَ الْحَثُّ عَلَى لُزُومِ الْحَيَاءِ وَتَرْكِ الْقَحْصَةِ <sup>(١)</sup>

أَبَانَا الْمُضَيْلِيُّ بْنُ الْحَبَابِ الْجَلَّاحِيُّ ، حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ،  
(١) الْقَحْصَةُ - تَكْسِرُ الْقَافَ وَفَتْحُهَا - مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ : وَقَعَ الرَّجُلُ - بِالْفَتْحِ - إِذَا قَلَّ حَيَاؤُهُ .

عن ربى ، عن ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل وبذر الخير ، وتركه أصل الجهل وبذر الشر ، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه ، لم ينصفه منهم قبحه ، ولقد أحسن الذى يقول :

وليس بمنسوب إلى العلم والنهى فتى لا ترمى فيه خلائق أربع  
فواحدة : تقوى الإله التى بها يقال جسيم الخير والفضل أجمع  
وثانية : صدق الحياء فإنه طباع عليه ذو المروءة يطبع  
وثالثة : حلم إذا الجهل أطلعت إليه خبايا من فجور تسرع  
ورابعة : جود بملك يمينه إذا نابه الحق الذى ليس يدفع  
وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه فلا خير فى وجه إذا قلّ ماؤه  
حياءك فاحفظه عليك ، فأنما يدل على وجه الكريم حياؤه  
أنيابا أبو خليفة حدثنا ابن كثير حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن  
أبي الأحوص عن عبد الله قال « ألّم شئ فى المؤمن القُحش » .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء اسم يشتمل على مجانية المسكروه من الخصال  
والحياء حيآآن : أحدهما : استحياء العبد من الله جل وعلا عند الاهتمام <sup>(١)</sup>  
بمباشرة ما حظر عليه .

والثاني : استحيآؤه من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول  
والفعل معاً .

(١) الاهتمام : أراد به الهم بالنهى والعزم على فعله

والحياء آن جيماً محمودان ، إلا أن أحدهما فرض والآخر فضل ، فزوم الحياء عند مجانية مانهى الله عنه فرض ، ولزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل .  
وأنشدنى محمد بن المنذر بن سعيد عن محمد بن خلف التيسى قال : أنشدنى رجل من خزاعة :

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فامنع ما تشاء  
فلا والله ، ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء  
بعيش المرء ما استحميا بخير ويبقى العود ما بقى الحياء

حدثنا إسحاق بن إبراهيم القاضى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى : أن أبا بكر الصديق قال يوماً وهو يخطب « أيها الناس ، استحيوا من الله ، فوالله ما خرجت حاجة منذ بايعت رسول الله صلى الله وسلم أريد العاطل إلا وأنا متنع رأسى حياء من الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء من الإيمان ، وللؤمن فى الجنة ، والبداء من الجفاء ، والجافى فى النار ، إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه .  
فإنما لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الوقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً ، وتوثر الشر منه موجوداً ؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين الزجورات كلها ، فبقوة الحياء يضمن ارتكابه إيها ، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إيها .

ولقد أحسن الذى يقول :

ورب قبيح ماحال يبنى وبين ركوبها إلا الحياء

فكان هو الدواء لها ، ولكن ، إذا ذهب الحياء فلا دواء  
وأنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى

ابن عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن أفلح عن زيد بن ثابت قال :  
« من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعود نفسه لزوم الحياء من الناس ، وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال المحموده ومجانبتها الخلال المذمومة ، كما أن من أعظم بركة الحياء من الله العود من النار بلزوم الحياء عند مجانبته ما نهى الله عنه ؛ لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معا فى المعاملة بينه وبين الله والعشرة بينه وبين المخلوقين ، وإذا قوى حياؤه قوى كرمه ، وضعف لؤمه ، وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه ، وضعف كرمه ، ولقد أنشدنى على بن محمد الباسى :

إذا رُذِّقَ الفتى وَجْهَهَا وَقَاحًا      تَقَلَّبَ فى الأمور كما يشاء  
ولم يك للذواء ولا لشيء      بمعالجه به فيه عَنَاء  
فمالك فى معاتبة الذى لا حياء      لوجهه إلا العناء

قال أبو حاتم : إن الرء إذا اشتد حياؤه صان عِرْضه ، ودفن مساويه ، ونشر محاسنه ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ، ومن ذهب سروره هان على الناس ومُتَّتْ ، ومن مُتَّتْ أودى ، ومن أودى حزن ، ومن حزن فقد عقله ، ومن أصيب فى عقله كان أكثر قوله عليه لا له ، ولا دواء لمن لا حياء له ، ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ومن قل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا لم تَصْنِ عِرْضًا ولم تخش خالقًا      وتستحي مخلوقا فما شئت فأصنع  
إذا كنت تأنى الرء تُعْطِمُ حَقَّهُ      ويجهل منك الحق فالصرم أوسع

أنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عبد الله بن مسعود التلمي باليمن حدثنا  
أحمد بن زيد بن السكن الجندی عن سفيان بن عيينة قال : قال يحيى بن جعدة  
« إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نية »

### ذكر الحث على لزوم التواضع ومحاربة الكبر

أنا أبو خليفة حدثنا موسى بن إسماعيل التبوذكي حدثنا إسماعيل بن جعفر  
عن الملا بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « ما نقصت صدقة من مال ، ولا زاد الله عبداً بغوا إلا عزاً  
ولا تواضع أحد لله إلا رفاه الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التواضع ومحاربة  
التكبر ، ولو لم يكن في التواضع خصلة محمد إلا أن المرء كلما كثر تواضعه أزداد  
بذلك رقة فكان الواجب عليه أن لا يتزبأ بفروه .

والتواضع تواضعان : أحدهما محمود ، والآخر مذموم . والتواضع الحمود :  
ترك المحاول على عباد الله ، والإعزاز بهم . والتواضع المذموم : هو تواضع المرء  
لدى الدنيا رغبة في دنياه .

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ، ولا يفارق التواضع  
المحمود على الجهات كلها .

ولقد أنا محمد بن الحسن بن سفيان ، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن  
عجلان عن بكير بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدى أن عمر بن الخطاب قال « إن  
الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكمته » <sup>(١)</sup> وقال : انتعش نضك الله ، فهو في

(١) الحكمة - بفتح الحاء - حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحكمة تمنعه عن  
مخالفة رابكه ، ومنه حديث عمر « إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكته » ورفها  
كتابة عن الإعراز ، لأن من صفة الدليل تنكيس رأسه

نفسه صغير ، وفي أعين الناس كبير ، وإذا تكبر العبد وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض، وقال: أخسأ ! أخسأك الله، فهو في نفسه كبير ، وفي أعين الناس صغير . قال أبو حاتم رضى الله عنه : التواضع يرفع المرء قدراً ، ويعظم له خطراً ، ويزيده نبلاً .

والتواضع لله جل وعز على ضربين :

أحدهما : تواضع العبد لربه عند ما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله ، ولا راء له عنده حالة يوجب بها أسباب الولاية ، إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذى يتفضل عليه بذلك ، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العجيب عن الطاعات والتواضع الآخر هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ما فارق من المآثم حتى لا يرى أحدا من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنائيات .

كما أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين . حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال : قال أبي « يا بني لو لم أحضر الموسم لرجوت أن يغفر لهم » .

أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى بن معاذ البراز ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن سميع ، حدثنا زهير بن محمد عن ابن جريح عن مجاهد في قوله ( كانوا لنا خاشعين ) قال « متواضعين »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم بمجانبة التكبر ، لما فيه من الخصال الذمومة

لحداها: أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ، ويرى لها على غيرها الفضل

والثانية : ازدراؤه بالعالم ، لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم ، وكفى بالمستحقر من أكرمه الله بالإيمان طغياناً .

والثالثة : منازعة الله جل وعلا في صفاته ، إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله جل وعلا ؛ فمن نازعه إحداهما ألقاه في النار ، إلا أن يفضل عليه بعفوه .  
ولقد أحسن الذي يقول :

التيهُ مُفسدة للدين ، منقصة للمقل ، مهتكة للعرض ، فانتبه  
لا تشرهنَّ : فإن الدل في الشره والعز في الحلم لا في البطش والسفه

سمعت محمد بن محمود الساسي يقول : سمعت أبا داود السجستاني يقول : سمعت الأصمعي يقول : سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول « الشريف إذا تقرأ <sup>(١)</sup> تواضع ، والدنيء إذا تقرأ تكبر »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يمتنع من التواضع أحد ، والتواضع يكسب السلامة ، ويورث الألفة ، ويرفع الخقد ، ويذهب الصد ، وثمرة التواضع الحجة ، كما أن ثمرة الفخاعة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه ، كما أن تكبر الوضيع يزيد في صغته ، وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة مذكرة ، وآخره يعود جيفة فذرة ، وهو بينهما يحمل العذرة ؟

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت ابن عيينة يقول : لو قيل أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لا نعرف .

وأشدنى الكريزي :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا      فكم تحتها قوم هم منك أرفع  
فإن كنت في عز وخير ومنعة      فكم مات من قوم هم منك أمتع ؟



أشدنا أبو عمرو أو ابن قتيبة ، أشدنا المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط :  
وكفى بملتص التواضع رفعةً وكفى بملتص العلو تسفلًا  
أبناؤا ابن خزيمة ، حدثنا محمد بن هشام المروزي ، حدثنا حفص بن غياث  
عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال « حج الحسين بن علي عشر حجج ماشيًا  
مُجِبُّهُ <sup>(١)</sup> تقاد إلى جنبه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أفضل الناس مَنْ تواضع عن رفعة ، وزهد عن  
قدرة ، وأنصف عن قوة ، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر ، فلا  
يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه ، وعجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ،  
وما رأيت أحدًا تكبر على مَنْ دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه .

وأشدني محمد بن أبي علي الخلابي :

ودع التيه والعُيُوس على الناس فإن العيوس رأس الحماقة  
كلما شئت أن تعادي عادي ست صديقًا وقد تفر الصداقه

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما استُجلبت الرغضة بمثل التكبر ، ولا اكتسبت  
الحجة بمثل التواضع ، ومن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ، ولا  
يجب لصاحب الكبر أن يطعم في حسن الثناء ، ولا تكاد ترى ثائها إلا وضيماً  
فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سنًا منه تواضع له ، وقال : سبقني إلى  
الإسلام ، وإذا رأى من هو أصغر سنًا تواضع له ، وقال : سبقته بالذنوب ، وإذا  
رأى من هو مثله عده أخًا ، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ، ولا يجب استحقار  
أحد ، لأن العود الذنوب ربما انتفع به فحكَّ الرجل به أذنه .

أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد ،

(١) نجب - بضم النون والجيم - جمع نجيب ، وهو الجمل

قال : سمعت محمد بن شعيب بن شابور يقول « دخل رجل الحمام وزيد بن أبي حبيب فيه ، وكان أسود ، فقال له : يا أسود قم فاغسل رأسي ، قال : قدام فشد عليه إزاره فغسل رأسه ، وذلك جسده ، فلما فرغ قال له الرجل : كثر الله في السودان مثلك ، قال : أحيت أن يكثر من يخدمك »

أبناؤنا محمد بن زنجويه القشيري ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله اللدائي ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال « لو بنى جبل على جبل لذلك الله الباغي منهما . »

أبناؤنا الحسن بن سفيان ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا نوح بن قيس عن أخيه عن قتادة قال : « ما سميت شيئاً قط » ثم قال لعلامة « ناولني نعل ، قال : نعلك في رجلك »<sup>(١)</sup>

أبناؤنا عبد الله بن محمد بن عمر ، أبناؤنا علي بن خنيس ، قال : سمعت الفضل بن موسى يقول « كان مالك بنس ، فقال لهما »<sup>(٢)</sup> « اشتر لي غلاماً وسمه باسم خفيف حتى لا أسمع ، قال : فاشترى له غلاماً ، وأدخله عليه ، فقال : اشتريت لك هذا الغلام ، وسميته باسم خفيف ، قال : ما سميته ؟ قال : فرقد ، قال : فنظر إلى الغلام ، وقال : اجلس يا واعد »

ذكر استجاب التجيب إلى الناس من غير مقارفة المأثم<sup>(٣)</sup>

أبناؤنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة ، عن موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن عمرو

(١) العبرة في هذا : أنه أنسى ما لا يصبح أن ينسى ، فكان دليلاً على فساد دعواه

(٢) التهرمان : الخادم . ومالك : هو ابن أنس إمام دار الهجرة

(٣) أي مع التحفظ والخنو أن يدنو بما فيه إثم وخطيئة تنضب الله

الأردى ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحرم على النار كل هين ثين قريب سهل »<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يتجنب إلى الناس بلزوم حسن الخلق ، وترك سوء الخلق ؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا ، كما تذيب الشمس الحديد ، وإن الخلق السيئ يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل ، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها ، وخلق سيئ ، فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الصالحة كلها . وأنشدني البغدادي :

خالق الناس بخلق حسن لا تكن كلباً على الناس يهر  
وأنهم منك يبشرونهم عرضك عن كل قدر

أنا حماد بن شعيب البلخي ببغداد ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا سفيان عن إبراهيم عن ميسرة عن طاووس قال : سمعت ابن عباس يقول « إن الرحم تقطع ، وإن النعم تكفر ، ولم أر مثل تقارب القلوب » .

أنا خالد بن عبد الله بن الوليد ، حدثنا محمد بن المنيرة النوفلي ، ثنا عبد العزيز بن منبج حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « إذا خالطت خالط حسن الخلق ، فإنه لا يدعو إلا إلى خير ، وصاحبه منه في راحة ، ولا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر ، وصاحبه منه في عناء ، ولأن بصحبتي فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبني قاريء سيئ الخلق ، إن العاسق إذا كان حسن الخلق عاش بقله وخف على الناس وأجوده ، وإن العابد إذا كان سيئ الخلق ثقل على الناس ومقتوه » .

(١) هين : ليس نافراً مستعصياً ، لين الجانب ليس خشناً ، قريب الخلق ليس شكماً

وَأَشَدُّ مُحَمَّدٌ لِلْمُهَاجِرِ الْمَدْلُ ، أَشَدُّ مُحَمَّدٌ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْيَعْمَرِيُّ :  
حَافِظٌ عَلَى الْخَلْقِ الْجَلِيلِ وَرُبَّهٖ مَا بِالْجَلِيلِ وَالْقَبِيحِ خَفَاءُ  
إِنْ ضَاقَ مَا لَكَ عَنْ صَدِيقِكَ فَأَلْقَهُ بِالْبَشَرِ مِنْكَ إِذَا يَحِينُ لِقَاءُ  
أُنْيَانَا الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْحَاقِ الْأَصْبَهَانِيِّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ الْقُومِيُّ ، حَدَّثَنَا  
الْخَلِيلُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : سَمِعْتُ حَمَادَ بْنَ سَلَمَةَ يَقُولُ « الصَّوْمُ فِي الْبِسْتَانِ مِنْ  
الْتِقَالِ » <sup>(١)</sup>

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حَسَنَ الْخَلْقِ بَذْرُا كِتْسَابِ الْحَبَّةِ ، كَمَا أَنَّ سُوءَ  
الْخَلْقِ بَذْرُا اسْتِجْلَابِ الْبُفْضَةِ ، وَمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ صَانَ عَرْضَهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ  
حَتَكَ عَرْضَهُ ؛ لِأَنَّ سُوءَ الْخَلْقِ يُوْرِثُ الضَّغَائِنَ ، وَالضَّغَائِنُ إِذَا تَمَكَّنَتْ فِي الْقُلُوبِ  
أَوْرَثَتْ الْعِدَاوَةَ ، وَالتَّعَادُؤَ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْ غَيْرِ صَاحِبِ الدِّينِ أَهْوَتْ صَاحِبَهَا إِلَى  
النَّارِ ، إِلَّا أَنْ يَتَذَكَّرَكَ الْمَوْلَى بِفَضْلٍ مِنْهُ وَعَفْوٍ .

أُنْيَانَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذَرِ ، حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمِيرَةَ النَّخَّاسُ ،  
حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ الزَّهْرِيِّ قَالَ « وَهَلْ يُنْتَفَعُ مِنَ السَّبْيِ  
« الْخَلْقُ بِشَيْءٍ ؟ »

وَأَشَدُّ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَبْرَشُ :

لِلْغَيْرِ أَهْلٌ لَا تَرَا لَ وَجُوهَهُمْ تَدْعُو إِلَيْهِ  
طَوِيْلِي لِمَنْ سَجَرَتِ الْأُمُورُ وَالصَّالِحَاتُ عَلَى يَدَيْهِ  
مَاتَ يَضِقُّ خُلُقُ الْقَتْلِ فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ عَلَيْهِ

أُنْيَانَا أَبُو يَعْلَى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَهْمَاءَ ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ ،

---

(١) أَيُّ صَوْمِ التَّنْقِلِ مَعَ وَجُودِ الرِّقَّةِ الدِّينِ خَرَجُوا فَانْزَهَ وَالتَّفَرُّجُ فِي بَسْتَانٍ  
كَثِيرِ الْعَاكِهَةِ الَّتِي قَلْبًا يَنْهَالُهَا طُلَابُ الْعِلْمِ ، فَمَنْ صَامَ كَذَلِكَ كَانَ مُنْتَفِعًا

عن موسى بن عبيد ، عن ميمون بن مهران قال « التوَّدد إلى الناس نصفُ العقل ، وحسن المسألة نصفُ العلم واقتصادك في معيشتك يُنتقى عنك نصفُ المؤونة »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : التعجب إلى الناس أسهل ما يكون وجها ، وأظهر ما يكون بشرا ، وأخصر ما يكون أمرا ، وأرق ما يكون نهيا ، وأحسن ما يكون خلقا ، وألين ما يكون كفا ، وأوسع ما يكون يدا ، وأدفع ما يكون أذى ، وأعظم ما يكون احتمالا ؛ فإذا كان المرء بهذا النعت لا يَحْزَنُ من يُحِبُّه ولا يَفْرَحُ من يَحْسُدُه ؛ لأن من جعل رضاه نعيما لرضا الناس <sup>(١)</sup> ، وعاشرهم من حيث هم استحق السكَّال بالسؤدد . وأشدنى على بن محمد البسامى :

أعاشر مَشْرَى في كل أمرٍ      بأحسن ما أُرِيتُ وما رَأَيْتُ  
وأجتنب الفُتَاح حيث كانت      وأترك ما هَوَيْتُ وما قَرَيْتُ <sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حاجة المرء إلى الناس مع نحبهم إياه خير من غناه عنهم مع بغضهم إياه ، والسبب الداعى إلى صَدِّ محبتهم له : هو التضايق في الأخلاق ، وسوء الخلق ؛ لأن من ضاق خلقه سئم أهله وجيرانه ، واستنقله إخوانه ، فحينئذ تَمْتَوِا الخلاص منه ، ودعوا بالهلاك عليه .

سمعت عمر بن سعيد بن سنان الطائى يقول : سمعت أبا الحسن الرهاوى يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول :

فَقَدَّتْ ثِقَالَ الناس في كل بلدةٍ      فياربٍ لا تنفِرُ لسكلٍ تعيل

---

(١) على شرط أن لا يرضيهم بما يغضب الله ، ويعنى بذلك أن يكون موطأ الكنف يألف ويؤلف .

(٢) وما فریت : أى ما أنيت من الأعمال العجيبة . يقال « فلان يفرى القرا » إذا كان يأتي بالحب . اه من لسان العرب

أُنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن البلخي حدثنا محمد بن إدريس الحافظ حدثنا محمد بن عبيد الله بن إسماعيل قال : سمعت عمرو بن الحارث يقول : تسخين العين النظر إلى من تسكوه<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الاستقلال من الناس يكون سببه شيئين : أحدهما : مقارفة المرء ما نهى الله عنه من الآثم ؛ لأن من تعدى حرمان الله أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ، ثم يوضع له البغض في الأرض ، فلا يكاد يراه أحد إلا استقله وأبغضه .

والسبب الآخر هو استعمال المرء من الطمّال ما يكره الناس منه ، فإذا كان كذلك استحق الاستقلال منهم . وأشدنى الكريزى :

لَقِنِي كُنْتُ سَاعَةً مَلَكَ الْمَوْتِ ، فَأَفَى الْقَتْلَ حَقَّ يَبِيدُوا  
وَلَوْ أَنِّي وَأَنْتَ فِي جَنَّةِ الْمَلَكِ لَقُلْتُ : ائْزُوجْ مِنْهَا أَرِيدُ  
لَدْخُولِ الْجَحِيمِ أَهْوَنَ مِنْ جِسْفَةِ خَلِيدٍ ، أَرَأَيْكَ فِيهَا تَمْرُودُ  
أُنبأنا عمر بن حفص البزاز بمحمد بن إدريس حدثنا إسحاق بن الصيفي حدثنا أبو مسهر حدثنا هشام بن يحيى قال « كان نقش خاتم أبيك - يعنى أبا أبي مسهر - اُبْرُمْتُ<sup>(٢)</sup> قم ، قال : فكان إذا جلس إليه الرجل فشاغل حرك خاتمه ، وقال : اقرأ نقش خاتمي ، وكان إذا قرأ قام »

أُنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن إدريس حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا موسى بن رباح قال : سمعت غزلاً أبا أبي عاصم يقول : إذا أبغضت الرجل أبغضت شقّي الذي يليه .

(١) من قولهم « أسخن الله عينه » أى أحزنه . كما قالوا « أقر الله عينه » إذا دهوا بأن يبره الله ويفرحه .

(٢) تقول : أبرم الرجل إرماً : أى أضجيره وأمله وأسامه .

سمعت محمد بن السري البغدادي يقول : سمعتُ أبا بكر المروزي يقول :  
سألت أحمد بن حنبل عن الثقلاء ، فقال : سألت عنهم بشراً الخافق ، فقال :  
النظر إليهم سُخْنَةٌ العين ، قلت لأحمد : من الثقلاء ؟ قال : أهل البدع .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه  
هو استئصال الخاص : إذا عرفَ أحدُهم من بعض الناس ثُلُماً فى السنة <sup>(١)</sup> أبغضه  
على بدعته ، فأما العام <sup>(٢)</sup> فلا يكادون يصادون ويوالون إلا على المحبوب من  
الخصال ، والمكروه من الفعال ، ألا ترى المَقْنَعُ الكِنْدِي حيث يقول لبعض  
من صحبه :

ألا ياترُ كَبَ المَقْتِ الذى أَرَسَى ، فلا يدرُجُ  
ويا من سكراتِ المَوْتِ من طلعت أرواحُ <sup>(٣)</sup>  
لقد صُوِّرَتْ فى فكرى فلا أدرى لما تصلحُ ؟  
فلا تصلحُ أن تهيجنى ولا تصلحُ أن تمدحُ  
بلى ، تصلحُ أن تُقتلَ أو تصلبَ أو تُذبحُ

سمعت أحمد بن محمد البلخي الذهبي يقول : قال محمد بن أبي الورد قال يحيى  
ابن ماسويه : النظر إلى الثقيل مُعَيِّ تَعْرِى بين الجلودين .

حدثنا أحمد بن عمر بن يزيد يقول : سمعت سلمة بن شبيب يقول : سمعت  
أبا أسامة يقول : اثنتى مِئْتَيْ خفيف على الفؤاد ، إِيَّايَ والثقلاء ، إِيَّايَ والثقلاء .  
أبنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا عباس بن أبي طالب حدثنا إبراهيم

(١) التلعة : فرجة المكسور والمهدوم ، ويعنى به التجافى عن السنة

(٢) أى العامة والجمهور من الناس

(٣) من الراحة ، أى أكثر راحة

ابن المنذر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال : سمعت رجلا من أهل البادية يقول : نظرت إلى ثقل مرة ، ففشى على وأنشدني المنتصر بن بلال :

وأنت على مودتنا حريص ولكن لا تخف على القواد  
وأثقل من رجا يزر علينا<sup>(١)</sup> كأنك من بقايا قوم عاد

حدثنا إبراهيم بن مضر بن عنب حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا وكيع حدثنا أبو سهل عن إبراهيم بن بكير قال : كان أبو هريرة إذا استقل جليسا له قال « اللهم اغفر لنا وله ، وأرحنا منه في عافية »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل بجانب الخصال التي تورثه استئصال الناس إياه ، وملازمة الخصال التي تؤديه إلى محبتهم إياه .

ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس ، ويستجلب به محبتهم : البذل لهم مما يملك المرء من خُطام هذه الدنيا ، واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى ، فلو أن المرء صحبه طائفتان : إحداهما تحبه ، والأخرى تبغضه ، فأحسن إلى التي تبغضه ، وأساء إلى التي تحبه ، ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما ، لكان أسرعهما إلى خذلانه وأبعدهما عن نصرته الطائفة التي كانت تحبه ، وأسرعهما إلى نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التي كانت تبغضه ، لأن الكلب إذا شبع قوى ، وإذا قوى أثل ، وإذا أثل تبع المأسول ، وإذا جاع ضعف ، وإذا ضعف أيس ، وإذا أيس ولى عن التبعوع .

(١) أى الرعى إذا طحن حب البزر الرطب بخلاف الزحاح يطحن بها ما يعيد بالتجفيف للطعام



فمن عدم المال فليسط وجهه للناس<sup>(١)</sup>. فان ذلك يقوم مقام بذل المعروف ،  
إذ هو أحد طرفيه .

أنبأنا محمد بن المهاجر العدل حدثنا هارون بن عبد الخالق المازني قال : سئل  
ابن المبارك عن حسن الخلق ، فقال « هو بسط الوجه ، وبذل المعروف »

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا محمد  
ابن القاسم الأسدي عن متعة بن عمرو قال « خرج غلام لنا بقمصة الدار ، أو بكناسة  
الدار ، عُريان ، وسعيد بن جبير على الباب ، فقال : يا خبيث ارفع إزارك » .

أنبأنا محمد بن إبراهيم البهري بالبصرة حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي  
حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : إذا لقي المسلم أخاه  
فصاحه وكثر<sup>(٢)</sup> في وجهه تحانت ذنوبه ، كما تحانت اليدق من الضخلة . فقال  
رجل لمجاهد : يا أبا الحجاج ، إن هذا من العمل اليسير . فقال مجاهد : ( ٨ : ٦٢ )  
هو الذي أيدك بنصره وباللومنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً  
ما ألفت بين قلوبهم ) أفسر هذا ؟ .

### ذكر استعمال لزوم المداراة ، وترك المداينة مع الناس

أنبأنا محمد بن قتيبة الأحمي بسقلاط وعمر بن سعيد بن سنان الطائي  
بتبنيج قالوا : حدثنا ابن واضح حدثنا يوسف بن أسباط حدثنا سفيان عن محمد  
ابن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مداراة الناس  
صدقة » .

---

(١) أي يسعهم يشره وحسن أخلاقه ، حيث لم يسعهم بحاله ، فإن في الأثر  
« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسومهم بأخلاقكم »  
(٢) كثر : تبسم وضحك ، لأنه يقال : كثر عن أسنانه أي أبدعها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دفع إليه في العشرة من غير مقارفة اللداهنة ؛ إذ المداراة من المداير صدقة له ، واللداهنة من اللداهن تكون خطيئة عليه ، والفصل بين المداراة واللداهنة : هو أن يجعل المرء وقته في الرياضة لإصلاح الوقت الذي هو له مقيم بلزوم المداراة ، من غير أن يترك الدين من جهة من الجهات ، فمتى ما تخلق المرء بخلق شابه<sup>(١)</sup> بعض ما كره الله منه في تخلقه ، فهذا هو اللداهنة ، لأن عاقبتها تصير إلى قتل ، ويلزم المداراة ؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله . ومن لم يدار الناس مثوه كما أنشدني علي بن محمد البساس :

دار من الناس مَلالاً مِمَّنْ لم يدارِ الناسَ مثوه  
وَسُكْرِمُ الناسِ حبيب لهم من أكرم الناس أحبوه

أيأنا محمد بن أحمد بن أبي عون المزياني حدثنا أحمد بن متيع حدثنا ابن المبارك عن الحسن بن عمرو عن منذر الثوري عن ابن الحنفية قال « ليس بحكيم من لم يباشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بداً ، حتى يأتيه الله منه بالفرج أو المخرج . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يداري الناس مداراة الرجل الساج في الماء الجاري ، ومن ذهب إلى حشرة الناس من حيث هو كدَّر على نفسه عيشه ، ولم تصف له مودته ؛ لأن وداة الناس لا يستطلب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه إلا أن يكون مأثماً ، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة ، والبشر قد رُكِبَ فيهم أهواء مختلفة وطباع متباينة ، فكما يَشُقُّ عليك ترك ما حُبِلَ عليه ، فكذلك يَشُقُّ على غيرك مجانبته مثله ، فليس

(١) أى : خالطه . يقال : شاب اللبن ماء ، أى خلطه .

إلى صفو ودادهم سبيل ، إلا بمعاشرتهم من حيث هم ، والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات. أنشدني الأبرش :

وقالت ، وهزت رأسها وتضاحكت : على الود تُجفَى ، أم على العهد تُوصَل ؟  
فقلت : فلم أفعل ، فقالت : تُريدُه فقلت : فلم أفعل ، فقالت : ستفعل

أنبأنا ابن قحطبة حدثنا أحمد بن المقدم حدثنا حرم<sup>(١)</sup> قال : سمعت حبيب ابن الشهيد يقول : سمعت الحسن يقول « يا ابن آدم ، أحسب الناس بأى خلق شئت يصحبوك عليه » وأنشدني الكريزى :

تجنّى علي بما قد جنى ويُلفظ في القول ، إن لنت له  
ويسبق بالعدل لي ظالما كأن الصواب له لآية  
كما قال في مَثَلِي عالمٌ خذِرَ اللص بالذنب لا تُغفله<sup>(٢)</sup>  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من التمس رضا جميع الناس التمس مالا يُدركه ، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بدءاً ، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من الماديات كان يستقبحها ، واستقبح أشياء كان يستحسنها ، ما لم يكن مأثماً ؛ فإن ذلك من المداراة ، وما أكثر من دارى فلم يسلم . فكيف توجد السلامة لمن لا يدارى ؟ أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

ياذا الذى أصبح لا والد له على الأرض ولا والده  
قد مات من قبلهما آدم فأى نفس بعده خالده ؟  
إن جئت أرضاً أهلها كلهم عورٌ ، فقمض عينك الواحد

(١) في الخلاصة في ترجمة أحمد بن مقدم : وروى عن حماد بن زيد ،  
وَجَزَمَ الْقَطْعِي - بِالْجَمِّ وَالزَّاي  
(٢) من أمثال العرب « خذ اللص قبل يأخذك »

أَبَانَا أَبُو يَعْلَى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ ، حَدَّثَنَا مَهْدِي بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا مَعَاذُ بْنُ سَعْدٍ الْأَعْمُورُ قَالَ « كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ لَخِذْتُ رَجُلًا بِمَحْدِثٍ ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي حَدِيثِهِ ، قَالَ : فَغَضِبَ ، وَقَالَ : مَا هَذِهِ الطَّبَاعُ ؟ إِنْ لَأَسْمَعَ الْحَدِيثَ مِنَ الرَّجُلِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِهِ ، فَأُريه كَأَنِّي لَا أَحْسَنُ مِنْهُ شَيْئًا »

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهَاجِرِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّيْدَاوِيُّ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الدَّائِنِيِّ ، قَالَ : قَالَ معاوية « لَوْ أَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شُمْسَةٌ مَا انْقَطَعَتْ ، قِيلَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ إِنْ مَدَّوْهَا خَلَّتْهَا ، وَإِنْ خَلَّوْهَا مَدَّدَتْهَا »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه ، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب ، كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه ، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن ينال منهم الوداد ، وترك الشُّعْضاء ، ومن لم يدارِ صديق السوء كما يداري صديق الصَّدِّق ليس بمحازم . ولقد أحسن الذي يقول :

تجنب صديق السوء وأصرمُ حباله وإن لم تجد عنه تحيصاً فداره  
وأحبب حبيب الصديق ، واحذر مراده تنل منه صفو الود ما لم تماره  
أَبَانَا الْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ الْخُورَانِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو مَسِيرٍ ، حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ هَاشِمٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَمَ قَالَ : قَالَ أَبُو الثَّرَدَاءِ لَأُمِّ الثَّرَدَاءِ « إِذَا غَضِبْتُ فَرَضِيْنِي ، وَإِذَا غَضِبْتَ رَضِيْتِكَ ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ هَكَذَا مَا أَسْرَعَ مَا تَفْتَرِقُ »  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل إذا دفعه الوقت إلى محبة من لا يثق بصداقته ، أو صداقة من يثق بأخوته ، فرأى من أحدهما زَلَّةً فَرَقَّضَهُ لَزَلَتِهِ ، بَقِيَ وَحِيدًا لَا يَجِدُ مَنْ يَعْاَشِرُ ، فَرِيدًا لَا يَجِدُ مَنْ يَخَادُنُ ، بَلْ يُنْضَى عَلَى الْأَمْرِ

الصادق زلاته ، ولا يناقش الصديق السيء على عثراته : لأن المناقشة تلزمه في تصحيح أصل الوداد أكثر مما تلزمه في فرعه .

ومن أنواع المداراة : ما حدثني الحسن بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبيب ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال « كانت لرجل جارية ، فوطئها سرا ، فقال لأهله : إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ، فاغتسلوا ، فاعتسل هو واعتسل أهله ، قال ابن شوذب : وكانت مريم تغتسل في كل ليلة »

وأنشدني منصور بن محمد الكريري :

أَغْضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي ، كَأَنِّي لَدَيْهِ بِمَا يَأْتِي مِنَ الْقَبِيحِ جَاهِلُ  
وَمَا بِي جَهْلٌ ، غَيْرَ أَنَّ خَلِيقَتِي تَطْبِقُ احْتِمَالَ الْكُفْرِ فِيمَا أُحَاوِلُ  
مَتَى مَا يَرِينِي مَفْصِلُ قَطْعَتُهُ بَقِيَتْ وَمَالِي فِي نَهْوِضِي مَفَاصِلُ <sup>(١)</sup>  
وَلَكِنْ أَدَارِيهِ ، وَإِنْ صَحَّ شَدَّتْنِي فَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامِلُ <sup>(٢)</sup>

أنبأنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال علي « لاتعامل بالخدعة ، فإنها تُخْلِقُ اللثام ، وأنحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة ، وساعده على كل حال ، ورزّل معه حيث زال »

(١) يقول : لو أتى كما رابى من صديق أمر بسبب فصل ما بيننا من مودة لم أجد عند احتياجي إلى من ينهض بي عند عثرتي صديق . كما قال بشار بن برد :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَانِيَا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقُ الَّذِي لَا تَعَانِيَا  
فَعِشْ وَاحِدًا ، أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفٌ ذَنْبٍ مَرَّةً وَجَانِيَا

(٢) يقول : إن من الحكمة أن أداري صديقي وأغض عن زلاته ، حتى إذا صح وده قويت به ، وأعطاني شدة في أمري ، وإن ضعف وعجز وجدت منه بعض ما يتحامل به من قوة أنتقم بها

## ذكر استحباب إفشاء السلام ، وإظهار البشر والتبسم

أبنا أحمد بن صالح الطبري ، حدثنا الفضل بن سهل الأعرج ، حدثنا محمد بن جعفر المدائني ، حدثنا ورقاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السلام اسم من أسماء الله ، وضعه في الأرض ، فأفشوه بينكم ؛ فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بالقوم فسلمَّ عليهم فردُّوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم بالسلام ، فإن لم يردوا عليه ردَّ عليه من هو خير منهم وأطيب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العام ؛ لأن من سلمَّ على عشرة كان له عتق رقبة ، والسلام مما يذهب إفشائه بالمكنن من الشحنة<sup>(١)</sup> ، وما في الخلد من البغضاء ، ويقطع الهجران ، ويصافي الإخوان .

والبداي بالسلام بين حنتين : إحداهما : تفضيل الله عز وجل إياه على السلم عليه بفضل درجة ، لئلا يكبره إياهم بالسلام ، وبين ردَّ الملائكة عليه عند غفلتهم عن الرد .

ولقد أبنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا القاسم ، حدثنا شعيب بن واقد حدثنا جرير ، قال : قال زبيد الباهي<sup>(٢)</sup> « إن أجود الناس من أعطى مالا لا يريد جزاءه ، وإن أحسن الناس غفواً من عفا بعد قدرة » ، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه ، وإن أجمل الناس من بخل بالسلام » .

(١) المكنن : ما أكنه الضمير فأخفاه . والشحنة : المحسومة . والحلد - بفتح الحاء واللام - البال والقلب والنفس . وجمعه : أخلاذ . يقال « وقع ذلك في خلتي » أي في روعي وقلبي (٢) هو زيد - مصفرا - بن الحارث ، الباهي ، ويقال : الإباهي -

أخبرنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن  
رسالة بن زفر العبسي ، قال حدثنا عمار بن ياسر قال « ثلاث من جعلن جمع  
الإيمان : الإنفاق من الإقتار ، والإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلم إذا لقي أخاه المسلم أن يسلم  
عليه متبسما إليه ، فإن من فعل ذلك تحات عنها خطاياها كما تحات ورق<sup>(١)</sup>  
الشجر في الشتاء إذا نيس ، وقد استحق المحبة من أعطاهم بشر وجهه .

ولقد أخبرني محمد بن المهاجر المذلل ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام العنبري ،  
حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا إسماعيل بن حماد عن سعيد بن الحسن  
قال : قيل له « ما أبشك ؟ قال : إنه يقوم على برخيص<sup>(٢)</sup> » وأنشدني الأبرش :  
أخو البشر محبوب على حسن بشره      وإن يعدم البغضاء من كان عابسا  
ويسرع بخل المرءى هتك عرضه      ولم أر مثل الجود للمرء حارسا  
قال أبو حاتم : البشاشة إدام العلماء ، وسجية الحكماء ، لأن البشر يظني نار  
المعاندة ، ويحرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصين من الباغي ، ومنجاة من  
الساعي<sup>(٣)</sup> ، ومن بش للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك .

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن محمد العبادي حدثنا سويد بن  
علي بن منبه عن هشام بن عروة عن أبيه قال « أخبرت أنه مكتوب في الحكمة :  
يا بني ، إسكن وجهك بسطاً ، ولتكن كلتك طيبة - تكن أحب إلى الناس  
من أن تعطيه العطاء » .

(١) تحات : سقط لجفافه وريسه .

(٢) يقول : إن البشاشة رخصة لا تكلفه مالا ولا جهدا ، وإنها غالية وقيمة ،  
لأنها تجذب القلوب ، وتقتلع أسباب البغضاء .

(٣) الذي يسعى بالوقعة ليفرق بين الأحبة .

وأنشدني الخلداني أنشدنا أحمد بن بكر بن خالد اليزيدي نسيدي بن  
عبيد الطائي :

إِلَّقَ بِالْبَشَرِ مِنْ لَقِيَتْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا ، وَلَا قِيمَ بِالطَّلَاقِ  
تَجْنِ مِنْهُمْ جَنَى ثَمَارِ ، فَخَذَهَا طَيِّبًا طَعْمُهُ لَذِيذَ الْمَذَاقِ

أخبرنا محمد بن صالح الطبري حدثنا محمد بن حميد حدثنا حكام بن مسلم  
عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قال « يعجبني من القراء كل سَمَلٍ طَلَّقَ  
يَضْحَاكَ . فَأَمَّا مَنْ تَلَفَاهُ بِبَشَرٍ وَيَلْقَاكَ بِبُيُوسٍ يَحْنُ عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ ، فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ  
فِي الْقِرَاءِ ضَرْبَ هَذَا <sup>(١)</sup> »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب على العاقل إذا رزق السلوك في ميدان  
طاعة من الطاعات إذا رأى من قَصَرَ في سلوك قَصْدِهِ أَنْ يُعَيِّسَ عَلَيْهِ بِعَمَلِهِ  
وَجِبِهِ ، بَلْ يُظْهِرِ الْبَشَرَ وَالْبِشَاةَ لَهُ ، فَلَعَلَّهُ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى صَحَّةِ  
الْأُذُوبَةِ إِلَى قَصْدِهِ مَعَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ وَالشُّكْرِ لَهُ عَلَى مَا وَقَفَهُ لخدمته ،  
وَحَرَّمَ غَيْرَهُ مِثْلَهُ .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلداني أخبرني محمد بن موسى السمرى أن حماد  
بن إسحاق أنشدني :

فَتَى مِثْلَ صَفْوِ الْمَاءِ ، أَمَا لِقَاؤُهُ      فَيَشْرُ ، وَأَمَا وَعْدُهُ فَجَمِيلُ  
يَسْرُكُ مُقْتَرًا ، وَبَشَرُ وَجْهِهِ      إِذَا اعْتَلَّ مَذْمُومُ الْقِيعَالِ بِخَيْلِ  
عَبِيٍّ عَنِ الْقَمَشَاءِ ، أَمَا لِسَانُهُ      فَصَفَّ ، وَأَمَا طَرَفُهُ فَكَلِيلُ

---

(١) الضرب والضرب : المثل في الشكل والتقدم والخلق . ويقال « فلان  
ضرب فلان » أى نظيره وشبيهه . والجمع ضروب وضراب .



وأشدني منصور بن محمد الكرزي :  
 لن تستتم جيلاً أنت فاعلهُ إلا وأنت طليقُ الوجه بهلولُ  
 ما أوسط الخير فأسطراحتك به وكن كأنك دون الشر مغلول  
 أنبأنا محمد بن المهاجر العدل حدثنا الدارمي حدثنا موسى بن إسماعيل  
 حدثنا أبو عوانة عن إسماعيل بن سالم عن حبيب بن أبي ثابت قال « من حسن  
 خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم »

ذكر ما أيسح من المزاح للمرء ، وما كره له منه

أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا هذبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا  
 قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان له خادم يقال له : أنجشة ،  
 وكان حسن الصوت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنجشة لا تكسر  
 القوارير <sup>(١)</sup> » قال قتادة : يعني ضممة النساء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس  
 إليه بالمزاح ، وترك التعبس .

والمزاح على ضربين : فزاح محمود ، ومزاح مذموم .  
 فأما المزاح المحمود : فهو الذى لا يشوبه <sup>(٢)</sup> ما كره الله عز وجل ، ولا يكون  
 بآثم ولا قطيعة رحم .

وأما المزاح المذموم : فالذى يُثير العداوة ، ويُذهب البهائم ، ويقطع الصداقة ،  
 ويُجرىء الدناء عليه ، ويُخذل الشريف به .

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقي حدثنا أبو موسى الأنصارى

(١) كان أنجشة رضى الله عنه يحدو الإبل وينشطها في السير بحميل موته ،  
 فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « يا أنجشة رققا بالقوارير » (٢) يشوبه : يخالطه  
 ٦ — روضة القلاء

حدثنا بكر بن سليم قال : سمعت ربيعة يقول « إياكم والمزاح ، فإنه يُفسد المودة » ، ويُفْلُ الصلر » .

أنا أنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضيل بن الحضر التميمي حدثنا عبد الله بن حبيب قال : كان يقال « لا تمازح الشريف ، فيحقد عليك ، ولا تمازح الوضيع ، فيجترى عليك »

وأشدنى محمد بن عبد الله :

أكرم جلسك ، لا تمازح بالأذى إن المزاح تُرى به الأضغان<sup>(١)</sup>

كم من مزاح جَدَّ حَبْلَ قَرِينِهِ فتجذمت من أجله الأقران<sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح فى غير طاعة الله مُسَلِّية للبهاء ، مُقَطَّعة للصدقة ، يورث الضغن ، وينبت الغل .

وإما سُمى المزاح مزاحاً لأنه زاح عن الحق ، وكَم من افتراق بين أخوين ، وهجران بين متآلفين ، كان أول ذلك المزاح .

أنا أنا محمد بن أحمد بن الحسين القرشي حدثنا الأسود بن عامر عن أبي إسرائيل عن الحكم قال : كان يقال « لا تماز صديقك ولا تمازحه ، فإن مجاهدًا كان له صديق ، فمازحه ، فأعرض كل واحدٍ منهما عن صاحبه ، فمازاده عن السلام حتى مات »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من المزاح ما يكون سبباً تهيج المراء ، والواجب على العاقل اجتنابه ؛ لأن المراء مدموم فى الأحوال كلها ، ولا يخلو المأزى

(١) ترى : إما من الرؤية ، فعناه : تتكشف وتظهر به الأضغان ، وإما من الورى . ومعناه تفدح به شرارة العداوة ، وتشتعل به نار البغضاء .

(٢) جذ الحبل وجذمه : قطعه ، غير أن الجذ يستعمل كثيراً فى الفخار والزروع لأن فيه معنى الاستئصال ، والجذم فى القطع مع سرعة .

من أن يفوته أحد رجلين في المراء : إما رجلٌ هو أعلم منه ، فكيف يجادل من هو دونه في العلم ؟ أو يكون ذلك أعلم منه ، فكيف يمارى من هو أعلم منه ؟ .  
ولقد سمعت حفص بن عمر البزاز يقول : سمعت إسحاق بن الضيف يقول :  
سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول لابنه كُدام :

إني نخلتك <sup>(١)</sup> يا كدام نصيحتي فاسمع مقال أبي عليك شفيق  
أما المراحة والمراء فذعهما خُلقان لا أرضاهما لصديق  
إني بآلتهما ، فلم أخدعهما لمجاور جاراً ، ولا نشفيق  
والجهل يُرَى بالفتى في قومه وعروقه في الناس أي عروق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : المراء أخو الشنآن <sup>(٢)</sup> ، كما أن المناقشة أخت  
العداوة ، والمراء قليل نفعه ، كثير شره ، ومنه يكون السباب ، ومن السباب  
يكون القتال ، ومن القتال يكون هراقة الدم <sup>(٣)</sup> وما مارى أحد أحداً إلا وقد  
غَيَّرَ المراء قلوبهما ، ولقد أحسن الذي يقول :

وإياك من حلوا المزاح ومرة ومن أن يراك الناس فيه مماريا  
وإن مراء المرء يُخلِّق <sup>(٤)</sup> وجهه وإن مزاح المرء يبدي الشنانيا  
دعاه مزاح أو مراء إلى التي بها صار مَقْلِيَّ الإخاء وقاليا <sup>(٥)</sup>  
أخبرني محمد بن المنذر حدثني كثير بن عبد الله التميمي حدثني إسماعيل  
ابن محمد الطلحي حدثنا أبو الأخفش السكتاني أنه قال لابن له :

(١) إما أن يكون بالحاء المعجمة ، من نخل البقي : صفاء ، واستخلص نقيه ،  
يقصد أني استخلصت لك أصدق نصيحة وأصفها ، وإما من التحلة - بالحاء المهملة -  
وهي العطية الخالصة على ود وتكريم (٢) الشنآن : شدة البغض والعداوة  
(٣) « هراقة » أصله إرواقه ، ويقال : أراق ، وهراق ، وأهراق ، بمعنى سفع  
وأسال (٤) أخلفت الثوب : أبليت جدته ، وأذهبت رونقه وبهجته  
(٥) « القلي » اسم مفعول ، من قليت : بمعنى هجرت وأبغضت .

أَبَى لَا تَلُكُ مَا حَبِيتَ مَارِيَا وَدَعِ السَّفَاهَةَ ، إِنَّمَا لَا تَنْفَعُ  
لَا تَعْمَلَنَّ ضَعِيفَةً لِقَرَابَةٍ إِنَّ الضَّعِيفَةَ لِلْقَرَابَةِ تَقْطَعُ  
لَا تَحْسِبَنَّ الْحِلْمَ مِنْكَ مَدَلَّةً إِنَّ الْحِلْمَ هُوَ الْأَعْزُ الْأَمْنَعُ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَالِدِيُّ الْمَهْرِيُّ حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَرْيَدٍ  
قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ : قَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ « إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ  
لَجُوجًا مَارِيًا مَعْجَبًا بِرَأْيِهِ ، فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْمَزَاحُ إِذَا كَانَ فِيهِ إِثْمٌ فَهُوَ بِسُوءِ الْوَجْهِ ،  
وُيَدْمَى الْقَلْبَ ، وَيُورِثُ الْبَغْضَاءَ ، وَيُحْيِي الضَّعِيفَةَ ، وَإِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ  
يُسْتَلَى الْهَمُّ ، وَيَرْقَعُ الْخُلَّةُ <sup>(١)</sup> ، وَيُحْيِي النَّفْسَ ، وَيَذْهَبُ الْحِشْمَةُ ، فَالْوَاجِبُ  
عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ مِنَ الْمَزَاحِ مَا يَنْسَبُ بِفَعْلِهِ إِلَى الْخُلَاوَةِ ، وَلَا يَنْوِي بِهِ أَذًى  
أَحَدًا ، وَلَا سُرُورَ أَحَدٍ بِمَسَاءَةِ أَحَدٍ .

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَائِذٍ - كَانَ مِهْرَةً - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ  
ابْنُ حَكِيمٍ الْغُرْيَانِيُّ - قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى مَرْوٍ - حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ  
الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ « لَا يَمَازُحُكَ إِلَّا مَنْ يَحْبُكَ »

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقَزَّازُ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجَنْدِ حَدَّثَنَا الصَّلْتُ  
ابْنُ مَسْعُودٍ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّيْنَةَ قَالَ : أَطْفَنِي سَمِعْتُهُ مِنْ دَاوُدَ بْنِ شَابُورَ ، عَنْ مُحَمَّدٍ  
ابْنِ الْمُسَكْدَرِ قَالَ : قَالَتْ لِي أُمِّي وَأَنَا غُلَامٌ « لَا تَمَازُحِ الْغُلَامَانَ ، فَتَهْوُونَ عَلَيْهِمْ ،  
أَوْ يَحْتَرِثُوا عَلَيْكَ »

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا ابْنُ عَائِشَةَ حَدَّثَنَا دُرَيْدُ بْنُ مَجَاشِعٍ عَنْ  
غَالِبِ الْقَطَّانِ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ « مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ

(١) الْخُلَّةُ ، بِضَمِّ الْحَاءِ : الصَّدَاقَةُ ، أَيْ يَرْقَعُ وَيُصْلَحُ مِنَ الصَّدَاقَةِ وَالْحُبَّةِ  
مَا مَرَّقَتْهُ اللَّالَةُ وَالسَّامُ .

قَلَّتْ هَيْئَتُهُ ، وَمِنْ مَزَحِ اسْتُخِفَّ بِهِ ، وَمِنْ أَكْثَرِ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ «  
 أَنبَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ حَدَّثَنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الطَّائِفِيُّ عَنْ مُبَشَّرِ  
 ابْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ رَاشِدِ بْنِ أَبِي قَبَالٍ قَالَ « اسْتَقَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، فَأَتَتْهُ  
 بِسُورِقٍ مُحَلَّى ، فَقَالَ : يَا رَاشِدُ شَكَرَ أَزْدَسْتُ شَيْئِينَ <sup>(١)</sup> »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من مازح رجلا من غير جنسه هان عليه  
 واجترأ عليه ، وإن كان المزاح حقاً ، لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير  
 مسلكه ، ولا يظهر إلا عند أهله .

على أنى أكره استعمال المزاح بمحضرة العام ، كما أكره تركه عند حضور  
 الأشكال .

ولقد أخبرنا كامل بن مكرم حدثنا ربيعة بن الحارث الجبلاfi حدثنا عبد الله  
 ابن عبد الجبار الجبلاfi قال : قال أبو عبد الرحمن الأعرج « كان إبراهيم بن آدم  
 يحدثنا ، ويفضاحكنا ، وإذا رأى غيرنا قال : هذا جاسوس »

### ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاماً

أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم - بيت المقدس - حدثنا عبد الرحمن  
 ابن إبراهيم حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عطاء بن يزيد اللبتي  
 عن أبي سعيد الخدري قال « قيل : يا رسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟ قال :  
 الجهاد فى سبيل الله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل فى شعبٍ من الشعب يتقى الله ،  
 ويدع الناس من شره »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الاعتزال عن الناس

---

(١) بالفارسية - الشكر : السكر . أز : من . دست : يد . شير بن : حلو . ومعناه  
 السكر يكون من يدك حلو

عائداً ، مع توفيق مخالطتهم ؛ إذ الاعتزال من الناس لو لم يكن فيه خَصْلَةٌ مُحَمَّد  
إلا السلامة من مقارفة المآثم لكان حقيقاً بالمرء أن لا يُكَدَّر وجود السلامة  
بلزوم السبب المؤدى إلى المناقشة

ولقد أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله ، أخبرنا  
شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب قال :  
« خذوا بحظكم من العزلة »

أنبأنا عمرو بن سعيد بن سنان الطائى حدثنا حامد بن يحيى البلخى قال :  
سمعت سفيان بن عيينة يقول « رأيت الثوري في المنام ، فقلت له : أوصنى ،  
فقال : أَقِلَّ معرفة الناس ، أَقِلَّ معرفة الناس ، أَقِلَّ معرفة الناس »

أنبأنا القطان بالرقّة حدثنا المروذى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول  
« رأيت ابن التَّمَكِّ بكبب إلى أخ له : إن استطعت أن لا تكون لعير الله عبداً  
ما وجدت من العبودية بدءاً ، فأفضل . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يستعبد نفسه لأمثاله بالقيام فى رعاية  
حقوقهم ، والتصبر على ورود الأذى منهم ، ما وجد إلى ترك الدخول فيه سبيلاً ،  
لأنه إذا حَسَمَ عن نفسه ترك الاختلاط بالعالم ، والمخالطة بهم تمكَّنَ من صفاء  
القلب ، وعدم تكثُّر الأوقات فى الطاعات .

ولقد استعمل العزلة جماعة من المتقدمين مع العام والخاص معاً .

كما أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد بن سليمان  
الدمياطى حدثنا عبد الرحمن بن عوف قال : سمعت ابن المبارك يقول « عادَ فضيلٌ  
داودَ الطائى ، فأغلق داودُ الباب ، وجلس فضيل خارج الباب يبكى ، وداود  
داخل البيت يبكى »

أنبأنا الحسين بن محمد السنجي حدثنا علي بن المنذر حدثنا الحسن بن مالك قال : سمعت بكر بن محمد العابد يقول : قال لي داود الطائي « يا بكر ، استوحش من الناس كما تستوحش من السبع »

أنبأنا محمد بن أحمد بن الفرج البغدادي بالأبلة حدثنا إبراهيم بن حماد بن زياد حدثنا عبد العزيز بن الخطاب قال « روى إلى جنب مالك بن دينار كلب عظيم ضخم أسود رابض ، قيل له : يا أبا يحيى ، ألا ترى هذا الكلب إلى جنبك ؟ قال : هذا خير من جليس السوء »<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذي ذهب إليه داود الطائي وضربوا من القراء من لزوم الاعتزال من الخاص ، كما يلزمهم ذلك من العام - أرادوا بذلك عند رياضة الأنفس على التصبر على الوحدة ، وإينار ضد الخلطة على المعاشرة : فإن المرء متى لم يأخذ نفسه بترك ما أبيح له فأنا خائف عليه الوقوع فيما حظر عليه .

(١) إن ما مدحونه من العزلة والاختباء عن الحياة العامة لا يجوز أن يكون حال أهل الخير جميعاً ، وإنما هو حال الضعيف الذى لا يقدر عن أن يدفع عن نفسه ما يصاب به من شرور المجتمع . ومن ثم لم يكن حال الأنبياء ، ولا حال ورثتهم الصادقين كبار النفوس أولى العزم والاحتال . وفي الحديث الصحيح « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » خير لنفسه ، لأنه يزداد إيماناً وتقوى بأمرهم ونهيمهم ، ويزداد يقظة وقوة وصلاحاً بتجنب ما يرى ويعلم من فسادهم وتحكم أهوائهم في عقولهم ودينهم ؟ فإن التزم أهل الخير جميعاً العزلة فمن الناس يلغهم عن الله إذا انكشفت البدن يقولون عن أنفسهم إنهم صالحون ؟ ومن ينكر النكر إذا هرب من اللبدان من يزعمون أنفسهم أنهم المتقون ؟ أليس بهذه العزلة والانكماش يجد شياطين الفساد اللبدان خالياً فيتلبوا حتى على من زعموا أنفسهم هارين وفارين بالعزلة من اللبدان ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

وَأَمَّ السَّبَبَ الَّذِي يوجب الاعتزال عن العالم كافة : فهو ما عرفتهم به من وجود دَفْنٍ الخَيْر ، ونشر الشر ، يذنبون الحسنة ، ويظهرون السيئة . فإن كان البرء علماً بِدَعْوِهِ ، وإن كان جاهلاً بِعَدْوِهِ ، وإن كان فوقهم حسدوه ، وإن كان دونهم حقروه ، وإن نطق قالوا : مهذار ، وإن سكت قالوا : عيى ، وإن قَدَّر قالوا : مَقَرَّ ، وإن سمع قالوا : مبذر ، فالنادم في العواقب ، المخطوط عن المراتب ، من اغتر بقوم هذا تَعَتَّمَهُمْ ، وغره ناس هذه صفتهم .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل أخبرني أحمد بن محمد بن بكر الأبنابوي عن داود ابن رشيد ، قال : حدثني إبراهيم بن شماس قال : قال لي الأكاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرور « يا إبراهيم ، صحبتُ الناس خسين سنة ، فلم أجد أحداً ستر لي عورة ، ولا وصلني إذا قطعته ، ولا أمنتني إذا غضب ، فلا اشتغال بهؤلاء حتى كثر »

وأنشدني محمد بن المهاجر المعدل لعلى بن حجر السعدي :  
 زمانك ذا زمانُ دخول بيت وحفظ لسان ، وخفض صوت  
 فقد مرَّجت عهود الناس إلا أقلمهم ، فبادر قبل فَوْتٍ (١)  
 فما يبقى على الأيام شيء ، وما خُلِقَ امرؤ إلا لموت  
 أخبرنا يعقوب بن إسحاق القاضي حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على نافع عن مالك بن أنس « أنه بلغه عن أبي ذر قال : كان الناس ورعاً لاشوك فيه ، فهم اليوم شوك لا ورع فيه »

أنبأنا محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا جتيد بن حكيم الدقاق حدثنا سليمان ابن أبي شيخ قال : كان القَحْدَحِي يشد كثيراً :

دَهَبَ الحُسن والجمال من الناس ، ومات الذين كانوا ملاحا

(١) مرجت : اختلطت ، فلم يدر صادق العهد من مائه



وَبَقِيَ الْأَمْحُجُونَ مِنْ كُلِّ صِغَفٍ إِنَّ فِي الْمَوْتِ مِنْ أَوْلَئِكَ رَاحَةً<sup>(١)</sup>  
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ الْبَشَرَ مَجْبُولُونَ عَلَى اخْتِلَاقِ  
 مُتَبَايِنَةٍ ، وَرِشْمٍ مُخْتَلَفَةٍ ، فَكُلُّ وَاحِدٍ يُحِبُّ اتِّبَاعَ مُسَاعِدَتِهِ ، وَتَرْكُ مُبَاغِدَتِهِ ، فَتَقِي  
 رَامَ مِنْ أَخِيهِ ضِدًّا مَا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ قَلَاءَهُ<sup>(٢)</sup> ، وَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنْهُ خِلَافٌ مَا أَضْمَرَ  
 عَلَيْهِ قَلْبُهُ مَلَأَهُ ، وَمِنْ الْإِلْهَالِ يَكُونُ الْإِسْتِقَالُ ، وَمِنْ الْإِسْتِقَالِ يَكُونُ الْبَغْضُ ، وَمِنْ  
 الْبَغْضِ تَهْيِجُ الْعِدَاوَةُ ، فَالِاسْتِقَالُ بَيْنَ هَذَا نَعْتُهُ لِلْعَاقِلِ حَقٌّ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ النَّبِيَّاجِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

أَرْفُضُ النَّاسَ ، وَكُلَّ مِثْلِهِ قَدْ بَحَلَ النَّاسُ بِمِثْلِ خَرْدَلِهِ  
 \* لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَسَلْ مِنْ أَنْتَ لَهُ \*

وَأَنْشَدَنِي ابْنُ أَبِي عَلِيٍّ قَالَ : أَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْعَبْدِيُّ :

إِذَا قُلْتُ : هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنَايَ ، بُدِّلْتُ آخِرًا  
 وَذَلِكَ : أَنِّي لَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو  
 مُسَهَّرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : قَالَ مَكْحُولٌ « إِنْ كَانَ فِي مَخَالَطَةِ النَّاسِ  
 خَيْرٌ فَالْعَزْلَةُ أَسْلَمٌ » .

أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيُّ حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَحْمَدُ النَّسَائِيُّ  
 حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى أَنَّ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ كَانَ يَقُولُ « مَنْ لَمْ يَأْنَسْ بِحَدِيثِ  
 اللَّهِ عَنْ حَدِيثِ الْخُلُوفِينَ فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ ، وَغَيَّرَ قَلْبُهُ ، وَضَمَعَ عَمْرُهُ »

أَنْبَأَنَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُوحٍ قَالَ : سَمِعْتُ

(١) بَقِيَ : هَذِهِ لَمَةُ طَبِيءٍ ، يَفْتَحُونَ مَا انْكَسَرَ قَبْلَ الْآخِرِ مِنَ الْمَعْتَلِ فَتَقْلَبُ

يَاؤُهُ أَلْفًا ، فَيَقُولُونَ : رَضَى ، وَبَقِيَ ، وَفَقِيَ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

(٢) قَلَاءَهُ : كَرَاهَتُهُ ، وَمُضَارَعَتُهُ يَقْلَوُهُ وَيَقْلِيهِ .

إبراهيم البخاري يقول : « دخلت المسجد الحرام بعد المغرب ، فإذا فضيل جالس ، فجلست إليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : إبراهيم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : رأيك وحدك ، فجلست إليك ، قال : نحب أن نتغيب ، أو نترين ، أو تراقى ؟ قلت : لا ، قال : قم عني »

### ذكر استحباب المؤاخاة للمرأة مع الخاص

أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى بالموصل حدثنا قطن بن نسير حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس قال « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء ، وآخى بين عوف بن مالك وبين الصَّعْب بن جَثَّامَة <sup>(١)</sup> . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يفْعَلَ عن مؤاخاة الإخوان ، وإعداده أياماً للتوابع والحدثان : لأن من تَعَزَّى عن موضع سَلَوْتِه بأخيه عند الهجوم والغوم ، كان عقله إلى التقديح أقرب ، ومن التماء أقص .

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفضل بن عبد الصمد الأصبهاني حدثنا يزيد ابن خالد الرملي حدثنا سهيل أبو عمرو قال قال محمد بن واسع « لم يبق من العيش إلا ثلاث : الصلاة في الجماعة ، ترزق فضلها ، وتكفي سهوها . وكفاف من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه مَنَّة ، ولا لله عليك فيه تَبِعَة <sup>(٢)</sup> . وأخ محسن المشرة ، إن رَغَت قَوْمُكَ » .

أنبأنا عبد الرحمن بن عبد المحسن بجرجان حدثنا محمد بن عبد الله القصار

(١) روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أنس قال « حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا مرتين أو ثلاثا » (٢) أى : تبة كبيرة وإلا فكل نعمة من نعم الله مهما رأيتها صغيرة ، فإن الله يحاسب عليها ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره )

أنياباً عبد الرزاق عن ابن المقفع قال « ثلاث من اللذات : محادثة الإخوان ، وأكل القديد ، وحلُّ الحرب <sup>(١)</sup> .

أنياباً محمد بن أبي علي حدثنا محمد بن هريم الشيباني أنشدنا محمد بن عمران الضبي :

وما المرء إلا بإخوانه كما تبيض الكف بالمضم  
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجزم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يبد في الأوداء إخوانه  
من لم يوانه في الفراء ، ولم يشاركه في السراء ، ورب أخى إخوانه خير من أخى  
ولادة ، ومن أتم حفاظ الأخوة تفقد الرجل أموراً من يوده .  
والود الصحيح هو الذى لا يميل إلى تقع ، ولا يفسده منع ، والمودة أمن ،  
كما أن البغضاء خوف .

والعاقل لا يؤاخى إلا من خالفه على الهوى ، وأعاناه على الرأى ، ووافق سره  
علانيته ، لأن خير الإخوان من لم يناقض ، كما أن خير الثناء ما كان على أفواه  
الأخيار ، والمستوحم <sup>(٢)</sup> لا يؤلف كما أن غير الثقة لا يؤد ، فتنى ما آخى المرء من  
لم يضافه بالوفاء يجب الاستظهار عليه بمن يسلمه عنه ؛ لأن التودد ممن  
لا يؤد يمدد مَلَقاً ، ولا يفوت الإنسان في الأخوة أحد رجلين : إما أريب قَصُر  
في حقوقه فاغتناله بمكر ، وإما جاهل لم يضافه فيؤذيه بسوء معاشرته ، وصيانة  
الأخوة ليست إلا في الاستغناء عن الإخوان .

---

(١) أما محادثة إخوان الصفاء ، والصدق قنم ، وأما أكل القديد فلا يكون لدينا  
إلا عند الحمصة والفقر ، ونمود بالله من الفقر ، وأما الحرب فنسأله الله العافية ،  
فماذا في هذين من لذة ؟

(٢) الأرض الوخيمة والوخمة : الرودة الناح السبخة التربة التي لا ينجع كلؤها .  
ورجل وخيم : ردى الطبع ثقيل النفس سيء الخلق .

ولقد أحسن العباس بن عبيد بن يعيش حيث يقول :

كم من أخرك لم يلد له أبوك وأخ أبوك قد ينفوك  
صافي الكرام إذا أردت إخوانهم وأعلم بأن أبا الحفّاط أخوك  
كم إخوة لك لم يلدك أبوك وكأنا آباءهم ولدوك  
لو كنت تحملهم على مكروهة تخشى الخوف<sup>(١)</sup> بها لما خذوك  
وأقارب لو أبصروك معنقاً بنيات قلبك كم ما نصروك  
الناس ما استغيت كنت أخاهم وإذا افتقرت إليهم فضحوك

أخبرنا القطان بالرة حدثنا أحمد بن إسماعيل السني حدثنا عبد الرزاق عن  
معمر قال « دخلت على قتادة وأنا ظآن ، وفي الحجرة حب<sup>(٢)</sup> ماء ، فقلت :  
أشرب من مائكم هذا ؟ قال : أنت لنا صديق » .

قال أحمد : قال عبد الرزاق : يتأول القرآن (أو صديقكم) يقول : لا يستأذن .  
أنبأنا محمد بن سعيد التراز حدثنا علان بن المنيرة البصري حدثنا عمرو  
الناقد حدثنا ابن عيينة عن أيوب السخيتاني أنه قال « يزيدني حرصاً على الحجج<sup>(٣)</sup>  
لقد إخواني لي لا أقام بغير الموسم »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن الغرض من  
المواخاة ليس الاجتماع والمواكلة والمشاركة ، والشرّاق يداخلون الرجال على  
التعارف<sup>(٣)</sup> ، ولا يزدادون بذلك مودة ، ولكن من أسباب المواخاة التي يجب

(١) الخوف : لنايا والهلاك ؟ واحدها حنف ، بفتح فكوك

(٢) الحب — بكسر الحاء ، للمهلة — الجرة الكبيرة

(٣) التعارف : أي على قصد الإثم والدوان

على المرء لزومهم، مشى القصد<sup>(١)</sup> وحَفَضَ الصوت ، وقلة الإحجاب ، ولزوم التواضع ، وترك الخلاف .

ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه للزوائد فيبرهمهم<sup>(٢)</sup> : لأن المرضع إذا كثر مَنُّه ربما صَجِرَتْ أمه فتلقيه .

ولا ينبغي من قدر أن يمنع أخاه شيئا يحتاج إليه ليحبر به مصيبته ، أو يفرج به كربته .

والعاقل لا يؤاخي لثما ؛ لأن اللثيم كالحية الصماء<sup>(٣)</sup> لا يوجد عندها إلا اللدغ والسَّم ، ولا يصلُ اللثيم ، ولا يؤاخي إلا عن رغبة أو رهبة ، والسكريم يود السكريم على آفة واحدة<sup>(٤)</sup> ، ولو لم يلتصقا بعدها أبدا .

ولقد أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا إسماعيل ابن محمود عن ابن المبارك عن سفيان عن يونس بن عبيد « أنه أصيب بمصيبة فقليل له : ابنُ عوف لم يأتك ، فقال : إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لم نُضَرَّه أن لا يأتينا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يتفقد ترك الجفاء مع الإخوان ، ويراعى محوها إن بدت منه ، ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة ؛ لأن من استضعف الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيرا ، فإذا الصغير كبير ، بل يبلغ مجوده في تحوها .

(١) أى الوسط ، الذى وصف الله به عباد الرحمن بقوله ( ٢٥ : ٦٣ الذين يمشون على الأرض هونا ) والذى ذكره الله من وصايا لقمان بقوله ( ٣١ : ١٩ ) واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ) والذى حذر الله من ضده فى وصايا الحكمة بقوله ( ١٧ : ٣٧ ) ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا )

(٢) يبرهمهم : يعلمهم ويستمهم .

(٣) الصماء : التى لا تستجيب لرقية الراقى .

(٤) الآفة : المرة من اللقا ،

لأنه لا خير في الصديق إلا مع الوفاء ، كما لا خير في القفص إلا مع الورع ، وإن من الخرق الخرق القميص المرء الإخوان بغير وفاء ، وطلب الأجر بالزفاء ، ولا شيء أضيع من مودة تمنح من لا وفاء له ، وصنيعة تصطنع عند من لا يشكرها .

وأشدني الخلداني قال : أشدني محمد بن محمد البكري :

احذر مودة ما ذق<sup>(١)</sup> خلط المرارة بالخلاوة

يخصي الذنوب عليك أسيام الصداقة فاعداوة

وأشدني محمد بن إبراهيم البصري - بصور - لنفسه :

لا يفرنك صديق أبدا لك في النظر ، حتى تخبره

كم صديق كنت منه في عي غرتي منه زمانا منظره

كان يلقاني بوجه طلق وكلام كاللآلئ ينثره

فإذا تشته عن غيبه لم أجده ذلك لودّ بضمه

فدج الإخوان إلا كل من يضر الود كما قد يظهره

فإذا فرت بمن يجمع ذا فاجعلنه لك ذخرا تذخره

أنا القطان بالرقعة حدثنا هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن موسى السكي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال « وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثمانية عشر كلمة ، كلها حكم ، قال : يا كافات من يمضي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وضع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك منه ما يملك ، ولا تطعن بكلمة خرجت من مسلم شرا ، وأنت تجد لها في الخير محملا ، ومن تعرض للثمة فلا يلومن من أساء به الظن ، ومن كتم سره كانت الخيرة<sup>(٢)</sup> »

(١) المذاق : الذي لا يخلص الود ، بل يمزجه بغايات ومقاصد شخصية

(٢) الخيرة - بوزن غيبة - ما يختاره بمشيئته ، يقصد : أنه إذا أفضى سره كان أمره يد من أفضاه إليه ، لا ييده هو ، فلم يكن له مشيئة

في يديه ، وعليك ياخوان الصدق ففس في أكتافهم<sup>(١)</sup> ، فإنهم زينة في الرخاء ، وعُدّة في البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلتك الصدق ، ولا تعرّض لئلا يمتنعك ، ولا تسأل عما لم يكن ، فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ، ولا تطلب حاجتك إلى من لا يحب لك نجاحها ، ولا تصحب العاجز فتعلم غيوره ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خشي الله ، وتحشع عند القول ، وذلل عند الطاعة ، واعتصم عند المعصية ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله ؛ فإن الله يقول ( ٣٥ : ٣٨ ) إنما يخشى الله من عباده العلماء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يؤاخى إلا ذا فضل في الرأي والدين والعلم والأخلاق الحسنة ، ذا عقل نشأ مع الصالحين ؛ لأن صحبة بييد نشأ مع العقلاء خير من صحبة ليب نشأ مع الجهال .

ورأس المودة الاسترسال ، وأتمها للملاة ، ومن أضع كنه الود من إخوانه حرم نعمة إخوانهم ، وأبس الإخوان من نفسه ، ومن ترك الإخوان مخافة تعاهد الود يؤشك أن يبقى بغير أخ ، كما أن من ترك نزع الماء إشفاقا على ريشته<sup>(٢)</sup> يؤشك أن يموت عطشا .

والعاقل يستخير أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم ، ومن أصحّ شيعة للمرء وجود حاله<sup>(٣)</sup> بعد هيجان الغضب .

أبنا عرو بن محمد الأنصاري حدثنا الثعالبي حدثنا عبد الله بن الضحاك الهدادي حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحسك قال : قال لقمان لابنه « يا بُنَيَّ إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه قبل ذلك ، فإن أنصنك عند غضبه وإلا فدعه » .

(١) الأكتاف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية .

(٢) الرشاء : الحبل الذي يخرج به الدلو من البئر .

(٣) يعني وجود حاله في الود بعد هيجان الغضب كحالته فيه عند الرضا .

أبنا محمد بن صالح الطبري حدثنا أبو هشام الرافعي حدثنا داود بن يحيى ابن البيان عن أبيه عن سفيان قال « أحب من شئت ، ثم أغضبه ، ثم دسَّ إليه مَنْ يسأله عنك » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من لم ينصفك عند غضبه لم تودك <sup>(١)</sup> أيامه ، وليس الصديق كالمرأة يطلقها المرء إذا شاء <sup>(٢)</sup> ، والجارية يبيعها متى أحب ، لكنه عرضة ومروءة : فالتبث والانتاد أولى به من التهاجر والاقطاع ، ومن غاب عنه أخوه فلا يغب عما يحب له عليه ، وليكثر منهم عدَّة للشدائد ، لأنَّ الشرَّ مع دِقَّة إذا جمع عُمل منه الخيل الغليظ الذي يقهر القيل الغنم <sup>(٣)</sup> ، ولا يصلح أن يكون رفيقاً من لم يزد رقيقاً .

- 
- (١) كذا بالأصل . ولعله يقصد لم يأتك من أيامه ما توده وزيده من الإخاء
- (٢) غالى الشيخ في الخط من منزلة الزوج ، وكيف ومن لم يتخذ الزوجة على الصداقة والمودة ، فلم يتزوج كما شرع الله فإنه سبحانه يقول ( ٣١:٣٠ ) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ) وأكد في كثير من آى الذكر الحكيم من حق الزوج ما لم يؤكده من حق الصديق ، وأبى الصديق من الزوج التي يقول فيها ( ١٨٧:٢ ) هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ) ويقول ( ٤ : ٢٩ ) وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظاً ! ) والزوج أحق أن تكون عرض الرجل ومروءة : وسير عليك أن تستبدل صديقاً بصديق ، وأعسر العسر أن تستبدل زوجاً بمكان زوج - وقد ارتبطنا بعلائق من الأولاد وغيرها . مالا يوجد مثله ولا بعضها في الصديق - فواجب العاقل : أن يتأنى ويتفحص ويتثبت في اختيار الزوج مالا يلزم به في اختيار الصديق ، والسعادة بالزوج الوقية الصالحة القانة الحفيظة الغيب أضعاف أضعاف السعادة بأوفى الأصدقاء . وأخلص الأوداء
- (٣) الاغتنام : شدة توران الشهوة في الفعل للضراب ، وتشدد شراسة الفيل وغيره من الفحول عند ذلك .



وأشدنى الخلاص قال : أشدنى محمد بن محمد البكرى لصالح بن عبد القدوس <sup>(١)</sup> :

إذا كان ودّ المرء ليس بزائد على «مرحباً» أو «كيف أنت؟» وحالكا أو القول «إني واثق لك ، حافظ» وأفضله يُبسدي لنا غير ذاكنا ولم يك بلا كثيراً أو محدثاً فأنفٍ لو يدّ ليس إلا كذلكنا ولكن إزاء المرء من كان دائماً لدى الودّ منه حيثما كان سالكا أخبرنا أبو يعلى حدثنا عبي بن الجعد حدثنا مقيس الثوري عن شعبة قال :

خرج عبد الله بن مسعود على أصحابه فقال « أنتم حيلاءُ حزني »

أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا هلال بن العلاء حدثنا إسحاق بن الضيف عن شعبة بن أبي مسهر عن الحكم بن هشام قال خالد بن صفوان « لم يبق من لذات الدنيا إلا ثلاث : مجالسة النسوان ، وشتم الولدان ، ولقي الإخوان »

حدثنا محمد بن المنذر حدثنا مسعدة بن حازم المصري حدثنا خالي هارون ابن سعيد حدثنا خالد بن نزار حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة قال « إن كنت لآلئ الأئح من إخواني فأكون بلقيّة عاقلاً أياًما »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب « مراعاة العشرة » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

فأوجب على العاقل أن يعلم أنه ليس من السرور شيء يعيدل محبة الإخوان ، ولا غم يعدل غمّ قدوم ، ثم يتوقّ جهدة مُفسدة من صافاه ، ولا يسترسل إليه فيما يشينه ، وخير الإخوان من إذا عظمت صانك ، ولا يعيب أئحاه على الزلة ؛ فإنه شريكه في الطبيعة ، بل يصفح ، ويتكسب محاسبة الإخوان ؛ لأن الحد للصديق من مَن الودة كما أن الجود بالودة أعظم البذل ؛ لأنه لا يضره ود صحيح من قلب سقيم ، وليحذر المرء في إئحائه ألم التشقيل على أخيه ؛ لأن من تقل على صديقه

(١) سبيح أولها وثالثها مع يبين آخرين في ص ١١١ .

خَفَّ عَلَى عَدُوهِ ، وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْمَوْتَةِ عَلَى تَسْلِيَةِ الْهَمِّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ ، وَلَقِيَ  
الْإِخْوَانَ .

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ هَالَلِ الْعَقْبِيِّ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْغَزِّي حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ  
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدَنِيِّ عَنْ سَفْيَانَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ « مَا مَا الْعَيْشُ » قَالَ : « لِقَاءُ الْإِخْوَانِ »  
حَدَّثَنَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ حَدَّثَنَا الْمُسَيْبُ بْنُ وَاضِحٍ عَنْ  
ابْنِ لُبَّارٍ قَالَ قَالَ سَفْيَانُ : « لَرَبَّمَا لَقِيتُ الْأَخَّ مِنْ إِخْوَانِي ، فَتَقِيمُ شَهْرًا  
عَاقِلًا بِلِقَائِهِ » .

وَأَشْدَى عَبْدِ الْمَزِيزِ بْنِ سَلْيَانَ الْأَمْرِي :

اسْتَكْرَهْتُ مِنَ الْإِخْوَانِ بِهَيْمٍ خَيْرُ السَّكَاتِهِمْ كَثْرًا مِنَ التَّهَبِ  
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَوْ نَاجَلْتُ نَائِبَةً وَجَدْتَهُ لَكَ خَيْرًا مِنْ أَخِي النَّسَبِ  
وَأَشْدَى السَّكْرِي :

مِنْ خَيْرِ مَا خُرِّجَتْهُ وَدَّ لَدَى كَرَمٍ يَجْزِيكَ مَا عَشْتُ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا  
تَلْقَى بِكَاشَتِهِ فِي قَرْبِهِ ، وَإِذَا أَنَا لَكَ مَنَّا مِنَ الْبَرِّ مَا كُنَّا  
أَبَانَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَلْيَانَ يَقُولُ  
« كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى أَخٍ مِنْ إِخْوَانِي بِالْعِرَاقِ ، فَأَعْمَلَ عَلَى رُؤْيَيْهِ شَهْرًا » .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سَفْيَانَ حَدَّثَنَا سُورِدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْدٍ  
أَبُو فَرَّاسٍ قَالَ : قَالَ رُبَيْعَةُ « الْمَرْوَةُ مَرْوَتَانِ : فَلِلْمَرْوَةِ الْمَرْوَةُ ، وَالْحَضْرُ مَرْوَةٌ ؛  
فَأَمَّا مَرْوَةُ السَّفَرِ فَبِذَلِ الزَّادِ ، وَقَفَاءُ الْخِلَافِ عَلَى أَصْحَابِكَ ، وَكَثْرَةُ الْمَزَاحِ فِي  
غَيْرِ مَسَاطِطِ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا مَرْوَةُ الْحَضَرِ فَالْإِدْمَانُ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ فِي  
اللَّهِ ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ »

ذَكَرَ كِرَاهِيَةَ الْمَعَادَاةِ لِلنَّاسِ

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ - بَيْرُوتَ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ

مصعب وحدثني ابن المبارك عن عمرو بن واقد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أول شيء ينهاني عنه ربي - بعد عبادة الأوثان - لعن الخير ، وملاحاة الرجال »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن من يؤذنه لم يحسده ، ومن لم يحسده لم يعاده ؛ فيكون للعدو المكاتب أشد حذراً منه للعدو المبارز ، ومن وجد عنده مغتر ، وكان من لا يمس ، ثم لا ينتصف منه ؛ أصاحه الندامة ، والرأي إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود ، وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها .

أبانا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن هارون هو الأعور عن إسماعيل قال « لا تشتر بن عداوة رجل بمودة ألف رجل »

وأشدني عمرو بن محمد قال : حدثنا الثعالبي ، قال : أشدني مهدي بن سابق : نكث من الإخوان ما سمعت منهم عمداً إذا استجدتهم وظهور وليس كثيراً أنت خل لصاحب وإن عدواً واحداً لكثير قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يحب على المتعل أن يكافئ الترمذيه ، وأن يتخذ اللعن والشم على عدوه سلاحاً ؛ إذ لا يستعين على العدو بثل إصلاح الصوب ، ونحسين المورات ، حتى لا يجد العدو إليه سيلاً .

والعاقل لا يرحم من يخافه ، ولا يترك إحصاء معائب العدو ، ويفقد غراتهم مع السكوت عن ثلته ، ولا يستضعف عدواً بحيلة ؛ فإن من استضعف الأعداء اختار ، ومن اغترم بيسم ، ظهر إلا أن يكون العدو ذليلاً ؛ فإذا كان كذلك عطف عليه بالإغضاء ؛ لأن العدو لذليل أهل أن يرحم ، كما أن المستجير لظائف أهل أن يؤمن ، والمداوة للعاقل خير من المصافاة للجاهل .

وَأَشَدُّنِي الْخِلَادِي أَشَدُّنِي أَحَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَكْرِي :

وَلَيْتَ يَعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ      مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحَقُّ  
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادُقَ أَحَقًّا      إِنْ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ  
وَأَشَدُّنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْجِي الْيَمْدَادِي :

أَخْبَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ      وَمُدْمِنَ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَأَ  
أَبْصِرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا      فَمَنْ عَلَا قُلَّةً عَنْ رِغْرَةٍ زَلْجًا<sup>(١)</sup>  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ يَبْصُرُ مَوَاضِعَ خَطَوَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يَضَعَهَا ،  
ثُمَّ يَقَارِبُ عَدُوَّهُ بَعْضَ الْمَقَارِبَةِ ، لِيَقَالَ حَاجَتُهُ ، وَلَا يَقَارِبُهُ كُلَّ الْمَقَارِبَةِ فَيُجْتَرَأُ  
عَلَيْهِ ، وَالْعَاقِلُ لَا يَعَادِي مَا وَجَدَ إِلَى الْحُبَّةِ سَبِيلًا ، وَلَا يَعَادِي مَنْ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ بَدْءٌ ،  
وَلَا الْعَدُوَّ الْحَقِيقَ الَّذِي لَا يَطَاقُ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ إِلَّا الْحَرْبُ مِنْهُ ، وَحِيلَةُ السَّبِيلِ  
إِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَجُودُ الْفِرَّةِ فِيهِ ، وَأَنْ يَرَى الْعَدُوَّ أَنَّهُ لَا يَتَخَذُهُ عَدُوًّا ،  
ثُمَّ يَصَادُقُ أَصْدَقَاءَهُ ، فَيَدْخُلُ بَيْنَهُ وَيُنْهَمُ .

وَأَحْزَمُ الْأُمُورِ فِي أَمْرِ الْعَدُوِّ : أَنْ لَا يَذْكُرَهُ بَسْوًا ، إِلَّا عِنْدَ الْفُرْصَةِ ، وَإِنْ مِنْ  
أَبْسَرِ الظُّفْرِ بِالْأَعْدَاءِ اشْتَغَالَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَإِنْ مِمَّا يَسْتَعِينُ بِهِ الْمَرْءُ عَلَى عَدُوِّهِ :  
مُجَانِبَةُ مَنْ يَعَاشِرُهُ ، وَيَصْحَبُ عَدُوَّهُ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقَزَّازُ حَدَّثَنِي أَحَدُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ حَرْبٍ قَالَ : سَمِعْتُ  
يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يَقُولُ : قَالَ ابْنُ السَّيَّاحِ « لَا تَخَفْ مِنْ تَحْذِرٍ ، وَلَكِنْ احْذَرِ  
مَنْ تَأْمَنُ » .

وَأَشَدُّنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَسَامِيُّ :

(١) يقول : إِنْ مِنْ يَمْشِي عَلَى غَيْرِ تَبَصُّرٍ ، فَهَمَّا يَبْلُغُ مِنَ الْعُلُوِّ وَلَوْ إِلَى قُلَّةِ الْجَبَلِ  
وَعَمِي قَتَهُ فَلَا يَدْرِي أَنْ تَزُلْ قَدَمُهُ ، فَيَخِرُّ ، فَلَمْلَهُ أَنْ يَتَحَطَّمُ .

تَحَبَّبْتُ أَنْ أَتَى مَعْنَى ، وَأَنْ أَرَى عَلَى مَنْ يَنْتَوِي تَدْوِيرُ الدَّوَائِرِ (١)  
 فَيَصْبِحُ مَحْذُولًا ، وَأَمْسَى سَائًا إِلَى اللَّهِ دَاعٍ بِالنَّكَايَةِ نَامِرًا  
 سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ خُثَيْمٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْفَضْلَ  
 ابْنَ مُوسَى الشَّيْبَانِيَّ يَقُولُ « كَانَ صَيَادُ يَصْطَادُ الْعَصَافِيرَ فِي يَوْمٍ رِيحٌ ، قَالَ : فَعَمِلْتُ  
 الرِّيحَ تُدْخِلُ فِي عَيْنِهِ الْعَبَارَ ، فَتَنْدِرُ فَنَ ، فَكَلَّمَا صَادَ عَصْفُورًا كَسَرَ جَنَاحَهُ  
 وَأَلْقَاهُ فِي نَامُوسِهِ ، فَقَالَ عَصْفُورٌ لِمُصَاحِبِهِ : مَا أَرْقَى عَلَيْنَا ، أَلَا تَرَى إِلَى دُمُوعِ  
 عَيْنِيهِ ؟ فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ : لَا تَنْظُرْ إِلَى دُمُوعِ عَيْنِيهِ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى عَمَلِ يَدَيْهِ »  
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، إِنْ كَانَ  
 بَعِيدًا لَمْ يَأْمَنْ مُقَادَرَتَهُ ، وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا لَمْ يَأْمَنْ مُوَاتَبَتَهُ ، وَالْعَاقِلُ لَا يَخَاطِرُ بِنَفْسِهِ  
 فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْ عَدُوِّهِ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ هَلَكَ فِي قَصْدِهِ قِيلَ : أَضَاعَ نَفْسَهُ ، وَإِنْ ظَفَرَ  
 قِيلَ : الْقَضَاءُ فَهَلَهُ .

وَالْمَادَاةُ بَعْدَ الْعَلَاةِ فَاحْشَةُ عَظِيمَةٍ ، لَا يَلِيْقُ بِالْعَاقِلِ ارْتِكَابُهَا فَإِنْ دَفَعَهُ الْوَقْتُ  
 إِلَى رُكُوبِهَا تَرَكَهُ لِلصَّالِحِ مُوضَعًا .

وَأُنْشِدُنِي بَعْضَ أَهْلِ الْأَدَبِ لِأَبْنِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ :

وَأَحِبِّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : مَتَى أَنْتَ نَازِعٌ ؟  
 وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُجَانِبٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : مَتَى أَنْتَ رَاجِعٌ ؟  
 وَكُنْ مَعْدًا لِلْعِلْمِ ، وَاصْفَحْ عَنِ الْأَذَى فَإِنَّكَ رَاءَ مَا عَمِلْتَ وَسَامِعٌ  
 وَأُنْشِدُنِي مُنْصَوِّرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَرِيرِيِّ :

(١) يَنْتَوِي : يَنْتَوِي . وَالتَّوَاتُؤُةُ : التَّخَاسُّمَةُ . يَقُولُ : لِأَنَّهُ ظَلَمًا تَحْتَمِلُ أَنْ يَعِيشَ مَعَانِي  
 وَأَنْ يَرَى دَوَائِرَ الْهَلَاكِ تَدْوِيرًا عَلَى أَعْدَائِهِ وَمَنَاوِيهِ . وَالْخَالِقُ بِالْمُؤْمِنِ : أَنْ يَتَعَنَّى الْخَيْرَ  
 وَالْعَافِيَةَ وَالصَّلَاحَ لِنَفْسِهِ وَأَجَابِهِ وَأَعْدَائِهِ وَمَنَاوِيهِ . كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَقُولُ فِي شَأْنِ أَعْدَائِهِ - وَهُمْ حَرِيسُونَ عَلَى قَتْلِهِ - « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »

إذا أنت عادت امرأ بعد حنة فذبح في غدٍ للقرود والصلح موضعاً  
فإنك إن تابذت من زلة زلة ظلت وحيداً لم تجد لك مفرعاً  
أنبأنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا أبو همام حدثنا ابن وهب أخبرني يونس  
ابن يزيد عن ابن شهاب قال «اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير يوماً عند  
عائشة، فجلسا في حجرتها، وبينهما وبينهما الحجاب، فسالاً عائشة شعراً وحديثاً،  
ثم قال مروان :

ومن يشاء الرحمن يخفي بقدرة وليس لمن لم يرفع الله رافعاً  
وقال ابن الزبير :  
وقوض إلى الله الأمور إذا اعترت وبالله لا بالأقربين تدافع<sup>(١)</sup>  
وقال مروان :

وداؤ ضير القلب بالبر والتقوى ولا يستوى قلبان قاسٍ وخاشع  
وقال ابن الزبير :  
ولا يستوى عبدان : عبدٌ مكلمٌ غفلٌ ، لأرحام الأقارب قاطع  
وقال مروان :

وعبد يحاف جنبه عن فراشه يبيت يناسي ربه وهو راكع  
وقال ابن الزبير :  
وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب الجميع  
وقال مروان :

وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالهجوم الأصابع  
قال : فسكت ابن الزبير ، فلم يحب مروان بشي .

(١) في الأصول « تدافع » ولا تستقيم قافية مع قافية بقية الأبيات ، ونعصبه  
محرفاً عما أئتمناه .

فَقَالَتْ عَائِشَةُ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا لَكَ لَمْ تَحِبَّ صَاحِبَكَ ، وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ تَجَاوِبَ رَجُلَيْنِ تَجَاوَلَا نَحْوَ مَا تَجَاوَلْتُمَا فِيهِ أَهْبَجَ إِلَى مَنْ يَجَاوِلُكَ »

قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : إِنِّي خَفْتُ عَوَّلَ <sup>(١)</sup> الْقَوْلِ ، فَكَفَفْتُ .

فَقَالَتْ عَائِشَةُ : « إِنْ لَمْ يَرَوْا فِي الشَّعْرِ مَا لَيْسَ لَكَ »

أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ النَّذَرِ ، حَدَّثَنَا عَصَامُ بْنُ الْفَضْلِ الدَّارِيُّ ، حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَرْبٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ « يَا كَوْمَعَادَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا لَا تَعْدَمُكَ مَكْرَ حَلِيمٍ ، أَوْ مَبَاذِلَةَ <sup>(٢)</sup> جَاهِلٍ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يَتَأَدَّى عَلَى الْحَالَاتِ كُلِّهَا ، لِأَنَّ الْعِدَاوَةَ لَا تَخْلُو مَنْ أَنْ تَكُونَ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا حَلِيمٍ لَا يُؤْمِنُ مَكْرَهُ ، أَوْ جَاهِلٍ لَا يُؤْمِنُ شَتْمَهُ ، وَلَا يَحِبُّ عَلَى الْعَاقِلِ - إِذَا عَادَى - أَنْ يُفَرِّقَهُ إِحْسَانَهُ إِلَى عَدُوِّهِ مَا يَرَى مِنْ سَكُونِهِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْمَاءَ وَإِنْ أَطِيلَ إِسْخَانَهُ ، لَيْسَ بِإِثْمَانِهِ ذَلِكَ مِنْ إطفاء النَّارِ إِذَا صَبَّ عَلَيْهَا ، وَلَا يَحِبُّ أَنْ يَعْظُمَ عَلَيْهِ حِلْمُ عَدُوِّهِ عَلَى عَاتِقِهِ إِذَا وَثِقَ بِحَسَنِ عَاقِبَتِهِ ، لِأَنَّ اللَّيْنَ وَالْمَكْرَ أَنْ تُكْفِيَ فِي الْعَدُوِّ مِنَ الْقِظَافَةِ وَالْمَسْكَارَةِ . أَلَا تَرَى النَّارَ مَعَ حَرِّهَا لَا تَحْرِقُ مِنَ الشَّجَرَةِ إِلَّا مَا ظَهَرَ ، وَالْمَاءَ مَعَ بَرْدِهِ وَلَيْنِهِ يَسْتَأْصِلُهَا ، وَبِحِجَابَةِ الْمَرِّ عَدُوَّهُ فِي الْعِشْرَةِ أَحَدُ الْأَعْوَانِ عَلَيْهِ عِنْدَ الْفُرْصَةِ .

كَأَنْبَأَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، حَدَّثَنَا الثَّلَاثِيُّ ، حَدَّثَنَا الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَبِيصٍ « مَنْ جَالَسَ عَدُوَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِ عِيُوبَهُ » .

وَأَنْشَدَنِي الْأَبْرَشُ :

لَا تَخَافَنَّ إِنْ رَمَاكَ عَدُوٌّ بِعِيُوبٍ ، إِذَا تَكُونُ بَرِيًّا  
إِنَّمَا الْعَيْبُ أَنْ يَكُونَ مُحِيًّا فِي الَّذِي قَالَهُ ، وَلَسْتَ نَقِيًّا

(١) الْعَوَّلُ : اللَّيْلُ فِي الْحُكْمِ إِلَى الْجَوْرِ . وَالْعَوَّلُ : النِّقْصَانُ أَيْضًا .

(٢) الْمَبَاذِلَةُ : الْبِدَاةُ وَالسَّفْعُ بِالسَّابِغِ وَالشَّتْمُ .

فإذا كان كاذباً كنت بالمدِّ ق على العائب الكذوب جريماً  
ولقد يُفترق العدو بحجب السمرة عيباً تحفاه مَكُوناً  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يغيره إلزاق العدو به العيوب والقبائح .  
لأن ذلك لا يكون له وقع ، ولا تسكرته ثبات ، ولا يلذ له ما كان عدوه باقياً  
كما لا يجد السقيم طعم النوم والطعام حتى يبرأ .  
وأشد مكيده العدو ما يعمل فيك من سبيل ما منك ، والغالب بالشر مغلوب  
وإن من أعظم الأضرار على الأعداء تعاهد المرء ولده وغياله وخدمه ، وتوقيه  
إيام على المعائب والزلات .

أبناؤنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي  
عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني إذا أردت أن  
تفيظ عدوك فلا ترفع عن ابنك العصا »

### ذكر الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار

حدثنا الحسن بن سفيان القاسم ، حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري ، حدثنا  
أبي عن شعبة عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم « مثل المجلس الصالح مثل المطار ، إن لم يبتلك منه أصابك  
من ريحه ؛ ومثل مجلس السوء مثل القَيْن ، إن لم نصبك ناره أصابك شره »<sup>(١)</sup>

(١) المطار : بالغ المطر . والقَيْن ، بالفتح : الحداد . والحديث رواه البخاري ومسلم  
عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل المجلس الصالح  
والجلس السوء : كعامل السك ، ونافع الكبر . فإما أن يعذبك ، وإما أن يبرق  
ثيابك ، وإما أن يجد منه ريحاً طيبة . ونافع الكبر : إما أن يحرق  
ثيابك ، وإما أن يجد منه ريحاً خبيثة . » و « يعذبك » أى يعطيك بدون ثمن .



قال أبو حاتم رضى الله عنه: العاقل يلزم محبة الأخيار ، ويفارق محبة الأشرار ؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها ، بطنها انقطاعها . ومودة الأشرار سريع انقطاعها ، بطنها اتصالها . ومحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جنتهم .

فالتوجب على العاقل أن يحتجب أهل اريب ، لئلا يكون مريباً . فكما أن محبة الأخيار تورث الخير ، كذلك محبة الأشرار تورث الشر .

وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

عليك ياخوان الثقات ؛ فإنهم قليل فصيلهم دون من كنت تصحب  
ونفسك أكرمها ، وصنيتها ؛ فإنها متى ما تجالس سيفلة الناس تنفصب

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت سفيان

ابن عيينة يقول « من أحب رجلاً صالحاً فإنما يحب الله تبارك وتعالى »

أنياباً محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن الصقر السكري ، حدثنا وهب بن محمد بن منبه الثباني ، قال : سمعت الحارث بن وحيه يقول : سمعت مالك بن دينار يقول « إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص <sup>(١)</sup> مع العجار » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يُدنس عرضه ، ولا يعود نفسه أسباب الشر بلزوم محبة الأشرار ، ولا يُفصى عن صيانة عرضه ورياسة نفسه بصحبة الأخيار ، على أن الناس عند الخيرة يقين منهم أشياء ضد الظاهر منها .

أشدنى علي بن محمد البسامي :

وقل ما أخلوئى كلام امرئ . ولأن كان مُرّ الفاعل

(١) الخبيص : نوع من الحلوى يصنع من النمر مخلوطاً بالسمن .

وَرَبِمَا اخْتُلِيَ كَلَامُ الْقَتْلِ وَكَانَ مَحْمُوداً عَلَى كُلِّ حَالٍ  
فَكَلَّمْتُ هُنَا أَنْتَ رَأَى إِذَا تَصَاحِبُ النَّاسَ ، وَتَلُوَ الرَّجُلُ

حَدَّثَنَا بِكَرْبَنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الطَّاحِي ، حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ، أَنْبَأَنَا نُوحُ  
ابْنُ قَيْسٍ ، حَدَّثَنَا حَوْشَبُ بْنُ الْحُسَيْنِ فِي قَوْلِهِ ( ٢٥ : ٦٣ ) وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ  
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قَالَ « حَمَاءُ عُلَاءَ ، صَبْرٌ ثَبَّتَ <sup>(١)</sup> إِنْ خُلِّمُوا لَمْ يَظْلَمُوا  
وَلَنْ يُغَيَّرَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَفْخَرُوا ، قَدْ بَرَّاهُ الْخُوفُ كَأَنَّهُمُ الْقِدَاحُ »

أَنْبَأَنَا حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ شُعَيْبٍ الْبَلْخِيُّ ، حَدَّثَنَا سَرِيحُ بْنُ يَرْسَ ، حَدَّثَنَا شُجَاعُ  
ابْنُ أَبِي نَصْرٍ أَبُو نَعِيمٍ الْقَارِي عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ ، قَالَ « رَأَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ  
وَأَنَا جَالِسٌ مَعَ الشَّبَابِ ، قَالَ : مَا يَجْلِسُكَ مَعَ الشَّبَابِ ؟ عَلَيْكَ بِالشَّيْخِ »

أَنْبَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سَفِيَّانٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ  
سَفِيَّانٍ عَنْ أَبِي الْحَجَلِّ عَنْ ابْنِ عَرْمَانَ بْنِ حِطَّانٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ  
« لَصَاحِبٌ صَالِحٌ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنَ صَاحِبِ السُّوءِ ، وَمَعْلَى  
الْخَيْرِ مِنَ السَّائِكِ ، وَالسَّائِكُ خَيْرٌ مِنَ مَعْلَى الشَّرِّ » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يَصَاحِبُ الْأَشْرَارَ ؛ لِأَنَّهُ حَبِيبُ صَاحِبِ  
السُّوءِ قُطْعَةٌ مِنَ النَّارِ ، تُعَقَّبُ الضَّعَائِنُ ، لَا يَسْتَقِيمُ وَدَهُ ، وَلَا يَنْبَغِي بِمَعْدَةٍ .

وَأَنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ خُصَالًا أَرْبَعًا : أَنْ تَكُونَ زَوْجَتُهُ مُوَافِقَةً ، وَوَلَدُهُ أَمْرًا ،  
وَإِخْوَانُهُ صَالِحِينَ ، وَأَنْ يَكُونَ رِزْقُهُ فِي بَلَدِهِ .

وَكُلُّ جَلِيلٍ لَا يَسْتَفِيدُ الْمَرْءَ مِنْهُ خَيْرًا تَكُونُ مَجَالِسَةُ الْكَلْبِ خَيْرًا مِنْ عَشْرَتِهِ ،  
وَمَنْ يَصْحَبُ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمُ ، كَمَا أَنَّ مَنْ يَدْخُلُ مَدَاحِلَ السُّوءِ يَنْتَهَمُ .

---

(١) صبر - ضمتين - جمع صبور ، وثبت - ضمتين - جمع ثبوت ، وضم  
نقشيد الباء مفتوحة جمع ثابت مثل راكم وركم . وبرايم : أي أغلهم وأهزلهم .

وما أشبه حجة الأشرار إلا بما أنشدني منصور بن محمد الكريزي .  
 فلو كان منه الخير إذ كان شره عتيداً<sup>(١)</sup> ضربت الخير يومامع الشر  
 ولو كان لاخيراً ولا شر عنده رضيت أعمري بالكفاف مع الأجر  
 ولكنه شرٌّ ، ولا خيراً عنده وليس على شترٍ إذا طال من صبر  
 أخبرنا إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا  
 ابن عُلَبة عن يونس عن الحسن قال « أيها الرجل ، إن أشد الناس عليك قدراً  
 لرجلٍ إذا فرغت إليه وجدت عنده رأياً ، ووجدت عنده نصيحة ، بينا أنت كذلك  
 إذ فقدته ، فالتفت منه خلفاً فلم تجده .

أخبارنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی ، حدثنا  
 عبد الله بن سليمان ، قال : قال جعفر بن محمد « من كان فيه ثلاث فقد وجب له  
 على الناس أربع : إذا خانطهم لم يظلمهم ، وإذا حدثهم لم يكذبهم ، وإذا وعدهم  
 لم يخلفهم . وعلى الناس : أن يظهروا عدله ، وأن تكمل فيهم مروءته ، وأن يحب  
 عليهم أخوته ، وأن يحرم عليهم غيبته .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :  
 احب خيار الناس أين لقيتهم خير الصحابة من يكون ظريفاً  
 والناس مثلُ درهم مَبْرَئِها فرأيت فيها فِئسةً وزُبُوفاً  
 أخبرنا ابن قُحطبة ، حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا إسماعيل بن  
 عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول « إن الله ليحفظ  
 بالعبد الصالح القبيل من الناس »

(١) العتيد : اللأزم ، يقول : لو كان عنده شيء من الخير لذهب خيره بشيء .  
 فكان كفافاً .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعيز بالله من محبة مَنْ إذا ذكر الله لم يُعَفِّه ، وإن نسي لم يدكره ، وبين عقل حرصه على ترك الذكْر . ومن كان أصداؤه أشدَّ راء كان هو شرَّهم ، وكذا أن الخير لا يصحب إلا البرَّة ، كذلك الردى لا يصحب إلا الفجَّرة ؛ فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات ، لأنَّ محمد بن عثمان العنبي قال : حدثنا أحمد بن دلود البصري ، حدثنا ابن عائشة قال : قال عبد الواحد بن زيد « جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم ، فإن كنتم لأبدَ فاعلين ، تجالسوا أهل المروءات ؛ فإنهم لا يركضون <sup>(١)</sup> في مجالسهم »

### ذكر كراهية التلون في الوداد بين المتواخين

أبانا محمد بن الحسن بن قتيبة بعثقلان ، حدثنا إبراهيم الخوراني ، حدثنا بكار بن شعيب ، حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا خير في صُحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له » قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل إذا رزقه الله ودَّ امرئ مسلم صحيح الوداد يحافظ عليه : أن يتمسك به ، ثم يوطن نفسه على صلته إن صرَّه ، وعلى الإقبال عليه إن صدَّ عنه ، وعلى التبدُّل له إن حرَّمه ، وعلى الدنو منه إن باعده ، حتى كأنه ركن من أركانه ، وإن من أعظم عيب المرء تنوُّه في الوداد .

وأشدنى للتصنُّع بن بلال الأنصاري :

وكم من صديق ودَّه بلسانه خؤون بظهر الغيب لا يتقدم

(١) البرفت : الفاحش من القول ، وما يتعلق بالنساء وأسرارهن .

يضاحكني كرهه سكرها أودّه وتنبئني منه إذا غبتُ عنهم  
أخبرنا محمد بن المهاجر العدل ، حدثني بن أبي شعبة ، قال : قال الأصمى :  
قال رجل من الأعراب « من أعجز الناس من قصر عن طلب الإخوان ،  
وأعجز منه : من ظفر بذلك منهم فأضاع مودتهم . وإنما يحسن الاختيار لغيره  
من أحسن الاختيار لنفسه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يقصر في تماهد الوداد ، ولا يكون  
ذالونين ، وذال قلبين ، بل يوافق سره علانيته ، وقوله فعله ، ولا خير في متآخين  
ينمو بينهما الخلل ، ويزيد في حالهما الدغل .

كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لحا الله <sup>(١)</sup> من لا ينفع الودّ عنده ومن حبله إن مدّ غير متين  
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على الوصل خوآن لكل أمين  
ومن هو ذو قلبين ، أما لقائه فحلو ، وأما غيبه فظنين  
ومن هو إن تحدث له العين نظرة يقطع بها أسباب كل قرين  
وأنشدني عمرو بن محمد النسائي لابن الأعرابي :

العين تبدى الذئب في نفس صاحبها من الشاة <sup>(٢)</sup> ، أو وِد إذا كانا  
إن البغيض له عين يصد بها لا يستطيع لما في الصدر كتماناً  
العين تنطق والأفواه ساكنة حتى ترى من ضمير القلب تبياناً  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

(١) لحا الشجرة يلحوها : قشر لحاها ، ولحاه الله لحيا : أى قبحه واعمه . كذا  
على اللسان .

(٢) الشاة : البغض والكراهية .

وجارٍ لا تزالُ تزور منه قوارصُ لا تنام ولا تُنم (١)  
 قريب الدار نأى الوتر منه معاندةً ، أبت لا تستقيم (٢)  
 يبادر بالسلام إذا التقينا ونحت ضلوعه قلب سقيم  
 أنبأنا محمد بن أبي علي الخلالدي ، حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الأنباوى عن  
 هشام بن عبد الملك اليزنى ، قال : قال المقنع الكندى :

أبلُ الرجال إذا أردت إخوانهم ونوسمَ أمورهم ونفقَد (٣)  
 فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى فيه اليدين قرير عين فاشدِّد  
 ومتى يَزَلْ ، ولا محالة ، زلةً فعلى أخيك بفضل رأيك فاردد  
 وإذا التفتى نقض الحجي في موضع ورأيت أهل الطيش قاموا فأقمَد

أخبرنا عبد الله بن قُحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي  
 عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني عليك بالحبيب  
 الأول ، فإن الآخر لا يمدله »

أنبأنا محمد بن سعيد القرزاز ، حدثنا أحمد بن بكر بن سيف ، حدثني محمد  
 ابن حسين قال « كان أعرابي بالكوفة ، وكان له صديق ، وكان يظهر له مودة  
 ونصيحة ، فاتخذ الأعرابي من عدده للشدائد إذ حَزَب الأعرابي أمر ، فأنابه ،  
 فوجده بعيداً مما كان يظهر للأعرابي ، فأنشأ يقول :

(١) يقول : ورب جار لا يزال يبعث إلى بالمؤلمات من القول ، والسلب  
 والتفصيص حتى أقص مضجعى ، فلا قوارص تنام يوماً بل هي مستمرة ، ولا هي  
 تركنى أنام .

(٢) يقول : إن شره وأذاه أسرع إلى كل من كان أقرب منه ، من أجله  
 المعاندة والمكيدة بفعل ذلك .

(٣) أبل الرجال : اختبرهم وامتحانهم .

إذا كان ودُّ المرء ليس بزائد على «مرحبا» أو «كيف أنت» وحالكم<sup>(١)</sup>  
وليك إلا كاشرا ، أو محدثا فأف لوذ ، ليس إلا كذلك  
نسانك معسول ونفسك بشة وعند الثريا من صديقك مألكا  
وأنت إذا همت بميمتك مرة لتفعل خيرا ، فالتها شمالكا  
سمعت محمد بن النضر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال  
محمد بن حازم :

وإن من الإخوان إخوان كثيرة وإخوان «حياتك الإله» ، و«مرحبا»  
وإخوان : كيف الحال والأهل كله؟ وذلك لا يسوى نقبرا متريا  
جواد إذا استغثت عنه بماله يقول : إلى القرض ، والقرض فاطلكا  
فإن أنت حاولت الذي خلف ظهره وجدت الثريا منه في البعد أقربا  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الماقل لا يصادق للتون ، ولا يؤاخى للقلب ،  
ولا يظهر من التوداد إلا مثل ما يضر ، ولا يضر إلا فوق ما يظهر ، ولا يكون  
في التواب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها ، لأنه لا يحمد  
من الإخاء ما لم يكن كذلك .  
وأنشدني محمد بن النضر وأنشدني محمد بن خلف التيمي ، أنشدني رجل  
من خزاعة :

وليس أخى من ودنى بلسانه ولكن أخى من ودنى في التواب  
ومن ماله مالى ، إذا كنت معدما ومالى له ، إن عَصَّ دهر بغراب  
فلا تحمدن عند الرخاء مؤاخيا فقد تنكر الإخوان عند المصائب  
وما هو إلا كيف أنت ومرحبا وبالبيض رَوَّاع كروغع الثعالب<sup>(٢)</sup>  
أخبرنا ابن فضالة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا أبو معاوية عن هشام  
ابن عروة عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة « أحب خليك و خليل أليك »  
(١) قدم أولها وثانيها مع بيتين آخرين في ص ٩٧ (٢) أراد بالبيض الدرام .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من أعظم الأمارات على معرفة صحة الواد وسقمه : ملاحظة العين إذا تَلَطَّتْ ، فإنها لا تكاد تبدي إلا ما يضر القلب من الود ، ولا يكاد يخفى ما يجنه الضمير من الصد ، فالعاقل يعتبر الود بقلبه وعين أخيه ، ويجعل له بينهما مسلكا لا يردّه عن معرفة صحته شيء تخيله .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المذلل ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي ، حدثنا علي بن محمد المذهبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج مولى المهدي وعن إبراهيم بن شكلة<sup>(١)</sup> قال « إعلم أن من أظهر ما يحب أو ما تكره فإتما لك أن تقيس ما أضر قلبه بالذي أظهر لسانه ، وليس لك أن تعرف ما أسر ضميره ، فعامله على نحو ما يبدي لك لسانه » وفي ذلك أقول :

ليس المسمى إذا تغيب سوءه عني بمنزلة النسيء المعلن  
من كان يظهر ما أحب فإنه عندي بمنزلة الأمين المحسن  
والله أعلم بالقلوب ، وإنما لك ما بدا لك منهم بالألسن  
ولقد يقال خلاف ذلك إنما لك ما بدا لك منهم بالأعين

غير أن خالي خالفني في ذلك ، وزعم أن الأعين أبين شهادة على مافي القلوب من الألسن . وكتب في ذلك رسالة « أما بعد ، فقد بدا لي من صدك ، ما آيسني من ودك ، ولم يزل يخبرني لحظك ، ما تضر لي من بغضك » وكتب في أسفل ذلك :

وما أحب إذا أحيت مكتما يبدى العداوة أحيانا ويخفيها  
تظل في قلبه البغضاء ككاسة فالقلب يكتمها والعين تبديها  
والنفس تعرف في عيني محبتها من كان من سلمها أو من أعادها  
عينك قد دللتنا عيني منك على أشياء لولاها ما كنت أدريها

(١) شكلة - بكسر الشين وفتحها - أمه ، وهو إبراهيم بن المهدي العباسي .



أخبرنا الخلاوي ، حدثنا أحمد بن محمد الصوفي ، حدثنا محمد بن صالح البزازي قال : سمعت إبراهيم الخليلي يقول « دلائل الحب تعرف في الغيب ، وإن لم يطق لسانه »

### ذكر ائتلاف الناس واختلافهم

أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع السخيتاني ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد البصري ، حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال : قال علي « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : سبب ائتلاف الناس واقتراحهم — بعد القضاء السابق — هو تعارف الروحين ، وتناكر الروحين ، فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما ، وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسميهما .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران ، حدثنا يوسف ابن يعقوب الصفار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي يحيى عن مجاهد قال : رأى ابن عباس رجلا فقال « إن هذا ليحيى » قالوا : وما عليك ؟ قال : إني لأحبه ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

وأنشدني محمد بن أبي علي الخلاوي ، أنشدني أحمد بن محمد بن بكر الأبنائي .  
إن القلوب لأجناس مجندة      لله في الأرض بالأهواء تعترف  
فما تعارف منها فهو مؤتلف      وما تناكر منها فهو مختلف

أنبأنا ابن مكرم بالبصرة ، حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا الحكم بن عبد الملك  
عن قتادة بن قول الله تعالى ( ١١ : ١٢٠ ) إلامن رحم ربك ، ولذلك خلقهم قال :  
للرحمة والطاعة ، فأما أهل طاعة الله فقلوبهم وأهواؤهم مجتمعة ، وإن تفرقت ديارهم ،  
وأهل معصية الله فقلوبهم مختلفة ، وإن اجتمعت ديارهم .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

فما تُبصر العينان والقلب آلف ولا القلب والعينان منطبقان  
ولكنهما روحان تفرّض ذى لذى فيعرف هذا ذى فيلتقيان .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء  
من قلبه وسكوته : هو الاعتبار بمن يحاذيه ويؤده ، لأن المرء على دين خليله ،  
وطير السباء على أشكالها تقع .

وما رأيت شيئاً أذلّ على شيء ، ولا الدخان على النار ، مثل الصاحب على  
الصاحب . وأنشدني الأبرش :

يقاس المرءُ بالمرء إذا ما هو ماشاه  
وذو العَرِّ إذا ما احتضنك ذا الصحة أعداه <sup>(١)</sup>  
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه  
وللروح على الروح دليل حين يلقاه  
حدثنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير العبدى ، أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق  
عن هيرة ، قال : اعتبر الناس بأخذانهم <sup>(٢)</sup> .

(١) المرء - يضم العين للهمزة - الجرب . يقول : إن الصديق يمدى صديقه .  
كما يمدى الأجرب السلم .

(٢) اعتبر : قس ، والأخذان : جمع خدن - بالكسر - وهو الصديق .

أنيابنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى الأخابري ، حدثنا محمد بن صالح العدوي ، حدثنا الحسين بن جعفر بن سليمان الضبي قال : سمعت أبي يقول : سمعت مالكاً يقول « الناس أشكال كأجناس الطير ، الحمام مع الحمام ، والغراب مع الغراب ، والبط مع البط ، والصعو مع الصعو <sup>(١)</sup> وكل إنسان مع شكله » وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

يزين الفتى في قومه ويشبهه وفي غيرهم : أخذائه ومدخله  
لكل امرئ شكل من الناس مثله وكل امرئ يهوى إلى من يشاكله  
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إن كنت خائت ، وإن استبدلت مطرّاً ودّاً ، فلم تأت مكروها ولا بدّاً  
فكل طير إلى الأشكال موقعها والقرع يجرى إلى الأعراق منتزعا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يختبئ بمأشاة المريب في نفسه ، ويفارق حبة القث في دينه ؛ لأن من يحب قوماً عرّف بهم ، ومن عاشر امراً نُسب إليه ، والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله ، فإذا لم يجد المرء بدا من حبة الناس تحمّري حبة من زانه إذا صحبه ، ولم يشبهه إذا عرف به ، وإن رأى منه حسنة عذّها ، وإن رأى منه سيئة سترها ، وإن سكنت عنه ابتداه ، وإن سأله أعطاه .

فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها . وما أشبه عشرتهم إلا بما أخبرني محمد بن يعقوب البغلاني ، حدثني عبد الصمد بن الفضل حدثنا الحسين بن سهل التياص عن أبي عبيدة قال « تكلم عصفور في بني إسرائيل مع قتيح ، فقال العصفور : انحناؤك لماذا ؟ قال : من العبادة . قال : دفنك في التراب لماذا ؟ قال : من التواضع . قال : فما هذا الشعر ؟ قال : هذا لباسي . قال :

(١) الصعو : طائر أصفر من الصفور أحمر الرأس .

ما هذا الطعام ؟ قال : هذا أعددتُه لعابر السبيل . قال : فتأذن لي فيه ؟ قال :  
نعم . قال : فنقر المصفور نَقْرَةً فَأَخَذَ بَمَقْطَعِهِ ، فجعل المصفور يقول : شَغْ شَغْ  
شَغْ . وقال : والله لا يغرق قارىء بعنك أبداً .

وأنشدني محمد بن أبي علي لابن أبي اللقيش :

إن كنت تبنى العلم أو نحوَه أو شاهداً يخبر عن غائب  
فاعتبر الأَرْضَ بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

تَتَارَفُ أَرْوَاحُ الرِّجَالِ إِذَا التَّقْوَا فَهُمْ عَسَدٌ يُتَّقَى وَخَلِيلٌ  
كَذَلِكَ أُمُورُ النَّاسِ وَالنَّاسُ مِنْهُمْ خَفِيفٌ إِذَا صَاحِبَتُهُ وَثَقِيلٌ

وأنشدني للنتصر بن بلال الأنصاري :

اجمل قرينك مَنْ رَضِيتَ كَهَالَهُ واحذر مقارنة القرين الشائن  
كم من قرين شائن لقرينه ومُهْجَنٍ مِنْهُ نَكَلٌ مَحْاسِنُ  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من الناس من إذا رآه المرء يعجب به ، فإذا  
ازداد به علما ازداد به عجبا ، ومنهم من يبغضه حين يراه ، ثم لا يزداد به علما  
إلا ازداد له مَقْتًا ، فاتفاقهما يكون بانفاق الروحين قديمًا ، وافتراقهما يكون  
بافتراقهما ، وإذا اختلفا ثم افترقا فإراق حياة من غير بُغْضٍ حَادِثٌ ، أو فراق  
مَمَاتٍ ، فهناك الموت القطيع ، والأسف الوجيع ، ولا يكون موقف أطول غَمَّةً ،  
وأظهر حَسْرَةً ، وأدوم كآبَةً ، وأشد تأسفًا ، وأكثر تلهفًا من موقف الفراق  
بين الفواخين ، وما ذاق ذائق طعمًا أَمْرًا من فراق الخُلَّاءِ ، وانصرام القرينين .  
حدثنا محمد بن يعقوب الخطيب قال : سمعت معمر بن سهل يقول : سمعت

جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول :

لن يلبث القراء أن يفرقوا نيل بكرٍ عليهم ونهار  
 أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري ، حدثنا  
 الزبير بن بكار ، حدثني محمد بن موسى أبو غزيرة قال : كان أبو العتاهية إذا  
 قدم المدينة يجلس إلى ، فأراد مرة الخروج فودعني ، وقال :  
 إن نَعِشْ نَجْتَمِعْ ، وإلا فإنا أَشْغَلْ من مات عن جميع الأنام  
 حدثنا محمد بن أبي علي ، قال : أنشدنا محمد بن موسى السمرى ، أنشدنا  
 أحمد بن عبد الأعلى الشيباني :

فيا عجباً من يَمُدُّ يمينه إلى إلفه عند الفراق ، فبسرعه  
 ضغفتُ عن التوديع لما رأيته فصالحته بالقلب ، والعين تدمع  
 وأنشدني ابن نياض للبحتري :  
 الله جارك في انطلاقتك تلقاء شامك ، أو عراقك  
 لانتم — ذلنني في مسه رى حيث رست ، ولم ألايك  
 إلى خشيت موافقنا للبين نسفح غرب ماك<sup>(١)</sup>  
 وعدت ما يخشى المودع عند ضمك واعتناقك  
 فتركت ذلك تعمداً وخرجت أهرب من فراقك  
 وأنشدني منصور بن محمد السكري :

أفي كل يوم حبة البين تفرع وعيني ليين من ذوى الود تدمع  
 فلا النفس من نهياهما مستفيقة ولا بالذى يأتي به الدهر تقنع<sup>(٢)</sup>

(١) تسفح : تريق . والغرب : الدلو الكبير ، والملاق : الموق ، شبه موق عينه بالدلو  
 الكبيرة لكثرة ما يذرف من الدموع عند الفراق .

(٢) التهام : الهيام ، وهو شدة الحب ، ووقع في الأصل « تهماهما » وأحسبه  
 محرفاً عما أثبت .

وأنشدني محمد بن بندار بن أصرم :  
 أيا قلبُ لا تخرج من البين ، واضطرب فليس لما يُقضى عليك بدافع  
 توكل على الرحمن إن كنت مؤمناً يُحرك ، ودعني من مُحوس الطوالع  
 وكل الذي قد قَدَّر الله واقع وما لم يُقدِّره فليس بواقع  
 وأنشدني عبد الرحمن بن يحيى بن حبيب الأندلسي لنفسه :

نظقت مدامه بما في قلبه وعن الجواب لسانه لا ينطق  
 فكانه مما يقاسي قلبه دَفِئُ سريض أو أسير مَوْثِق  
 وكأنا الأشجان في أحشائه لفراق أهل الود نازلاً تحرق  
 كيف السوء ، وهل له من سلوة مَنْ بان عن أحبابه يَتَفَرَّق  
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : السبب المؤدى إلى إظهار الجزع عند فراق  
 المتواخين : هو ترك الرضا بما يوجب القضاء ، ثم ورود الشيء على مضمر الحشا  
 بضد ما انطوى عليه قديماً ، فمن وَطَنَ نفسه في ابتداء المعاشرة على ورود ضد  
 الجليل عليها من محبة ، وتأمل ورود المكروه منه على غفلة ، لا يظهر الجزع عند  
 الفراق ، ولا يشكو الأسف والاحترق ، إلا بمقدار ما يوجب العلم بإظهاره .  
 وقد أُولع بجماعة الفراق حتى إنهم خرجوا إلى ثَلَب الطيور ، ومدح  
 الدَّمَنِ<sup>(١)</sup> وتأولوا لمن نوح عليه السلام الفراق .

أنبأنا جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، بواسط ، حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى  
 الضبي ، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، حدثنا الجريري ، عن أبي السليل  
 عن أبي سراج قال « بعث نوح الفراق والحامة حيث استقرت السفينة على  
 الجودي ، يلتصقان له الجُدَّ - يعني الأرض - فأما الفراق فرأى جيفة فوقه عليها

(١) الثلب : النفس والعيب والدم . والدمن : الأطلال وآثار الديار .

خا كل منها . وأما الحمامة فجاءت عاضّة على غصن شجرة بطين أحمر . قال :  
فدعا للحمامة بالبركة ، وأما الغراب فلقه ، وقال له قولاً شديداً » .

أنيابنا محمد بن جعفر بن الحسن البغدادي ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين  
البغوي ، قال : قال سليم بن منصور « أمرت لُبَيْنَ فاشترى لها أربعة غرابان ،  
فلما رأتهن صرخت وبكت ، وكفتتهن ، وجعلت تضربهن بالسوط حتى قتلتهم  
جميعاً . وأنشأت تقول :

لقد نادى الغراب ببين لُبَيْنَ      فطار القلب من حذر الغراب  
وقال : غداً تُبَايِنُ دار لبني      وتناهى بعد ود واقتراب  
فقلت : تصبّت ، وبحك من غراب      أكل الدهر سعيك في تباب  
تقد أولمت لا لَقَيْت خيراً      بتفريق الحب عن الحباب

وأشدني إبراهيم بن علي الطريقي ، قال : أشدني علي بن إسحاق :

غراب البين ، وبحك صبح بقرب      كما قد صحت وبحك بالبعداد  
تسأدي بالفرق كل يوم      فالك بالتواصل لاتسأدي ؟  
أراني الله ويشك عن قريب      تمرطه البزاة بكل وادي <sup>(١)</sup>  
كما استخنت يوم البين عيني      وألقيت الحوازة في فؤادي

أنيابنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب ، بهمدان ، حدثنا عبد الكبير بن محمد  
الأنسي ، حدثنا بعض أصحابنا ، قال : مررت بالبصرة على باب دار ، فإذا بصوت  
غراب يُجَلَد ، فدنوت من الدار فإذا صاحبة الدار ، وبين يديها جوار ، وهي

(١) الرط - بفتح اليم وسكون الراء - تنف الريش . والبزاة : جمع باز ،  
وهو من الطيور الكاسرة .

تأمر بحلده . فقلت : أما تتقون الله في هذا الغراب . فقلن لى : هذا الغراب الذى قيل فيه :

ألا يا غراب البين قد طرئت بالذى أحاذر من لُبْنَى ، فهل أنت واقع ؟  
قلت : ليس هذا ذك الغراب . قالت : والله ما نراك تأخذ للبرى ، بالسقيم حتى تضموا بذلك الغراب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات والأشعار على التقصى فى كتاب « الوداع والقراق » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب ؛ إذ شرطنا فيه الإشارة إلى الشئ . المحصول ، والإيماء إلى الشئ . المقول .

### ذكر الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم

أبناؤنا الحسن بن سفيان ، حدثنا يزيد بن صالح الشكرى ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلاً زار أخاً له فى قرية ، فأرصد الله على مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً <sup>(١)</sup> فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخاً لى فى هذه القرية ، فقال : هل لى عليك من نعمة تَرْبُهَا ؟ قال : لا ، إلا أنى أحبه فى الله ، قال : إنى رسول الله إليك ، إنى الله تبارك وتعالى أحَبُّكَ كما أحبيته »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للاخوان وتفقدهم أحوالهم ؛ لأن الزائر فى فصدته الزيارة ، يشتمل على مصافقة معنيين : أحدهما : استكمال الذخى فى الآجل بمنع ذلك . وقد قال بعض القدماء : إن :

(١) أرصده : أقامه ينتظره ويترقبه . والمدرجة : السلك الذى يدرج فيه . وتربها : أى تحفظها وتراعبها وتربها كما ربى الرجل ولده .



الرجل إذا زار أخاه في الله ، لم يبق في السماء ملك إلا حياه بتحية مستأنفة لا يحويه ملك مثله ، ولم تبق شجرة من شجر الجنة إلا نادى صاحبها : ألا إن فلان بن فلان زار أخاه في الله <sup>(١)</sup>

والآخر : التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور ، مع الانقلاب بفهمتين معا .  
ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا عبد الله بن رجاء الغداني قال : كان عتبة الغلام يأوى المقابر والصحارى ، ثم يخرج إلى السواحل فيقيم بها ، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فسلم عليهم حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثني بعض مشيختنا ، قال : قال عامر بن عبد قيس : إنما أجدني أسف على البصرة لأربع خصال : تجاوب مؤذنيها ، وظلمها المواجه ، ولأن بها إخواني ، ولأن بها وطني .

أنبأنا محمد بن المهاجر الممدل ، حدثنا محمد بن بشر الخطابي ، حدثنا محمد بن سهل التميمي ، قال : سمعت الثريائي يقول : جاءني وكيع بن الجراح من بيت المقدس وهو محرم بعمرة ، فقال : يا أبا محمد لم يكن طريق عليك ، ولكني أحببت أن أزورك وأقيم عندك ، فأقام عندي ليلة ، وجاءني ابن المبارك ، وقد أحرم بعمرة من بيت المقدس <sup>(٢)</sup> فأقام عندي ثلاثا ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أقم عندي عشرة أيام ، قال : لا ، الضيافة ثلاثة أيام .

---

(١) هذا من علم الغيب الذي لا ينبغي القول فيه إلا لله والرسول . وإلا كان قولنا على الله جبر علم . والله يقول ( ٧ : ٣٣ ) قل إنما حرم ربي القواحش ما ظهر منها وما بطن — إلى قوله — وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (

(٢) إنما مواقيت الإحرام بالحج والعمرة كمواقيت الصلاة ، حددها الله على رسوله =

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الناس في الزيارة على ضربين :  
فمنهم من صحح الحال بينه وبين أخيه ، وتحرى عن وجود الخلل ، وورود  
البغض فيه ؛ فإذا كان بهذا النعت ، أحببت له الإكثار من الزيارة ، والإفراط  
في الاجتماع ؛ لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نمته لا يورث الملامة ،  
والإفراط في الاجتماع بين من هذه صفته يزيد في المؤانسة .

والضرب الآخر : من لم يستحكم الود بينه وبين من يواخيه ، ولا أداها الحال  
إلى ارتفاع الحسنة بينهما فيما يتبدلان لمهتبهما ؛ فإذا كان بهذا النعت أحببت له  
الإقلال من الزيارة ؛ لأن الإكثار منها ينهما يؤدي إلى الملامة ، وكل مبدول  
ملول ، وكل ممنوع ممدود . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة  
نصرح بنفى الإكثار من الزيارة حيث يقول « زُرْ غَيًّا تَزِدُّ حُبًّا » إلا أنه لا يصح  
منها خبر من جهة النقل ، فتكينا عن ذكرها وإخراجها في الكتاب ، وإليها  
ذهب بعض الناس حتى ذكروها في أشعارهم .

من ذلك ما أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وقد قال النبي ، وكان بَرًّا      إذا زرت الحبيب فزره غَيًّا  
وأقلل زُور من تهواه تزدد      إلى من زرته مَقَّةً وحبا<sup>(١)</sup>  
وأنشدني محمد بن أبي علي :

إني رأيتك لي محبا      وإلى حين أغيب صبا  
فهمت لا ملامة      حَدَّثْتُ ولا استحدثتُ دنيا

ويتهارسوله صلى الله عليه وسلم . وقال : ربنا سبحانه ( ٢ : ٢٢٩ ) ومن يعد حدود  
الله فأولئك هم الظالمون ) وإنما أتى الأولون والآخرون من قبل التساهل في مثل هذا  
التعدي متوهمين أنه مبالغة في العبادة ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم  
( ١ ) اللمعة : شدة الاشتياق .

إلا لقول نبينا : زوروا على الأيام رغبا

أنيأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا خالد بن أحمد الشيباني ، حدثنا سعيد ابن عنبسة ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، قال : سمعت الحسن بن صالح يقول : كل مودة لاتزداد إلا بالاتقاء مدخولة .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من صحح الحال بينه وبين الإخوان لم يضره قلة الاجتماع ، لاستحكام الحال بينهما ، والمودة إذا أضر بها قلة الائتقاء تكون مدخولة ، وأما من لم يحل في نفس صحة الحال ، ولم يستحكم أسباب الوداد : فالتوقي من الإكثار في الزيارة أولى به ، لئلا يستثقل ويمك .

وأنشدني الخلالدي ، أنشدني أحمد بن محمد الصيداوي :

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون إذا دامت إلى المهجر مسلكا  
فإني رأيت القطر يسأم دأبا ويسأل بالأیدی إذا هو أسكا  
وأنشدني الكريزي :

أقلل زيارتك الخبيث تبكون كالثوب استجدته  
إن الصديق يئله أن لا يزال يراك عنده

وأنشدني الأوس بن أحمد بن محمد بن أحمد ، لأبي تمام :

وطول مقام المرء في الحى مخنق<sup>(١)</sup> لديباجتيه<sup>(٢)</sup> ، فاعترب تنجدد  
فإني رأيت الشمس زبدت بحبة إلى الخلق إذ ليست عليهم بسرمد

أنيأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أحمد بن زنجويه ، حدثنا حسين بن الوليد ، حدثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن أبي مليكة قال : قال ابن عباس « أكرم الناس على جلسي الذي يتخطى رقاب الناس حتى يجلس إلى » .

أبانا مكحول ببيروت ، حدثنا عبيد بن محمد بن هارون ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة في قوله تعالى ( ٤٢ : ٢٦ ) ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) قال : يشفعون في إخوانهم ( ويزيدهم من فضله ) قال : يشفعون في إخوان إخوانهم .

### ذكر صفة الأحق والجاهل

أبانا محمد بن نصر بن نوفل ، أبانا أبو داود السنجي ، حدثنا أبو عاصم ، عن شبيل بن عزرة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل الجليس الصالح مثل العطار ، إن لم يعطك شيئا يُصَبِّك من عطره . ومثل الجليس السوء مثل القَيْن ، إن لم يَحْرِقْ ثوبك ، أصابك من دخانه »<sup>(١)</sup> قال أبو حاتم رضى الله عنه : شبيل بن عزرة هذا من أفاضل أهل البصرة وقرائهم ، ولكنه لم يحفظ إسناد هذا الخبر ؛ لأن أنس بن مالك سمع هذا الخبر من أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، تقتصر به شبيل ولم يحفظه . والواجب على العاقل ترك محبة الأحق ، ومجانبة معاشرته النُّزَكِي ، كما يجب عليه لزوم محبة العاقل الأريب ، وعشرة القطن اللبيب ؛ لأن العاقل وإن لم يصبك الخط من عقله ، أصابك من الاعتبار به . والأحق إن لم يُعْذِرْك حقه تدنس بمشرته .

ولقد أبانا الحسين بن محمد السنجي حدثنا إبراهيم بن أبي داود البرسلي حدثنا زهير بن عباد حدثنا شهاب بن خراش عن أبيه عن يسير بن عمرو — وكان قد أدرك الصحابة — قال : أهرج الأحق ، فليس للأحق خير من هجرانه .

(١) وقع هنا في الطبعة السابقة أربع صحائف ليست من هذا الباب في شيء ،

أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبي يعقوب الرقي حدثنا أحمد  
ابن إسحاق الخشاب عن الأصمعي عن سلمة بن بلال قال : كان فتى يعجب على  
ابن أبي طالب ، فرآه يوماً وهو يتأشى رجلاً متهماً ، فقال له :

لا تصحب الجاهل إلى إيساك وإياه  
فكم من جاهل أوردى حلماً حين آخاه  
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه  
والشئ من الشئ مقاييس وأشباه  
والقلب على القلب دليل حين يلقاه <sup>(١)</sup>

وأشددني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اختر ذوى التميز واستبقهم وجانب التوكل وأهل الريب  
فصحة العاقل زين الفتى وصحة الأنوك أخذ السبب  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من علامات الحق التى يجب للعاقل تفقدها  
ومن خفى عليه أمره : سرعة الجواب ، وترك التثبت ، والإفراط فى الضحك ،  
وكثرة الالتفات ، والوقفة فى الأخيار ، والاختلاط بالأعرج .  
والأحق إذا أعرضت عنه اغتم ، وإن أقبلت عليه اغتر ، وإن حلفت عنه  
جهل عليك ، وإن جهلت عليه حلمت عليك ، وإن أسأت إليه أحسن إليك ، وإن  
أحسن إليك أسأء إليك ، وإذا ظلمته انتصمت منه ، وإذا ظلمك إذا أنصفته .

وما أشبه عشرة الحقى إلا بما أشددنى محمد بن إسحاق الواسطى :

(١) فى نسبة ذلك الشعر إلى على رضى الله عنه نظر ، فلقد نحل كثيراً من  
الشعر والثر ، بل ألصق به كثيراً مما فى كتاب نهج البلاغة ، وصفة البلاغة المحدثه ،  
وعقيدة الاعتزال صارخة منه بأن أكثر الكتاب من صنع الشريف الرضى أو آخر  
من شكله .

لى صديق يرى حقوقى عليه      نافلات وحقه كان فرضا  
لو قطعت الجبال طولاً إليه      ثم من بعد طولها سیرت عُرْضا  
راى ما صنعتُ غير كبير      واشتهى أن أزيد فى الأرض أرضا

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال : قال لى أبو طاهر  
ابن السرح قال : حدثنى خالى أبو رجاء عبد الرحمن بن عبد الحميد عن سعيد بن  
أبى أيوب قال : لا تصاحب صاحب سوء ، فإنه قطعة من النار ، لا يستقيم دمه  
ولا ينقى بجمده .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لن بسمع الأحق من واعظ      فى رفعة الصوت وفى حمسة  
لن تبلغ الأعداء من جاهل      ما يبلغ الجاهل من نفسه  
والحق داء ، ماله حيلة      تُرجى ، كبعد النجم فى لمسه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أظلم الظلمات الحق ، كما أن أهدأ البصائر  
العقل ، فإذا امتحن المرء بعشرة الأحق كان الواجب عليه اللزوم لأخلاق نفسه ،  
والبذينة لأخلاقه ، مع الإكثار من الحمد لله على ما وهب له من الانتباه لما حرم  
غيره التوفيق له ، فإن جرى الأحق فى صحبتته ميدانه فى عشرته فالواجب على  
العاقل لزوم السكوت حينئذ فى أوقاته ، لأن أبا حمزة محمد بن عمر بن يوسف  
أبنائنا بنسأ حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا ابن داود قال : سمعت الأعمش  
يقول : السكوت للأحق جواب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من الحق من لا يصدده عن سلوكه  
السكوت عنه ، ولا يدفعه عن دخول المكامن الإغضاء عنه ولا ينفعه .

فالعاقل إذا امتحن بعشرة من هذا نمته تكلف بعض التجاهل فى الأحيان

لأن بعض الحلم إزعاج ، كما أن استعماله في بعض الحالات قطب العقل .  
ولقد أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

نن كنت محتاجا إلى الحلم إنتى إلى الجهل فى بعض الأحيان أحوج  
ولى فرس للحلم بالحلم ملجَم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج  
فمن شاء تقويى فأنى مقوم ومن شاء تعويى فأنى معوج  
وما كنت أرضى الجهل خدنا ولا أخوا ولكنى أرضى به حين أخرج  
فإن قال بعض الناس : فيه سماجة ، فقد صدقوا ، والذل بالحر أسيج  
وأنشدني على بن محمد البسامي :

إن ترضى الرذل إلا حين تسخطه وليس يسخط إلا حين ترضيه  
ولا يسوك إلا حين تكرمه ولا يسرك إلا حين تقصيه  
حدثنا أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو سفيان المصري عن سفيان  
الثوري قال : ابن آدم لم يخلق إلا أحق ، ولولا ذلك لم يغمه عبسه .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عصام بن الفضل الرازي حدثنا الزبير بن  
بكار عن محمد بن حرب قال : قال عبد الله بن حسن لابنه : يا بني احذر الجاهل ،  
وإن كان لك ناصحا ، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدوا ؛ فيوشك الجاهل أن  
يورطك بمشورته في بعض اغترارك ، فيسبق إليك مكر العاقل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ومن شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والمعجز ،  
والعجور ، والجهل ، واللقط ، والوهن ، والمهانة ، والتعرض ، والتعاسف ، والظلم ،  
والخيانة ، والنفقة ، والسهو ، والنسي ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ،  
والبغضاء .

وإن من أعظم أمارات الحق في الأحق لسانه ؛ فإنه يكون قلبه في طرف  
لسانه ، ، ماخطر على قلبه نطق به لسانه .

والأحق يتكلم في ساعة بكلام يمجز عنه سبحانه وإثله ، ويتكلم في الساعة  
الأخرى بكلام لا يمجز عنه بأقل .

والعقل يجب عليه مجابة مَنْ هذا نفعه ، ومخالطة مَنْ هذه صفته ، فإنهم  
يحترون على من عاشرهم . ألا ترى الزُّطَّ (١) ليسوا هم بأشجع الناس ، ولكمهم  
يحترون على الأسد لكثرة ما يرونها .

وأنشدني محمد بن يوسف بن أيوب الأرمني :

وَكُنْ يَمَادِي عَاقِلًا خَيْرَ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ صَدِيقٌ أَحَقُّ  
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحَقًّا إِنْ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي أنشدني أبي لصالح بن عبد القدوس :

احذر الأحق أن نصحبَه إنما الأحق كالثوب الخلق

كلما رُفِعَتْهُ مِنْ جَانِبٍ حركته الريحُ وَهَنًا فَانْخَرَقَ

أَوْ كَصَدْعٍ فِي زُجَاجٍ فَاحْشَ هل ترى صدع زجاج يلتصق ؟

كحمار السوء ، إِنْ أَقْضَيْتَهُ (٢) رَمَحَ النَّاسَ ، وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ

وَإِذَا جَالَسَتْهُ فِي مَجْلِسٍ أَقْدَمَ الْمَجْلِسَ مِنْهُ بِالْخُرْقِ

وَإِذَا نَهَيْتَهُ كَيْ يَرْغَوِي زَادَ شَرًّا ، وَتَمَادَى فِي الْخُلُقِ

عجبا للناس في أرزاقهم ذاك عطشان ، وهذا قد غَرِقَ

أنا بن يعقوب بن إسحاق القاضي ، حدثنا أبو هاني عبد الحميد بن عبد الله

حدثنا عبد النعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : الأحق كالثوب الخلق ، إن

رفأته من جانب انخرق من جانب آخر ، مثل القحار المكسور ، لا يرفع ولا

يُسْقَبُ ، ولا يعاد طينا .

(١) الزُّط : جنس من السودان والهنود طوال الأجسام مع مخافة .

(٢) أَقْضَيْتَهُ : علفته القمام — بضم القاف وبتشديد الصاد — وهو نبت من الحمض



فهذا مثل الأحق : إن صحبته عَنَّاكَ ، وإن اعتزلته شَعَمَكَ ، وإن أعطاك مَنْ  
عليك ، وإن أعطيته كَفَّرَكَ ، وإن أَسَرَ إِلَيْكَ أَتَهَمَكَ ، وإن أَسَرَّتْ إِلَيْهِ  
خَانِكَ ، وإن كَانَ فَوْقَكَ حَقَّرَكَ ، وإن كَانَ دُونَكَ غَمَزَكَ .

وَأَنشَدَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَبْرَشُ :

اعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ الرِّجَالِ بَهِيمَةً فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ  
فَطَنَّا بِكُلِّ مَصِيبَةٍ فِي مَالِهِ وَإِذَا يَصَابُ بِدَيْنِهِ لَمْ يَشْعُرْ

وَأَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ :

وَأِنْ عَنَاءُ أَنْ تَقَهَّمُ جَاهِلًا فَيَحْسَبَ جَهْلًا أَنَّهُ مِنْكَ أَعْلَمُ  
وَتَشْخَصُ أَبْصَارُ الرِّعَاعِ تَمَجُّبًا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : إِنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ

(١) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْأَحْقُ يَقُومُ أَنَّهُ أَغْفَلُ مِنْ رُكْبٍ فِيهِ الرُّوحُ ،  
وَأَنَّ الْحَقَّ قُسِمَ عَلَى الْعَالَمِ غَيْرِهِ ، وَالْأَحْقُ مُنْقَضٌ فِي النَّاسِ ، مَجْهُولٌ فِي الدُّنْيَا ،  
غَيْرُ مَرْضَى الْعَمَلِ ، وَلَا مَحْمُودُ الْأَمْرِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الصَّالِحِينَ ، كَمَا أَنَّ الْعَاقِلَ  
يُحِبُّ إِلَى النَّاسِ ، مُسَوِّدٌ فِي الدُّنْيَا ، مَرْضَى الْعَمَلِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَعِنْدَ  
الصَّالِحِينَ فِي الدُّنْيَا .

أَبْنَاءُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَنَزِّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا خُطَّابُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَنْدِيُّ ،  
حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : أَنَا لِلْعَاقِلِ الْمَذِيرُ أَرْجَى  
مَنْى لِلْأَحْقِ الْقَبِيلُ .

وَأَنشَدَنِي الْمُتَنَزِّهِ بْنُ بِلَالٍ الْأَنْصَارِيُّ :

وَمَا الْفَقْرُ إِلَّا أَنْ تُصَاحَبَ غَاوِيًا وَمَا الرِّشْدُ إِلَّا أَنْ تُصَاحَبَ مَنْ رَشَدًا  
وَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ إِلَّا نَظِيرُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبِيلٍ وَلَا بَلَدٍ

(١) مِنْ هُنَا يَتَنَبَّأُ الْكَلَامُ الَّذِي نَبَّهْنَا عَلَى أَنَّهُ وَضَعَ فِي ص ١٢٤ فِي الطَّبَوَعَةِ

السَّابِقَةِ خَطَأً .

وأشدنى على بن محمد البسامي :  
لنا جليس تارك للأدب جليسه من نوكة في تب  
يفض جهلا عند حال الرضا عهداً ، ويرضى عند حال الغضب  
فنحن منه كلما جاءنا في عجب قد جاز حد العجب  
كأنه من سوء تأديبه أسلم في كتاب سوء الأدب  
أنيابنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن أبي يعقوب الرعي ، حدثنا عبد الله  
ابن موسى البصري ، حدثنا العتيبي ، قال : سمعت أعرابياً يقول : العاقل بخشونة  
العيش مع الغلاء أسرته بلين العيش مع السفهاء .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من شيم العاقل : الحلم ، والصمت ، والوقار ،  
والسكينة ، والوفاء ، والبذل ، والحسكة ، والعلم ، والورع ، والعدل ، والقوة ، والحزم ،  
والسكينة ، والتميز ، والسمت ، والتواضع ، والفور ، والإعطاء ، والتصف ،  
والإحسان ، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشد يديه به ولا يزاله على الأحوال كلها  
والواجب على العاقل أن لا يصحب بحيلة من لا يستفيد منه خيراً .  
وتقد أنيابنا محمد بن محمود بن عدى النسوي ، حدثنا علي بن سعيد بن جرير ،  
قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أخبرني عن مالك بن دينار أنه قال : مررت  
براهب في صومته فناديته ، فأشرف علي ، فكلني وكلته ، فقال لي فيا يقول :  
إذا استطعت أن تجعل فيا بينك وبين الدنيا حائطاً فافعل <sup>(١)</sup> ، وإياك وكل  
جليس لا تستفيد منه خيراً فلا تجالس ، قريباً كان أو بعيداً .

(١) وهذا بظاهره طلب المستحيل ، وهو من أحق الحق وأبلغ السفه ، ولا يكون  
من الرهبان إلا ذلك ؛ فإتهم ابتدعوا عكس ما كتبه الله ، فقد كتب الله وقدر بحكمته  
البالغة هذه الحياة الدنيا ، وجعلها للإنسان الطريق إلى الآخرة ، وذلك من إحسان  
الله بلا ريب ، وأمرنا أن نحسن الانتفاع بها مؤمنين بأن الله الحكيم ما خلقها ولا =

## ذكر الزجر عن التجسس وسوء الظن

حدثنا محمد بن أحمد الرقام بتستر ، حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا سليمان بن حيان عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تباعضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا »

حدثنا محمد بن عثمان المعقبى ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرقى ، حدثنا محمد بن حاتم الجرجاني ، حدثنا محمد بن المبارك ، عن يونس بن نافع ، عن كثير بن زياد ، قال : سمعت الحسن يقول : لا نسأل عن عمل أخيك الحسن والسوى ، فإنه من التجسس .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس ، مع الاشتغال باصلاح عيوب نفسه ؛ فإن من اشتغل بعيوبه

== خلق شيئا في السموات والأرض باطلا ، بل كله حق ، فقدر لربنا ذلك ونضع كل شيء في موضعه ؛ فقد قال سبحانه ( ١٠ : ٣٦ ) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) ولقد عصى أولئك الرهبان ومقلدوهم كل العصى فذهبوا متخطفين في مهامه القبيحة والفساد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، زعموا أنهم يقدرون أن يقهروا سنن الله ويظلموها فقهروهم وغلبهم ، والله ( ٦ : ١٨ ) هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ) فكان منهم أنفق الفسق ، وشرد العصيان ؛ ولئن ضل رهبان النصارى لتبديل شريعة عيسى عليه السلام وتعريفها ، فما بال رهبان المسلمين ضلوا ورامهم ضلالا بعيدا ؟ وهذا كتاب الله بحكمة آياته ، واضحة شرائعه ، بيضاء حججه ، قائمة صوابه ومطله ، وهذا هدى رسول الله مصون محفوظ ، كأنه قائم بين الناس بحديثهم ويدعوهم إلى الهدى وإلى صراط الله المستقيم ؛ ولكن هو إبليس النوى ، والتقليد الردى ، والفناء للفسد والهموى للمتكبر ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون ، وعليك بهدى رسول الله فهو خير هدى .

عن عيوب غيره أراح بدنه ، ولم يتعب قلبه ، فسكنا اطلع على عيب نفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه ، وإن من اشتغل بميوب الناس عن عيوب نفسه عى قلبه وتعب بدنه ، وتغذر عليه ترك عيوب نفسه ، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم ، وأعجز منه من عابهم بما فيه ، ومن عاب الناس عابوه ، ولقد أحسن الذى يقول :

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا عليك ، وأبدؤا منك ما كان يُستَرُ  
وقد قال فى بعض الأفاويل قائل له منطق فيه كلام مُحَقَّرُ  
إذا ما ذكرت الناس فأترك عيوبهم فلا عيب إلا دون مامتك يُذكر  
فإن عبت قوما بالذى ليس فيهم فذلك عند الله والناس أكبر  
وإن عبت قوما بالذى فيك مثله فكيف يعيب الثور من هو أعور ؟  
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه أشدُّ إذا عدَّ العيوب وأنكر ؟  
مضى تلتبس للناس عيبا تجد لهم عيوباً ، ولكن الذى فيك أكثر  
فسالهم بالكف عنهم ، فإنهم بعيبك من عيبك أهدي وأبصر  
حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا هارون بن صدقة القاضى ، حدثنا سعيد

ابن مسلمة الإيادى ، قال : ادعت امرأة على رجل حمارا لها ، قدمته إلى القاضى ، فسألها البينة ، فأحضرت أبا دلامة ورجلا آخر ، فقال لها القاضى : أما شاهدك هذا فقد قبلنا شهادته ، فأنتى بشاهد آخر ، فأنتى أبا دلامة فأخبرته ، فصار إلى القاضى ، وأنشأ يقول :

إن الناس عَطَوْنى تَغَطَيْتُ عنهم وإن بحثوا عني فقيم مباحث  
وإن حفروا بئرى حفرت بئارهم ليعلم يوما كيف تلك النبأث ؟<sup>(١)</sup>  
فقال القاضى للمرأة : كم نحن حمارك ؟ قالت : ثلاثمائة ، قال : قد احتسبناها

(١) نبث التراب ونبشه : حفره يده وأثاره .

لك من مالى ، وأشدنى الكريزى :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذى هو فيه  
وما خير من تحفى عليه عيوبه ويبدوله العيب الذى لأخيه  
حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا الليث بن عبيدة للصوى ، حدثنا الحسن بن  
واقع ، حدثنا ضمرة عن الشيباني ، قال : فى الكتب مكتوب : كما تدين تدان ،  
وبالكأس الذى تسقى به تشرب . وزيادة : لأن البادى لا بد له من أن يزداد .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : التجسس من شعب النفاق ، كما أن حسن الظن  
من شعب الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بإخوانه ، وينفرد بغمومه وأحزانه ، كما  
أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه ، ولا يفكر فى جنائنه وأشجانه .  
ولقد أحسن الذى يقول :

ما يستريح المسىء ظنا من طول غم ، وما يُريحُ  
وقلَّ وجه يضيق إلا ودونه مذهب قسيحُ  
من خَفَّ الله عنه هبت من كل وجه إليه ريح  
والجسم حيث استقر هاد والروح جَوَّالة تسبح  
كم تذبج الأرض من بنينا كل بنينا لها ذبيح  
لن يهلك المرء من سماح وقلما يُفلح الشحيح

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سوء الظن على ضربين :  
أحدهما : منهى عنه بحكم النبى صلى الله عليه وسلم .  
والضرب الآخر : مستحب .

فأما الذى نهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة ، على ما تقدم  
ذكرنا له .

وأما الذى يستحب من سوء الظن فهو كمن بينه وبينه عداوة أو شحنة  
فى دين أو دنيا ، يخاف على نفسه مكره ؛ فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكانده  
ومكره ؛ لئلا يصادفه على غيرة بمكره فيهلكه .

وفى ذلك أنشدنى الأبرش :

وحسن الظن يحسنُ فى أمور ويمكن فى عواقبه ندامه  
وسوء الظن يسُجّ فى وجوه وفيه على سماجته حزامه  
وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

ما ينبغي لأخى وقِر وتجربة أن يترك الدهر سوء الظن بالناس  
حتى يكون قريباً فى تباعده عناً ، ويدفع ضرّاً الحرص بالياس  
حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا إبراهيم بن هانىء ، حدثنا ابن أبى مريم ، حدثنا<sup>(١)</sup>  
أبناؤنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن  
عمر بن سعد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : مكتوب فى التوراة « من  
تَجَرَّ<sup>(٢)</sup> فَجَرَّ ، ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مباينة العام فى الأخلاق  
والأفعال ، بلزوم ترك التجسس عن عيوب الناس ؛ لأن من بحث عن مكنون  
غيره بحث عن مكنون نفسه ، وربما ظمَّ مكنونه على ما بحث من مكنون غيره ،  
وكيف يستحسنُ مسلم ثَلَبَ مسلم بالشئ الذى هو فيه ؟

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لا تلتبس من مساوى الناس ما سترُوا فيهِمَكَ الناس سترأ من مساويك

---

(١) كنا بالأصلين ، وإلى هنا ينتهى الكلام الذى نَهاى فى ص ١٢٤ على أنه  
وضع خطأ هناك فى المطبوعة السابقة .

(٢) أى صار تاجراً ؛ واتخذ التجارة صناعته .

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تبت أحداً عيباً بما فيكما  
وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا ما اتقيت الأمر من حيث يُتقى وأبصرت ما تأتي ، فأنت لبيبٌ  
ولا تلك كاللهي عن الذنب غيره وفي كفة مما يُذم نصيبٌ  
يعيب فعال السوء من فعل غيره ويفعل أفعال الذين يعيب  
حدثنا محمد بن المهاجر المذلل حدثنا محمد بن موسى السمرى حدثنا حماد بن  
إسحاق بن إبراهيم عن أبيه ، قال : وحدثني عزيز عن الزبير بن موسى الخزومي  
قال : قالت ابنة عبد الله بن مطيع الأسود ، وهي زوجة طلحة بن عبد الله بن  
عوف زوجها : ما رأيت أحداً قط أُم من أمها بك ، قال : مه ، لا تقول ذلك  
فيهم ، وما رأيت من يؤمهم ؟ قالت : أمراً والله بيئناً ، قال : وما هو ؟ قالت :  
إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت جانبوك ، قال : ما زدت على أن وصفتهم  
بمكارم الأخلاق ، قالت : وما هذا من مكارم الأخلاق ؟ قال : يأتونا في حال  
القوة منا عليهم ، ويفارقونا في حال الضعف منا عليهم .

### ذكر الحث على مجابهة الحرص للعاقل

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله ! - حدثنا بشر بن معاذ  
القيدي<sup>(١)</sup> حدثنا أبو عروانة عن قتادة عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم  
« بهرتم ابن آدم ونشب منه اثنتان : الحرص ، والحسد » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ركب الله جبل وعز في البشر الحرص والرغبة  
في الدنيا الفانية ، لئلا تحرب ، إذ هي دار الأبرار ، ومكسب الأتقياء ، وموضع  
زاد المؤمنين ، واستجلاب اليلة للصالحين ، ولو تمرى الناس عن الحرص فيها

بطلت وخربت ، فلم يجد المرء ما يستعين به على أداء فرائض الله ، فضلا عن اكتساب ما يجتهدى عليه النفع في الآخرة نقلا ، والإفراط في الحرص مذموم ، كما أنشدني علي بن محمد البسامي :

ليس عندي إلا الرضا بقضاء الله فيما أحببته أو كرهته  
لو إلى الأمور ، أخار منها خيرها لي عواقبا ما عرفته  
ولو أني حرصت جهدي أن أدفع أمرا مقدرا ما دفنته  
فأرى أن أرد ذلك إلى من عنده علم كل ما قد جهلته  
وأنشدني محمد بن نصر الدين :

يا كثير الحرص مشغو لا بدنيا ليس تنبي  
ما رأيت الحرص أدنى من حريص قط رزقا  
لا ، ولكن في قضاء الله : أن يعيا ويشقى  
تعرف الحق ، ولكن لا ترى للحق حقا

أبنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا  
نعيم بن حماد عن ابن المبارك قال : سخاء الناس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء  
اليدل ، ومروءة القناعة أكثر من مروءة الإحطاء .

أنشدنا أبو يعلى قال : أنشدونا منذ دهر للشافعي :

قدر الله واقع حيث يقضى وروده  
قد مضى فيك حكمه وانقضى ما يريد  
وأخو الحرص حرصه ليس مما يريد  
فأرد ما يكون إذ لم يحسن ما تريد

أبنا عبد الله بن عروة حدثنا يعقوب الدورق حدثنا ابن علية عن أيوب  
عن ابن سيرين قال : إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون .



قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أميرا ،  
وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميرا : لأن الحرص سبب لإضاعة الموجود عن  
مواضعه ، والحرص محرمة ، كما أن الجبن مقتلة ، ولو لم يكن فى الحرص خصلة  
تذم إلا طول المناقشة بالحساب فى القيامة على ما جمع لكان الواجب على العاقل  
ترك الإفراط فى الحرص .

وقد كان بعض أصحابنا كثيرا ما يشد :

تجانب الحرص ، ودع عنك الحسد      فسيها الذلُّ وإتعبُ الحسد  
وأنشدنى الكرى :

وأرقني طولُ التفكير إنى      عجبت لدهرٍ ما تَقْضَى عجائبه  
فكم عاجز يدعى جليداً لِنَفْسِهِ      ولو كلف التقوى لَكَلَّتْ مضاربه  
وعفٍ يسمى عاجزا لِعَفَافِهِ      ولولا التَّقَى ما أعجزته مَذاهبه  
فليس بحرص المرء أدركه الفنى      ولا باحتيال أدرك المالَ كاسبه  
ولكنه قبضُ الإله وبسطُهُ      فلا ذا يجاريه ولا ذا يضالِبُه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص غير زائد فى الرزق ، وأهون ما يعاقب  
الحرص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله ، فيتعب فى طلب  
ما لا يدرك أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه ؟ ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه  
واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى حل وعز بإدراك ما لا يسعى فيه ، والظفر  
بما لو سعى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليه وجوده .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

ألا رَبَّ باغٍ حاجَةً لا يَسْأَلُهَا      وآخرُ قد تَقْضَى له وهو آيس  
يحاولها هذا ، وتقضى لغيره      وتأتى الذى تقضى له وهو جالس

وأُشْدِي عبد العزيز بن سليمان الأبرش :  
 وكم من أكلة منعت أخاها بلذة ساعة أكلاتٍ دهر  
 وكم من طالب يسعى لشيء وفيه هلاكه لو كان يدرى  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص علامة الفقر ، كما أن البخل جلباب  
 المسكنة ، والبخل لقاحُ الحرص ، كما أن الحمية لقاح الجهل ، والمنع أخو الحرص ،  
 كما أن الأنفة توأم السفه . وأُشْدِي عمر بن محمد قال : أُنشدني الغلابي :  
 لا تأتني نذلة لمسألة فليأتنيك رزقك المقدور  
 واعلم بأنك آخذ كل الذي لك في الكتاب مُحَيَّر مسطور  
 والله ما زاد امرأ في رزقه حرصٌ ، ولا أزرى به التقصير

وأُشْدِي محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :  
 وأرض من العيش في الدنيا بأيسره ولا ترومن ما إن رُمته صعبا  
 إنَّ الغني هو الراضي ببعثته لا من يظل على ما فات مكتئبا  
 أُنبا أنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن يحيى بن حميد الطويل حدثنا  
 أبو عبد الرحمن المتقي حدثني أبي قال : اختصمت بنو إسرائيل في القدر ، خمسمائة  
 عام ، ثم تماكروا إلى عالم من علمائهم ، فقالوا له : أخبرنا عن القدر ، وقصر و بين  
 لفهمه عنك العوام ، فقال : حرمان عاقل ، وحظ جاهل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لاحظ في الراحة لمن أطاع الحرص ؛ إذ الحرص  
 سائق البلاء ، فالواجب على العاقل أن لا يكون بالفرط في الحرص في الدنيا ؛  
 فيكون مذموماً في الدارين ، بل يكون قصده لإقامة فرائض الله ، ويكون لبقية  
 نهاية يرجع إليها ، لأن من لم يكن لقصده [منها] نهاية آذى نفسه وأتعب بدنه .  
 فمن كان بهذا النعم فهو من الحرص الذي يحمد .

وأُشْدِي المنتصر بن بلال الأنصاري :

الحريص عونٌ للزمان على الفقى والصبر نعم القرن للزمان  
لا تخضعنَّ فإن دهرك إن رأى منك الخضوع أمدّه بهوان  
وإذا رآك وقد قصدت لصرفه بالصبر ، لاقى الصبر بالإذعان  
وأشدنى منصور بن محمد الكريزى ، حدثنى شعيب بن أحمد لأبى المتاهية :  
لا تخضعنَّ لخلق على طمع فإن ذلك مُقِرٌّ منك بالدين  
وأشدنى الكريزى أيضاً ، أشدنى شعيب بن أحمد لأبى المتاهية :  
قد شاب رأسى ، ورأسُ الحريص لم يَسِبْ  
إن الحريص على الدنيا لنى تعب  
مالى أراى إذا حاولتُ منزلةً  
فقلتها طمعت نفسى إلى رتب  
لو كان ينفعنى على ونجرتى  
لم أشف غيظى من الدنيا ولا كلّى  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحسكيات بعلمها  
فى كتاب « الثقة بالله » بما أرجو أن يكون فيه غنىة لمن أريد الوقوف على  
معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

### ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء

أنا محمد بن الحسين بن مكرم البزاز بالبصرة ، حدثنا عمرو بن على الفلاس ،  
حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج ، حدثنى عطاء أنه سمع أبا هريرة يقول : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تبغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد  
الله إخواناً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل محاربة الحسد على الأحوال

كلها : فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء ، وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده ، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم ، والحاسد لا يهدأ روحه ولا يستريح يده إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه ، وهيهات أن يساعد القضاء ما للحساد في الأحشاء .

وأشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

أعذر حشودك فيها قد خصصت به إن العلي حسن في مثله الحسد  
 إن يحسدوني فاني لا ألومهم قبي من الناس أهل الفضل قد حسدوا  
 فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد  
 أنا الذي وجدوني في صدورهم لا أرتق صدراً منهم ولا أريد  
 أنبأنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق ،  
 عن عمرو بن ميمون ، قال : رأى موسى رجلاً عند العرش فقبضه بمكانه ، فسأله  
 عنه ، فقال : ألا أخبرك بعمله ؟ كان لا يحسد الناس علي ما آتاهم الله من فضله ،  
 ولا يمتنئ والديه ، قال : وكيف يمتنئ والديه ؟ قال : يستسب لها حتى يسباً ، ولا  
 يعيش بالنعمة .

أشدنى ابن بلال الأنصاري :

عين الحسود عليك الدهر حارسة تبدي مساويك والإحسان يخفيها  
 فاحذر حراستها ، واحذر تكشفها وكن على قدر ما توليك توليها  
 أنبأنا عبد الرحمن بن زياد السكتاني ، بالأبلة ، حدثنا أبو يحيى الضرير ، حدثنا  
 موسى بن داود ، حدثنا ابن أبي عمير عن كعب بن علقمة قال : قال عمر بن الخطاب  
 رضي الله عنه « مامن أحد عنده نعمة إلا وجدت له حاسداً ، ولو كان المرء أقوم  
 من الفدح لوجدت له غامراً ، وما ضرت كلمة لم يكن لها خواطب »

وأنشدني علي بن محمد الباسي<sup>(١)</sup> :

حسدوا الفتى إذ لم يتألوا سعيه    فالقومُ أُنْدَادُ له وخصومُ<sup>(٢)</sup>  
كضرائر الحسناه قُلن لوجهها    حسداً وبنياً : إنه للدميم  
وترى اللبيب مُحسداً لم يَحْتَلِبْ    شتم الرجال ، وعِرْضُهُ مشْتومُ

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن حرب ، حدثنا  
غان بن الفضل ، أخبرني محمد بن يزيد عن يونس بن عبيد ، قال : قال ابن  
سيرين : ما حسدت أحداً على شيء من الدنيا ؛ لأنه إن كان من أهل الجنة  
فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة ؟ وإن كان من أهل  
النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار ؟

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحسد من أخلاق اللئام ، وتركه من أفعال  
السكرام ، ولكل حريق مطلق ، ونار الحسد لا تنطفأ .

ومن الحسد يتولد الحقد ، والحقد أصل الشر ، ومن أضمر الشر في قلبه ،  
أثبت له نباتاً مُراً مذاقه ، تماؤه الغيظ ، وثمرته الندم .

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره ، وحلولها فيه . فأما من  
رأى الخير في أخيه ، وتمنى التوفيق لمثله ، أو الظفر بحاله ، وهو غير مرید لزوال  
نافعه أخوه ؛ فليس هذا بالحسد الذي ذُكِّرَ ونُهي عنه .

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عَطُتْ نعمة الله عليه ، فكلما أنعم الله بترداد  
النعم ، ازداد الحاسدون له بالمسكروه والنعم .

وقد كان داود بن علي — رحمة الله عليه ! — ينشد كثيراً :

---

(١) ثانی هذه الأبيات ينسب لابن الرومی .

(٢) المحفوظ « فالقوم أعداء له وخصوم » .

إني ثأنت وخسأت ذرو عدد إذا الماريج ، لا تنقص لهم عدا  
 ابن عسكوى على ما كان من حسن فثل خنق فيهم جرّ لي حدا  
 حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا القلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ، أخبرنا عباد  
 ابن عباد الهلبي قال : قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن معاوية : ما أسرع الناس  
 إلى قدمك المدينة فقال : يا أمير المؤمنين :

إن الرايين تلقاها تحسنة وإن ترى للثام الناس حسادا  
 وأشدنى الكريزي ، أشدنى محمد بن الحسين العمي :  
 حسدا الله لما ظهرت فرموها بأباطيل الكلام  
 وإذا ما الله أيدي نعمة لم يضربها قول حساد الله  
 سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت أحمد بن سعيد الدارمي يقول :  
 سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول : كنا نتعلم في الكتاب - كما تعلم أبو جاد<sup>(١)</sup>  
 جمل نيسابوري ، وبخل مروزي ، وحسد هروي ، وطرم<sup>(٢)</sup> بلخي  
 أنباء محمد بن عثمان العقي ، حدثنا عمران بن موسى بن أيوب ، حدثني أبي  
 عن محمد بن الحسين ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : ما حسدت أحدا على  
 دين ولا دنيا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يوجد من الحسد أمان آخر من البعد منه ؛  
 لأنه مادام مشرقا على ما خصصت به دونه لم يزده ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله ،  
 ونقاء للعد فيه .

فالمائل يكون على إماتة الحسد بما قدر عليه أحرص منه على تربيته ، ولا يجد  
 لإيماني دواء أفع من البعاد ، فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك ، ولا على

(١) أبو جاد : أو أجاد : حروف الهجاء .

(٢) الطرم : من - تطرم وهو الانقياد في الكلام .

خيانة ظهرت منك ، ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء كما  
قال العتي :

أفكر ما ذنبى إليك ، فلا أرى لنفسى جرماً ، غير أنك حاسدٌ  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

ليس للحاسد إلا ما حسدُ وله البغضاء من كل أحد  
وأرى الوحدة خيراً للقى من جليس السوء ، فانهض إن تسدُ

وأنشدني محمد بن نصر الدين الحبيب بن أوس :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طوبى ، أتاح لها لسان حود  
لولا اشتغال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيبُ عَرَفِ العود <sup>(١)</sup>  
لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد النعمى على الحود  
أنا محمد بن المنذر ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا روح بن عبادة ،  
حدثنا حماد عن حميد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، هل يحسد المؤمن ؟ قال :  
ما أنساك ! بنى يعقوب ، لا أبالك ! حيث حسدوا يوسف ، ولكن غم الحسد  
في صدرك ، فإنه لا يضرك ، ما لم يعد أسنانك وتعمل به بذلك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا خطر بباله ضرب من الحسد لأخيه  
أبلغ المحجود في كتابه ، وترك إبداء ما خطر بباله .

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقربان ، أو من تقارب الشكل ، لأن الكتبة  
لا يحسدها إلا الكتبة ، كما أن الحبيبة لا يحسدها إلا الحبيبة ، ولن يبلغ المرء مرتبة  
من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها من ينفسه عليها ، أو يحسده فيها ، والحاسد  
خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكماً عند نائبة تحدث ، فإنه إن حكم لم يحكم

(١) العرف - بالفتح - الرجح الطيبة ، والعود : أراد به العود الذى ينبخر به .

إلا عليه ، وإن قصد لم يقصد إلا له ، وإن حرم لم يحرم إلا حفظه ، وإن أعطى أعطى غيره ، وإن فعد لم يقعد إلا عنه ، وإن نهض لم ينهض إلا إليه ، وليس المحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده .

فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبني أعمامه .

وقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا العباس بن يكار قال : قال رجل لشبيب بن شبة : إني لأحبك ، قال : صدقت ، قال : وما عليك ؟ قال : لأنك لست بحمار ولا ابن عم .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

أنت أمرؤ قصّرت عنه مروءته    إلا من النّس للاخوان والحسد  
أأن ترى خيراً منك تحسّدي ؟    إن الفضيلة لا تخلو من الحسد  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : بنس الشمار المرء الحسد ؛ لأنه يورث السكد ، ويورث الحزن ، وهو داء لا شفاء له .

والحسد إذا رأى بأخيه نعمة بُهت ، وإن رأى به عثرة شمت ، ودليل ما في قلبه كين ، على وجهه مبین ، وما رأيت حاسداً سألتم أحداً .

والحسد داعية إلى النكد ، ألا ترى إبليس ؟ حسد آدم فكان حسه نكداً على نفسه ، فصار لعينا بعد ما كان مكيناً <sup>(١)</sup> ، ويسهل على المرء رضی كل ساخط

---

(١) لست أدري : علام أقام الصائلون بمكانة إبليس : قولهم ؟ فمنهم من زعمه كان طامس الثلاثكة ، ومنهم من زعمه ، كان زينة ساكني الجنة ، وغير ذلك من مقالاتهم . وهذا كتاب الله واضح الآيات وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلوة الصفحات ، لا نجد في شيء من ذلك على شيء مما قالوه عن إبليس ، ومن أسدق من الله قیلاً ؟ وأعتقد أن للاسرائيليات يدا طائفة في تلك التبعوت التي خلصوها على إبليس . وكل ذلك من علم الغيب الذي لا ينبغي أن تنطق فيه إلا بكتاب الله ، أو بالصحيح الثابت من حديث رسول الله . والله أعلم .



في الدنيا حتى يرضى ، إلا الحسود ؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسدَ من أجتها .

ولقد حدثني محمد بن عثمان المقدسي<sup>(١)</sup> حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : قال بعض الحكماء : أُلِزِمُ الناسُ للسَّكَاةِ أربعة : رجلٌ حديد ، ورجلٌ حسود ، وخليطٌ للأدباء وهو غير أديب ، وحكيمٌ محقرٌ للأقوام ، وأبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله : جاهل ورث الضلالة عن أهله ، ورأس أهل ملته حطى فيهم بفضل الضلالة ، ومعظمٌ للدنيا يرى بهيجتها دأمةً محبوبة ، ويرى مارجى من خيرها قريباً ، وما صرف من شرها بعيداً ، ليس يعقد قلبه على الإيمان ، ورجل خالط السَّائِكِ فأنصرف عنهم لحرصه وشرهه ، ودأبهم على مكرٍ وحديعة .

### ذكر الحث على مجانبة الغضب وكرهية المجلة

أنبأنا عمر بن حفص البزار بإسناد يسابور ، حدثنا محمد بن زياد الزياتي ، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة أن جابراً قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئاً يارسول الله أدخل به الجنة ، ولا تُسَكِّرُهُ عَلَيَّ ، لعلِّي أعْقِلُ ، قال : لا تمضب » قال أبو حاتم رضى الله عنه : أحسن الناس عقلاً من لم يجرد ، وأحضر الناس جواباً من لم يفضب .

وسرعة الغضب : أنكى في العاقل من النار في يَبَسِ العَوَسِجِ ؛ لأن من غضب زأله عقله ، فقال ما سؤلت له نفسه ، وعمل ما شأته وأرداه .  
ولقد أنبأنا محمد بن عثمان المقدسي<sup>(٢)</sup> ، حدثنا إسحاق بن زكرياء البزاني

(١) في نسخة « المقبي » .

حدثنا عبد الصمد بن حسان ، حدثني وهيب قال : مكتوب في الإنجيل :  
ابن آدم ، أذكرني حين تغضب ، أذكرك حين أغضب ، فلا أحضرك فيمن أحق ؟  
وإذا غلبت فلا تنتصر ، فإن نُصِرَ لك خير من نصرتك لنفسك .

وأنشدني الكريزي :

ولم أر فضلاً تتم إلا بشيئة ولم أر عقلاً صح إلا على الأدب  
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : سرعة الغضب من شيم الخفي ، كما أن مجانبته  
من زى العقلاء .

والغضب بذر الندم ؛ فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر على إصلاح  
ما أفند به بد الغضب .

ولقد أنبأنا محمد بن إسحاق التتفي ، حدثنا حاتم بن الليث الجوهري ، حدثنا  
بكار بن محمد قال : كان ابن عون لا يغضب ، فإذا أغضبه إنسان قال : بارك  
الله فيك !

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لم يأكل الناس شيئاً من مآكلهم أحلى وأحده عقباه من الغضب  
ولا تلحق إنسان بملحة أبهى وأزین من دين ومن أدب  
أنبأنا كامل بن مكرم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ،  
حدثنا ضمرة عن أبي سعيد قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على  
غلامه قال : ما أشبهك بمولاي أنت تمصيني وأنا أعصى الله ، فإذا اشتد غضبه  
قال : أنت حر لوجه الله .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل إذا ورد عليه شيء بضد

ما تهواه نفسه : أن يذكر كثرة عصيانه ربه ، وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه ولا يَزُرِي بفعله الخروج إلى ما لا يليق بالعلاء ، في أحوالهم ، مع تأمل وفور الثواب في المعنى بالاحتمال ونفى الغضب .

وأنشدني الأنصاري :

وكظمي الغيظَ أولى من مُحاولتي      غيظَ العدو يا ضراري يا ماني  
لا خير في الأمر تُرديني مَنبته      يوم الحساب إذا مانصٌ ميزاني  
أنيأنا محمد بن النذر ، حدثنا عمر بن علي بن زياد العبدي قال : سمعت سالم ابن ميمون الخواص يقول :

إذا نطق السفية فلا تُجِبْهُ      فخير من إجابته السكوتُ  
سكتُ عن السفية فظنَّ أني      عييت عن الجواب ، وما عييتُ  
شرارُ الناس لو كانوا جميعاً      قذًى في جوف عيني ما قذيتُ  
فلستُ مجاوباً أبداً سفياً      خزيتُ لمن يجافيه خزيتُ  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تأنَّ في أمرك ، وافهم عني      فليس شيء يعدلُ التأنِّي  
تأنَّ فيه ، ثم قل ، فإني      أرجو لك الإرشاد بالتأنِّي  
أخبرني محمد بن أبي علي الخلادي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الزبيري عن سعيد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : أنشدني يونس بن إبراهيم بن محمد ابن طلحة لحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

فلا تمجلُ على أحدٍ بظلم      فإن الظلم مرتمةٌ وخيمُ  
ولا تمحش ، وإن مُلِيتَ غيظاً      على أحد ، فإن الفحش لومُ  
ولا تقطع أخاك عند ذنب      فإن الذنب يغفوه الكريمُ

ولكن دار عوراهُ برفق كما قد يَرْقَعُ التَّلَقُّفُ القديم  
ولا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر في العقبى سليم  
فما جَزَعُ بَعْضٍ عَنْكَ شَيْئاً ولا مافات تَرْجِعُهُ الميموم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في الغضب خصلة ندم إلا إجماع  
الحكماء ، فاطبة على أن الغضبان لا رأى له نكاح الواجب عليه الاحتياط لمفارقة  
بكل سبب .

والغضبان لا يضره أحد في طلاق ولا عتاق ، ومن التقهأ من عَذَرَ السكران  
في الطلاق والعتاق ، والخلق محبوبون على الغضب والحلم معا ، فمن غضب وحلم  
في نفس الغضب ؛ فإن ذلك ليس بمذموم ، ما لم يخرج غضبه إلى المسكروه من  
القول والفعل ، على أن مفارقتها في الأحوال كلها أحمد .

ولقد أنبأنا عمر بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء قال :  
قال عبد الملك بن مروان : إذا لم يغضب الرجل لم يحلم ؛ لأن الحلم لا يعرف إلا  
عند الغضب .

### ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس

أنبأنا محمد بن أحمد بن المستنير بالمصيصة حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم  
حدثنا خالد بن عمرو عن سفيان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال « جاء رجل  
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، غلبني عملا إذا أنا عملته أحبني  
الله ، وأحبنى الناس ؛ فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس  
يحبك الناس » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة

بكال الإياس عنهم ؛ إذ الطمع في لا يشك في وجوده فقر حاضر ، فكيف بما  
أنت شك في وجوده أو علمه ؟  
ولقد أحسن الذي يقول :

لأجعلنَّ سبيل اليأس لى سُبُلًا      ما عشتُ منك ، ودارَ ألهمِ أوطانًا  
والصبرُ أجعله غرماً أنال به      فى الناس قرباً ، وعند الله رضوانا  
فالنفس فأنعة ، والأرضُ واسعة      والدار جامعة مثى ووحدانا  
وأنشدنى عمرو بن محمد بن عبد الله النسائي قال : أنشدنى الحسين بن أحمد  
ابن عثمان :

اليأس أدبى ورقع همى      واليأس خير مؤدب للناس  
إنى رأيت مواضع الطمع الذى      يضع الشريف مواضع الأخماس  
وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :<sup>(١)</sup>

فأجعتُ يأساً لا لبانة بعده      واليأس أدنى للعفاف من الطمع  
والنفس تطعم هشة إن أطعمت      وتنسأل باليأس السلوة فتقتنع  
أنبأنا محمد بن عثمان العمري<sup>(٢)</sup> حدثنا يزيد بن عبد الصمد حدثنا يحيى بن صالح  
حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سعد بن مجرة أنه قال لابنه : يا بني ، أظهر اليأس  
فإنه غنى ، وإليك والطمع فإنه فقر حاضر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أشرف المني ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى  
لدى طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف ، فطوبى لمن كان شعار قلبه الورد ،  
ولم يُعم بصره الطمع .

ومن أحب أن يكون خُرّاً فلا يهوى ما ليس له ؛ لأن الطمع فقر ، كما أن  
اليأس غنى ، ومن طمع ذلّ وخضع ، كما أن من قنع عَفَّ واستغنى .

(١) البيتان الآتيان لبسا من بحر واحد ولا روى واحد لذلك فصلناهما

(٢) أنظر ص ١٤٥ السابقة .

ولقد أنشدني الكريزي :

لا خير في عزم بنير زوية      والشكُّ عجزٌ ، إن أردت سراحا  
والياس مما فات يُعقِبُ راحةً      ولربَّ مظلَمَةٌ تمسود دُباحا

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

فكنت لي أملاً دهرًا أطلبه      فسبَّرتَه صُروفُ الدهرِ أطوارا  
صرفت بالياس عنه النفس فأنصرفت      فما أبالي أقامَ الدهرُ ، أم سارا

أنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا عبد الله بن أبي شبة حدثنا عبد الله بن  
سرهوان حدثنا محمد بن هاني الطائي قال : بعث أبو الأسود الدَّيْلَمِيُّ إلى جاري يقترض  
منه ، فلم يُقرضه ، واعتلَّ عليه ، وكان حسنَ الظنِّ به ، فقال أبو الأسود :

لا تُشعِرَنَّ النفسَ ياساً ، فإنما      يعيش بجِدِّ عاجزٍ وجليـــــــــــــــــــــــــــــــــد  
ولا تطمئنَّ في مال جاريٍ لقربه      فكل قريب لا يُنال بعيدُ  
وقرّض إلى الله الأمورَ ، فإنما      يروح بأرزاق العباد جدود

أنا القطان بالرقعة حدثنا المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول :  
سمعت ابن السكّك يقول : الرجاء حَبْلٌ في قلبك ، وقَيْدٌ في رِجْلِكَ ؛ فأخرج الرجاء  
من قلبك ينفكَّ القيدُ من رِجْلِكَ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الطمع غُدَّةٌ من قلب المرء له طرفان ، أحدهما :  
القيد في رجليه ، والآخر : الطبع على لسانه ، فادامت العقدة قائمة لا تنفكَّ  
رجلاه ، ولا ينطق لسانه ؛ فإذا أخرج الطمع من قلبه انفكَّ القيد من رجليه ،  
وزال الطمع عن لسانه ، فسي إلى ما شاء ، وقال ما أحب .

ودواء زوال الطمع عن القلب : هورؤية الأشياء من مَكُونِها بدوام اتِّخْلُوةٍ ،  
وترك الناس ، كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كُنْ لِقَمَرِ الْبَيْتِ حِلْسًا وَأَرْضَ بِالْوَحْدَةِ أُنَا<sup>(١)</sup>  
لَسْتُ بِالوَاجِدِ حُرًّا أَوْ تَرَدُّ الْيَوْمِ أَمَّا  
فَاغْرَسَ الْيَأْسَ بِأَرْضِ الْـ \* زُهْدٍ مَا عُمِّرَتْ غَرْبًا  
وَلَيْكِنْ يَأْسُكَ دُونَ \* طَمَعِ الْكَاذِبِ تُرْسًا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يجتنب الطمع إلى الأصدقاء ؛ فإنه  
مَذَلَّةٌ ، ويلزم اليأس عن الأعداء ؛ فإنه مَنبِجَةٌ ، وتركه مَهْلِكَةٌ ، واليأس هو بذر  
الراحة والعز ، كما أن الطمع هو بذر التعب والنل ، فكُم من طامع تعب وذل ،  
ولم ينل بغيته ، وكُم من آيس استراح وتمزز ، وقد أناه ما أمل وما لم يأمل .  
وأشدنى الأبرش :

(١) إن من يلزم قمر البيت ليكون حلساً - والحلس : الفراش المهيمن من خيش  
ونحوه ، يكون تحت الفراش القيم ، من نحو البسط والتمارق ، وهو أيضاً : ما يلى  
ظهر الفرس أو البعير تحت السرج والرحل - لا بد أن يكون مهيناً حقيراً ، عالة على  
الناس ، معطلا عن العمل والكسب ، فأرأ من ميدان الكدح والجهاد في الحياة  
بسنن الله العليم ، ولذلك جرى على ألسنة العرب : « فلان جلس بيته » على الدم ،  
يعنون أنه لا يصلح إلا للزوم البيت ، كما قال في لسان العرب . ومثل هذا لا يحبه  
الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن أن هذا لا يقطع جذور داء الطمع ،  
بل يزيده تأملاً ، وتمكناً في النفس ، بما تلزمه الحياة وشئون العيشى اللازم فيها  
إلى ما في أيدي العاملين الكادحين ، بل ويولد فيه - زيادة عن الطمع - الحسد  
والحقد على المجتمع كله ، ومانبتت رءوس شياطين القن في المجتمع والثورة على النظم  
والحكومات إلا من جحور وأوكر أولئك الفارين من ميدان الحياة السقيمة  
بالجد والنشاط في حسن الانتفاع بسنن الله وآياته ونعمه ، ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون .

يَعْرِى وَيُغْرِثُ مَنْ أَمْسَى عَلَى قَطْعٍ مِنَ الْمَكَارِمِ وَهُوَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي  
إِنَّ الْمَطَامِعَ ذَلِكَ لِلرَّقَابِ ، وَلَوْ أَمْسَى أَخُوها مَكَانَ السَّيِّدِ الرَّاسِ  
وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِي :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي إِذَا النِّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أُنْسَ أَنَّ أَتَى كَرَمًا  
وَلَسْتُ بِلَوْامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ مَا يَفُوتُ ، وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ أَتَقَدَّمَ  
أَنْبِيَاءَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقَزَازِ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَوْسَافَ الْكَوْفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ جَبَلَةَ الْكِنَانِيُّ عَنْ معاوية بن عمار عن أبي جعفر قال : الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي  
النَّاسِ عَزٌّ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَاتِمِ الطَّائِي :

إِذَا مَا عَزَمْتَ الْيَأْسَ أَتَيْتَهُ النَّفْيُ إِذَا عَرَفْتَهُ النَّفْسُ ، وَالطَّمَعُ الْفَقْرُ

### ذَكَرَ الْحَثَّ عَلَى مَجَانِبَةِ الْمَسْأَلَةِ وَكَرَاهِيَّتِهَا

حَدَّثَنَا أَبُو يَزِيدَ خَالِدُ بْنُ النُّضَرِ بْنِ عَمْرِو الْقُرَشِيُّ بِالْبَصْرَةِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ  
ابْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ  
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَأْتِيَ بِحَزْمَةٍ  
يُحْزِمُهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَنْ يُعْطَوْهُ أَوْ يَمْنَعُوهُ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ مَجَانِبَةُ الْمَسْأَلَةِ عَلَى  
الْأَحْوَالِ كُلِّهَا ، وَلَزِمَ تَرْكُ التَّعَرُّضِ ؛ لِأَنَّ الْإِفْكَارَ فِي الْعَزْمِ عَلَى السُّؤَالِ يُورِثُ  
الْمَرَّةَ مَهَانَةً فِي نَفْسِهِ ، وَيَحْطُطُّ رَتَبَةً <sup>(١)</sup> عَنْ مَرَاتِبِهِ ، وَتَرْكُ الْعَزْمِ عَلَى الْإِفْكَارِ فِي  
السُّؤَالِ يُورِثُ الْمَرَّةَ عِزًّا فِي نَفْسِهِ ، وَيَرْضَهُ دَرَجَةً عَنْ مَرَاتِبِهِ .

وَلَقَدْ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا الْقِيْضُ بْنُ الْخَضِرِ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ حُبَيْقٍ قَالَ : قَالَ مُوسَى بْنُ طَرِيفٍ : إِنْ الْحَاجَةُ تَعَرَّضَ لِي إِلَى الرَّجُلِ ،

(١) الرتبة : الخطوة الواسعة نحو القفز بشدة



فِيخْرِجْ عِزِّي مِنْ قَلْبِي قِطْعَ الْحَاجَةِ مِنْ نَاحِيَتِهِ . فِيرْجِعْ عِزِّي إِلَى قَلْبِي  
وَأُنْشِدُنِي الْكَرِيمِي قَالَ : أُنْشِدُنَا الْحَسَنَ بْنَ أَحْمَدَ لَعَلِّي بِنَ الْجَهْمِ :  
هِيَ النَّفْسُ ، مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ وَلَدَهُرَ أَيَّامَ تَجْوَرُ وَتَمْدِلُ  
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّفَضُّلُ  
فَلَا عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْمَرْءِ نِعْمَةٌ وَلَكِنَّ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّحَمُّلُ  
أَخْبَرَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى السَّاجِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ  
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ « مَنْ  
سَأَلَ النَّاسَ لِيُثَرِّى مَالَهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رَضَفٌ <sup>(١)</sup> مِنَ النَّارِ يُنْقَمُهُ ، فَمَنْ شَاءَ اسْتَقْلَ ،  
وَمَنْ شَاءَ اسْتَكَثَرَ »

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلْيَانَ بْنِ فَارَسٍ الدَّلَالُ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الصَّبَّاحِ  
حَدَّثَنَا أَبُو عِبَادٍ يَحْيَى بْنُ عِبَادٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ  
يُحَدِّثُ عَنْ حَكِيمِ بْنِ قَبِيصٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَوْصَى بَنِيهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، فَقَالَ :  
يَا بَنِيَّ ، إِيَّاكُمْ وَمَسْأَلَةَ النَّاسِ ؛ فَإِنَّهَا آخِرُ كَسْبِ الرَّجُلِ

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا فَيَرْدُوهُ ، وَلَا يُجِيفُ  
فِي الْمَسْأَلَةِ فَيَحْرَمُوهُ ، وَلَا يَزِمُ التَّعَنُّفَ وَالتَّكْرِمَ ، وَلَا يَطْلُبُ الْأَمْرَ مُدْبِرًا ، وَلَا يَتْرُكُهُ  
مُقْبِلًا ؛ لِأَنَّ قُوَّةَ الْحَاجَةِ خَيْرٌ مِنْ طَلِبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ؛ وَإِنْ مِنْ يَسْأَلُ غَيْرَ  
الْمُسْتَحَقِّ حَاجَةً حَظًّا لِنَفْسِهِ مَرَّتَيْنِ ، وَرَفَعَ الْمُسْتَوْثَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَوْمِلٍ الْمَصْرِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ حَامِدَ بْنَ  
يَحْيَى يَقُولُ : سَمِعْتُ سَفْيَانَ بْنَ عَيْنَةَ يَقُولُ : مَنْ يَسْأَلُ نَذْلًا حَاجَةً فَقَدْ رَفَعَهُ عَنْ قَدْرِهِ  
أُنْشِدُنِي ابْنَ زَيْحِي الْبِنْدَادِي :

---

(١) الرضف : الحجارة المصممة بالنار

ذُلُّ السَّوَالِ شَجَى فِي الْخَلْقِ مَعْتَرِضٌ مِنْ دُونِهِ شَرِّقٌ، مِنْ خَلْفِهِ جَرَضٌ <sup>(١)</sup>  
مَامَاهُ كَغَفْكَ إِنْ جَاءَتْ وَإِنْ نَحَلَتْ مِنْ مَاءٍ وَجْهِي إِذَا أَفْنَيْتَهُ عِوَضُ  
وَأُنْشِدُنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزْدَبِ :

مَا اعْتَاضَ بِأَذَلِّ وَجْهِهِ بِسْوَالِهِ عِوَضًا ، وَإِنْ نَالَ الْفَنَى بِسْوَالِ  
وَإِذَا السَّوَالُ مَعَ النَّوَالِ وَزَنَّتَهُ رَجَحَ السَّوَالُ ، وَخَفَّ كُلُّ نَوَالٍ  
وَإِذَا ابْتَلَيْتَ بِبِذَلِّ وَجْهِكَ سَائِلًا فَأَبْذَلُهُ لِلتَّكْرَمِ الْفَضَالُ

أَبْنَاءُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ الْمَدَلِ حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ ابْنَةِ أَبِي سَعِيدٍ التَّغْلِبِيُّ  
الْدِمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ أَبِي عُلْقَمَةَ الْمَطَارْدِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : قَالَ  
مُطَرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ لِابْنِ أَخِيهِ : يَا بُنَيَّ أَخِي ، إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ  
إِلَى فَا كُتِبَ بِهَا فِي رُقْعَةٍ ، فَإِنِ أَصَوْنُ وَجْهِكَ عَنْ ذُلِّ السَّوَالِ . وَأُنْشِدُنِي ذَلِكَ  
يَا أَيُّهَا التَّمَبُّ بِذُلِّ السَّوَالِ وَطَالِبِ الْحَاجَاتِ مِنْ ذِي النَّوَالِ  
لَا تَحْسِبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلِيِّ فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالِ  
كَلَامُهُمَا مَوْتُ ، وَلَكِنَّ ذَا أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ لَذُلُّ السَّوَالِ  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ سُوءُ أَخْلَافٍ ، وَالْمَسْأَلَةُ مِنَ النَّاسِ  
وَالْمُحْضُ بِالسَّوَالِ نَصْفُ الْمَرَمِ ، فَكَيْفَ الْمُبَاشَرَةُ بِالسَّوَالِ ؟ وَمَنْ عَزَّزَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ  
صَغُرَتْ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَلَا يَنْبُذُ الرَّجُلُ حَتَّى يَغْفُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ،  
وَيَتَجَاوَزُ عَمَّا يَكُونُ مِنْهُمْ ، وَالسَّوَالُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَلَالٌ ، وَمَنْ غَيَّرَهُمُ ذُلُّ النَّوَالِ  
وَأُنْشِدُنِي الْأَبْرَشُ :

إِنْ الْحَرِيصُ إِذَا مُلِحَّ بُهَانَ

(١) الشَّجَى : مَا يَمْتَرِضُ فِي الْخَلْقِ مِنْ شَوْكَةٍ وَنَحْوِهَا . وَالشَّرِّقُ : النِّصَّةُ بِلَاءُ .  
وَالْجَرَضُ : النِّصَّةُ بِالرِّيقِ ، وَهُوَ أَنْ يَبْتَغِي عَلَى هَمٍّ وَخَوْفٍ بِجَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ لِحَافِ حَلْقِهِ ،  
وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ .

من يُكثِرُ التَّسَالُ من إخوانه يستنقلوه ، وحظه الحرمان  
 وأنشدني علي بن محمد البسامي :  
 أتيت أبا عمرو أُرَجِّي عطاه فزاد أبو عمرو على حزني حزنا  
 فكنت كبغاي القرن أسلم أذنه فبات بلا أذن ، ولم يستغذ قرنا  
 حدثنا محمد بن عثمان المعقب<sup>(١)</sup> حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی حدثنا  
 عبد الله بن سليمان قال : كان أكرم بن صفي يقول : السؤال - وإن قل -  
 أثمن من التوال ، وإن جل  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرمه عليه  
 قدره ، ويعظم عنده خطره ، فكيف بمن يهون عليه رده ، ولا يكرمه عليه قدره ؟  
 وأبعد اللقاء الموت ، وأشد منه الحاجة إلى الناس دون السؤال ، وأشد منه  
 التكلف بالسؤال ؛ لأن السؤال إذا كان بنجاح الحاجة مقرونا لم يخل من أن  
 يكون فيه ذل السؤال ، وإذا الحاجة لم تنقص كانت فيه ذلّان موجودان : ذل  
 السؤال ، وذل الرد .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :  
 لا يحسّ الصديق منك بفقر لا ، ولا والد ، ولا مولود  
 ذاك ذل إذا سألت بغيلا أو سألت الذي عليك يهود  
 أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ببغداد حدثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة  
 عن الأعمش قال : سمعت المروزي بن سويد يحدث عن عبد الله قال « إن في طلب  
 الرجل الحاجة إلى أخيه فتنة ، إذا أعطاه حدة غير الذي أعطاه ، وإن منعه دم غير  
 الذي منعه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في السؤال خصلة تذر إلا وجود  
 التذلل في النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن

لو اضطره الأمر إلى أن يَسْتَقِرَّ الرمل ويَمُصَّ النَّوَى أن لا يتعرض للسؤال أبدا ما وجد إليه سبيلا ، فأما من دفعه الوقت إلى ذلك فسأل من يعلم أنه يقضى حاجته أو ذا سلطان لم يُخْرِجْ في فعله ذلك ، كما لم يخرج في القبول إذا أعطى من غير مسألة ، ومن استغنى بالله أغناه الله ، ومن تعزز بالله لم يفرقه ، كما أوت من اعترى بالعبيد أذله

واقعد أنبأنا سعيد بن محمد القزاز حدثنا أبو الهيثم الرازي حدثنا خالد بن يزيد حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف عن معمر قال : قال أبو معاوية - رجل من ولد كعب بن مالك - : « لقد رأيتني أنضح <sup>(١)</sup> أول النهار ، وأضرب آخر النهار على بطني بالموءل في المعدن ، قال : قلت : لقد لقيت مؤونة ، قال : أجل إنا طلبنا الدرهم من أيدي الرجال ومن الحجارة ، فوجدناها من الحجارة أسهل علينا » .

### ذكر الحث على لزوم القناعة

حدثنا الحسن بن سفيان الشيباني حدثنا محمد بن أبي بكر القدي حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر قال « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنسكى ، فقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد مكنت بُرْهَةً من الدهر مُتَوَهِّجًا أن الأعمش لم يسمع هذا الخبر من ليث بن أبي سليم ، فدلسه ، حتى رأيت على بن السديني

(١) التناضح : هو الذى يستقى من البئر بالذلو ، وأصله في البعر ، ويستعمل في الإنسان على تجوز ، وفي نسخة « أنضح » بالصاد المهملة : أى ينصح الناس ويعظهم ، وهو بالصاد المعجمة أقرب إلى مقصد الكلام

حدث بهذا الخبر عن الطحاوى عن الأعمش قال : حدثني مجاهد : فعلت حينئذ أن الخبر صحيح ، لا شك فيه ، ولا امتراء في صحته .

فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر في هذا الخبر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل ؛ فكأنه أمره بالقناعة باليسير من الدنيا ؛ إذ الغريب وعابر السبيل لا يقصدان في الغيبة إلا كثار من الثروة ؛ بل القناعة إليهما أقرب من الإكثار من الدنيا .

ولقد أخبرني محمد بن عثمان العتيبي<sup>(١)</sup> حدثني جعفر بن سنان بن داود حدثني أبي حدثني حجاج حدثنا عتبة بن سالم قال : قال أكرم بن صفى لابنه : يا بني ، من لم يأمن على ماله فادع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قوت عينه .

وأشدني على بن محمد البلساني :

من تمام العيش ما قوت به عين ذى النعمة ، أثري أو أقل

وقليل أنت مسرور به لك خير من كثير في دغل

وأشدني ابن زحى البغدادي :

أقول للنفس : صبرا عند نائبة ففسر يرمك موصول يسر غد

ما سترى أن نفس غير قانعة وأن أرزاق هذا الخلق تحت يدي

أنبأنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن عيسى بن عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال « أربع قد فرغ منها : الخلق ، والخلق ، والرزق ، والأجل . وليس أحد بأكسب من أحد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطرا القناعة ، وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالنفس ؛ ولو لم

(١) انظر أيضا ص ١٤٥ السابقة

يكن في القناعة حصلة محمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع سوء ، لطلب الفضل لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق القناعة على حالة من الأحوال .  
ولقد أنبأنا عمر بن حفص بن عمرو البزار حدثنا أبو مسعود حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا عبد الله بن إبراهيم اللدني حدثنا أبو بكر بن محمد بن النكدر عن أبيه قال « القناعة مال لا ينفد » .

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد ابن حيد الأكَاف :

تَمَنَّعَ بالكفاف ، تش رجياً      ولا تبغ الفضول من الكفاف  
ففي خبز القفار<sup>(١)</sup> بغير آدم      وفي ماء الفرات غنى وكاف  
وفي الثوب الرقع ما يغطى      به من كل عرى وانكشاف  
وكل ترين بالسر زين      وأزينه التزين بالكفاف  
وأنشدني الكريزي :

لمسك ما طول التمثل ضاى      ولا كل شتل فيه للبر منفعة  
إذا كانت أرزاق في القرب والنوى      عليك سواء فاعظم راحة الدعة<sup>(٢)</sup>  
وإن ضقت فاصبر يُفرج الله ماوى      ألا ربّ ضيق في عواقبه سعة  
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً      لقد تزين أهل الحرص والشين  
لا زين إلا لراضٍ في تقله      إن القنوع ثوب العز والدين  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الإنسان لم يوضع على قدر الأحطاء ، وأن من عدم القناعة لم يزد له المال غنى ، فتسكن المرء بالمال القليل مع

(١) القفار : القى لا إدام معه (٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن

فلة الممّ أهنأ من الكثير ذى التّبعة ، والعاقل ينتقم من الحرص بالفتنوع ، كما  
ينتصر من العدو بالقصاص ؛ لأن السبب المانع رزق العاقل هو السبب الجالب  
رزق الجاهل .

وأنشدني محمد بن سعيد القزاز ، أنشدنا محمد بن خلف التيمي ، أنشدني  
رجل من خزاعة :

رأيت الفنى والقرّ حَظَّين قُسمَا فأحرم مُحْتال وذو العي كاسب  
فهذا مُلِحٌّ دائبٌ غيرُ راجح وهذا مُرِيحٌ راجحٌ غير دائب  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا المرء لم يقنع بعيش ، فانه وإن كان ذامال من الفقر موقر  
إذا كان فضل الناس يُغنيك بينهم فأنت بفضل الله أغنى وأيسر  
أخبرنا أحمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن  
حماد قال : سمعت ابن المبارك يقول : مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : القناعة تكون بالقلب : فمن غنى قلبه غنيت  
يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم ينسخط ، وعاش آمناً مطمئناً .  
ومن لم يقنع لم يكن له فى القوائت نهاية لرغبته ، والجِدُّ والحِرمان كأنهما  
يصطرعان بين العباد .

ولقد أحسن الذى يقول :

فأكل ما حاز الفنى من تلاده بكئس ، ولا ما فاته بقوان  
فأنجِلْ إذا طالبت أمراً فانه سيكفيك جَدان يصطرعان

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي عن المديني  
قال : كان يقال : مروءة الصبر عند الحاجة والقناعة بالتمنع والفنى أكثر من  
مروءة الإعطاء .

وَأُنْشِدُنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ أَنْشَدَنَا الْغَلَايَ أَنْشَدَنَا ابْنَ عَائِشَةَ :  
 غَنَى النَّفْسَ يَغْنَى النَّفْسَ حَتَّى يَغْنَاهَا      وَإِنْ مَسَّهَا حَتَّى يَمَسَّهَا يَصْرُ الْفَقْرُ  
 وَمَا شَدَّةً ، قَاصِرُهَا إِنْ لَقِيَتْهَا ،      بِدَائِعِهَا إِلَّا سَيِّبُهَا يَسِرُ  
 وَأُنْشِدُنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْجَى الْبَغْدَادِي :

فِيَارَبِّ كَرَّمَ جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَحْفَ      وَمَسْرُورٌ أَمْرٌ بِالَّذِي أَنْتَ خَائِفُ  
 أَرَى النَّاسَ ، مَا لَمْ تَبْلُ ، إِخْوَانُ ظَاهِرُ      وَإِنْ تَبْلُ تَنْكَرُ جُلٌّ مَا أَنْتَ عَارِفُ  
 أَبْنَاءُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَانَ الْعَقْبَى حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَهْدِيٍّ الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ  
 يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو قَالَ : سَمِعْتُ سَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ - وَذَكَرَ عَنْهُدَا الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ  
 وَضَرَبَؤُهُ - فَأَنْشَأَ سَفْيَانُ يَقُولُ :

كَمْ مِنْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ فِي تَقْلِيهِ      مُهَذَّبِ الرَّأْيِ عَنْهُ الرِّزْقُ مَنْحَرِفُ  
 وَمِنْ ضَعِيفٍ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُخْتَلِطِ      كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَنْتَرِفُ  
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ نَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى الْقَنُوعِ ، ثُمَّ حَسَدَ النَّاسَ  
 عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ فَلَيْسَ ذَلِكَ لِقَاعَةً وَلَا لِسَخَاوَةً ، بَلْ لِمَجْزُوفَةٍ ؛ فَثَلْهُ كَثَلُ  
 حَمَارِ السَّوْدِ الَّذِي يَمْرُجُ بِحَقَّةِ حَمَلِهِ ، وَيَحْزَنُ إِذَا رَأَى الْمَلْفَ يُؤَمِّرُهُ ذُو الْقُوَّةِ  
 وَالْحُلَّ الثَّقِيلُ ، فَالْقَانِعُ الْكَرِيمُ أَرَاهُ قَلْبُهُ وَبَدَنُهُ ، وَالشَّرِيرُ اللَّثِيمُ أُنْتَبَ قَلْبُهُ  
 وَجَسَدُهُ ، وَالْكَرَامُ أَصْبَرُ نَفْسًا ، وَاللَّثَامُ أَصْبَرُ أَجْسَادًا .

وَأُنْشِدُنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ أَنْشَدَنَا الْغَلَايَ :

لَمَسْرُكٍ مَا الْأَرْزَاقُ مِنْ حِيلَةِ الْفَقْرِ      وَلَا سَبَبٍ فِي سَاحَةِ الْحَيِّ ثَاقِبُ  
 وَلَكِنَّهَا الْأَرْزَاقُ تُنْقَسَمُ بَيْنَهُمْ      فَمَا لَكَ مِنْهَا غَيْرَ مَا أَنْتَ شَارِبُ  
 وَأُنْشِدُنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ أَنْشَدُنِي هَلَالَ بْنِ الْعَلَاءِ الْبَاهِلِي :

تَجْمَلُ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَوْلَاكَ غِلْظَةً      فَإِنَّ الْفَقْرَ فِي النَّفْسِ ، لَا فِي الْقَوْلِ



يزين للثيم القوم كثرة ماله وما زين الأقوام مثل النجمل  
حدثنا الحسين بن سفيان حدثنا عبد العزيز بن منبج حدثنا محمد بن يحيى  
الصائغ قال : قال الخليل بن أحمد :

إن لم يكن لك لحم كفاك خل وزيت  
إن لا يكن ذا وهذا فكسرة ومبيت  
تظل فيه ونأوى حتى يحبك موت  
هذا نصري كفاف فلا يقرئك ليت

أنا نأنا كامل بن مكرم حدثنا محمد بن مروان البيروني حدثنا أبو مسهر حدثنا  
سعيد بن عبد العزيز عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى ( ١٦ : ٩٧ ) فلنحيينه  
حياة طيبة ) قال : القناعة

### ذكر الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق

أنا نأنا ذكرنا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي بالبصرة أنا نأنا أبو الربيع  
الزهراني حدثنا المقرئ حدثنا حيوة بن شريح وابن لميعة قالا : حدثنا أبو هاني،  
حميد بن هاني الخولاني قال : سمعت أبا عبد الرحمن الحنبل يقول : سمعت عبد الله  
ابن عمرو بن العاص يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « قَدَّرَ اللَّهُ الْقَادِرِ  
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمِائَةِ سَنَةٍ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التوكل على من  
تَكْتَلُ بالأرزاق ؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان ، وقرين التوحيد ، وهو السبب  
المؤدى إلى نفي الفقر ووجود الراحة ، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة  
قلبه حتى كان الله جلَّ وعلا بما تضمن من الكفاية أوثق عنده بما حوته يله إلا لم  
يَكِلْهُ الله إلى عباده ، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وَأُنشِدُنِي مِنْصُورَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَرِيرِي :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ      أَرَدْتُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْضِي وَيَقْدِرُ  
مَتَى مَا يُرِيدُ ذُو الْعَرْشِ أَمْرًا بَعِيدَهُ      يُصِيبُهُ ، وَمَا لِلْعَبِيدِ مَا يَنْتَخِرُ  
وَقَدْ يَهْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ وَجْهِ أَمْنِهِ      وَيَنْجُو بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ  
وَأُنشِدُنِي عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَسَامِي :

أَحْسَنَ الظَّنِّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكَ      كُلِّ إِحْسَانٍ ، وَسَوَّى أَوْدَكَ <sup>(١)</sup>  
إِنْ مِنْ قَدْ كَانَ يَكْفِيكَ الْإِذَى      كَانَ بِالْأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكَ  
أَتَيْنَا مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ قَتِيبَةَ بِعَسْقَلَانَ حَدَّثَنَا أَبُو مَرْوَانَ الْأَزْرَقُ حَدَّثَنَا  
الْوَلِيدُ عَنْ ابْنِ جَابِرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ  
أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ « إِنْ الرِّزْقُ لِيُطْلَبَ الْعَبْدُ كَمَا يُطْلَبُهُ أَجَلُهُ » .

وَأُنشِدُنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَبْرَشَ :

لَوْ كَانَ فِي صَخْرَةٍ فِي الْبَحْرِ رَاسِيَةٌ      صَبَاءٌ مَلْعُومَةٌ مُنْأَسَ حَوَالِيهَا  
رَزَقَ لِعَبْدٍ بَرَّاهُ اللَّهُ لَا تَغْلَقَتْ      حَتَّى تَوْدِيَ إِلَيْهِ كُلُّ مَا فِيهَا <sup>(٢)</sup>  
أَوْ كَانَ بَيْنَ طِبَاقِ السَّيْعِ مَطْلَبُهُ      يَوْمًا لَسَهَّلَ فِي الرِّزْقِ مَرَاقِبَهَا  
حَتَّى يَنَالِ الَّذِي فِي الْوُجْهِ خَطُّهُ      إِنْ هُوَ أَتَاهُ ، وَإِلَّا فَهَوَّ أَتَيْهَا  
وَأُنشِدُنِي مِنْصُورَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَرِيرِي أَنْشِدُنِي مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْعَمِّيَّ :

مِلْ الْحَاجَاتِ مِنْ سَيِّدٍ      لَيْسَ لَهُ سِترٌ وَلَا حَاجِبٌ  
يُعْطَى عَطَايَاهُ إِذَا شَاءَهَا      مِنْ غَيْرِ تَوْقِيعٍ إِلَى كَاتِبِهَا  
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْخَلِيلِ بَنَسَا حَدَّثَنَا الْقَطَوَانِيُّ حَدَّثَنَا سَنَانُ حَدَّثَنَا رِيَّاحُ  
الْقَيْسِيُّ قَالَ « إِنْ لَكَ مِلَانَسَكَةٌ مُوَكَّلِينَ بِأَرْزَاقِ بَنِي آدَمَ ، يَحْمِلُونَ أَرْزَاقَهُمْ

(١) الْأَوْدُ - بفتح الهمزة والواو - العوج .

(٢) بَرَّاهُ اللَّهُ : خلقه ، وأصله « بَرَّاهُ » تخفف الهمز بقلبها ألفاً .

على درجاتهم : ثم قال : أيما عبد من عبادي جعل همه عمداً واحداً ، فضمنوا السموات والأرضين وبنى آدم رزقه ، وأئى عبد طلب رزقه أعطوه رزقه حيث أراحه ، فإن تحزى مكاسبه بالعدل فطيبوا له رزقه ، وإن تعدى إلى الحرام فليأخذه من هواه إلى غاية درجته التي ليس فوقها ، ثم حوّنوا بينه وبين سائر الدنيا : فلا يأخذن من حلالها ولا من حرامها فوق الدرجة التي كتبت له .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الأرزاق قد فرغ منها وتضمنها العلى الخفى على أن يوفرها على عباده في وقت حاجتهم إليها ، والاشتغال بالسعى لما تضمن وتكفل ليس من أخلاق أهل الحزم إلا مع انطواء صحة الضمير ، على أنه وإن لم يسع في قصده أتاحه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لما رأيتك قاعداً مستقبلي أيقنت أنك اللهم قرين  
فأرفض لها وتمرّ عن أنوابها إن كان عندك للقضاء يقين  
هون عليك ، وكن ربك واتقا فأخو التوكل شأنه التهوين  
طرح الأذى عن نفسه في أمره من كان يعلم أنه مضمون  
حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي قيس عن  
هذيل بن شرحبيل قال « جاء سائل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي البيت  
تمرّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هك ، لو لم تأتها أنتك » .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

فحن بتوفيق الإله وأمره على كل حال أمرنا متوسع  
عطاء ملك لا يمنّ عطاؤه خير بما تُحَنّى عليه الأضالع  
أنبأنا محمد بن إبراهيم الشافعي حدثنا داود بن أحمد الديماطي حدثنا  
عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما اهتممت برزق قط

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على السائل أن يعلم أن السبب الذى يدرك به العاجز حاجته هو الذى يحول بين الحائز وبين مصادفته ، فلا يجب أن يحزن العاقل لما يهوى وليس بكائن ، ولا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن ؛ فما كان من هذه الدنيا أنى المرء من غير تعب فيه ، وما كان عليه لم يدفعه بقوته ، ولا يدرك بالطلب المحروم ، كما لا يحرم بالنعوذ المرزوق .

ولقد أحسن الذى يقول :

يَنَالُ التَّغْنَى مَنْ لَيْسَ يَسَى إِلَى التَّغْنَى وَيُحْرَمُ مَنْ يَسَى لَهُ وَيَدَاوِمُ  
وَمَا الْعِجْزُ يَحْرُمُهُ وَلَا الْحِرْصُ جَالِبُ وَمَا هُوَ إِلَّا حُطُوءَةٌ وَمَقَاسِمُ  
وَأُنْشَدْنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ أَنْشَدَنَا الْغَلَابِيُّ أَنْشَدَنَا الْعَتَبِيُّ :

وَرَزَقَ الْخَلْقَ مَقْسُومَ عَلَيْهِمْ مَقَادِيرُ يَقْدِرُهَا الْجَلِيلُ  
فَلَا ذُو الْمَالِ يُرْزَقُهُ بِمَقْلٍ وَلَا بِالْمَالِ تَقْتَسِمُ الْعُقُولُ

أَبَانَا الميثم بن خلف البورى - ببغداد - قال : سمعت إسحاق بن موسى الأنصارى يقول : سمعت يمان النجرانى - وكان لا يدخر شيئاً - يقول : مررت براهب فى قاعة فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَنَا جَائِعٌ ، فَقُلْتُ : يَا رَاهِبُ ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ فَضْلٍ ؟ فَأَدَلَّنِي إِلَى زَنْبِيلٍ فِيهِ فِلَقٌ مِنْ خَبْزٍ فَأَكَلْتُ مِنْهَا ، وَرَمَيْتُ إِلَيْهِ الْبَاقِي ، فَقَالَ : تَزَوَّدْ ، قُلْتُ : الَّذِى أَطْعَمَنِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِنْسِيٌّ ، يَطْعَمُنِي إِذَا جِئْتُ وَلَا يَكُونُ مَعِيَ شَيْءٌ .

وَأُنْشَدْنِي ابْنُ زَيْجَى الْبَغْدَادِيُّ :

لَا تَتَهَمَّ رَبِّكَ فِيمَا قَضَى وَهَوْنُ الْأَمْرِ ، وَطِبُّ نَفْسَا  
لِكُلِّ قَوْمٍ قَرَجٌ عَاجِلٌ يَأْتِي عَلَى الْمَصْبَحِ وَالْمَسَى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التوكل هو قطع القلب عن العلائق ، برفض العلائق ، وإضافته بالانقصار إلى محوّل الأحوال ، وقد يكون المرء موسراً فى ذات

الدنيا وهو متوكل صادق في توكله إذا كان العدم والوجود عنده سَيِّئَيْنِ لا فرق عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لا يملك شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيل ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحبَّ إليه من العدم ، فلا هو في العدم يرضى حالته ، ولا عند الوجود يشكر مرتبته .  
وأنشدني الكريزي :

فلو كانت الدنيا تنال بفطنة      وفضل عقول نلتُ أعلى المراتب  
ولكننا الأرزاق حَظٌّ وقسمة      بملك ملوك ، لا بحيلة طالب  
وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصاري أنشدنا الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :  
ألا ترى الدهر لا تقنى بحوائبه      والدهر يخلط ميسورا بمسور ؟  
وليس للهو إلا كل صافية      كأنها دمة من عين مهجور  
أنبأنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجنييد حدثنا سهل بن عاصم  
حدثنا نافع بن خالد قال : دخلنا على رابعة العدوية ، فذكرنا أسباب الرزق ،  
فخضنا فيه وهي ساكتة ، فلما فرغنا قالت رابعة : خيبة لمن يدعى حُبَّه ثم يتهمه  
في رزقه ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت هذا الباب بالعلل والحكايات  
على التقصي في كتاب «التوكل» ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها

أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى بالموصل حدثنا أحمد بن جميل الروزي حدثنا  
ابن المبارك أنبأنا عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن  
عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم ، ثم أمره  
فكتب ما يكون إلى يوم القيامة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها

قد فرغ منها ، فمنها ما هو كائن لا تحالة ، ومالا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه ،  
فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يتوزع بإزار له طرفان : أحدهما : الصبر ،  
والآخر الرضا ، ليستوفي كمال الأجر لقعله ذلك ، فكأن من شدة قد صمبت  
وتعذر زوالها على العالم بأسره ، ثم فرج عنها السهل في أقل من لحظة .  
ولقد أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

كم من أمر قد نضايقت به      فأناني الله منه بالفرج  
ولعبت مؤيس قربه      قدر الله ، فعاد بالفرج  
فله الحمد على ذي سرمدنا      ما أضاء الصبح يوما وبهج  
وكذلك الله رب قادر      يصلح الأمر الذي فيه عوج  
وله الحمد على آلائه      يستديم السر من والقلاج<sup>(١)</sup>

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي  
الحجاج الأزدي قال : سألت سلمان : ما الإيمان بالقدر ؟ قال : إذا علم العبد أن  
ما أصابه لم يكن ليخطئه [ وما أخطأه لم يكن يصبه ]  
وأنشدني الأبرش :

هون على نفسك من سعيها      فليس ما قدر مردود  
وأرض بحكم الله في خلقه      كل قضاء الله محمود

أنبأنا عبد الله بن قحطبة الطرحي حدثنا منصور بن قدامة الواسطي حدثنا  
محمد بن كثير عن معمر قال : لما حاصر الحجاج ابن الزبير بمكة جعلت الحجارة  
تضرب الحائط ، فقليل له : لا نأمن عليك أن يصيبك منها حجر ، فقال ابن الزبير :

هون عليك ، فإن الأمور      بكف الإله مقاديرها  
فليس بآتيك منها      ولا قاصر عنك مأمورها

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الثعالبي حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي

حدثنا سفيان عن مسر، أن رجلاً ركب البحر، فسكر به، فوقع في جزيرة من جزائر البحر، فكث فيها ثلاثاً لا يرى أحداً، ولا يأكل طعاماً، ولا يشرب شرباً، فأيس من الحياة، فتمثل :

إذا شاب الغراب أتيتُ أهلي وصار القارُ كاللبن الحليب  
فأجابه مجيب يقول :

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه يكون وراءهُ فرج قريب  
فظفر ، فإذا سفينة في البحر ، فلوّح لهم ، فأتوه ، لحملوه ، وأصاب معهم خيراً ، ورجع إلى أهله سالماً

وأشدني محمد بن جعفر الهمداني - بصور - على ساحل بحر الروم :  
لا تضيعنَّ في الأمور ؛ فقد تكشفت غاؤها بنير احتيال  
ربما تكره النفوس من الأمر ، له فُرجة كحلَّ العقال  
وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

عسى فرج يأتي به الله ؛ إنه له كلُّ يوم في خلقته أمرٌ  
عسى ماترى أن لا يدوم ، وأن ترى له فرجاً مما ألحَّ به العُسر  
إذا اشتدَّ عسر فأرجُ يسراً ؛ فإنه قضى الله أن العسر ينعمه اليسر  
أنا أنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة حدثنا محمد بن عثمان العجلي قال : لما  
حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم عن ثوبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فاذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على  
عواتكم ، فأيدوا خضراءهم ، فإن لم تعملوا فكونوا زراعين أشقياء » فسمي  
به إلى الهدى ، فبعث إلى شريك ، فأتاه ، فقال : حدثت بها : قال : قلت : نعم ،  
قال : عن رويتهما ؟ قلت : عن الأعمش ، قال : ويلي عليه ! لو عرفت مكان قبره  
لأخرجته فأحرقته بالنار ، قلت : إن كان لأمونا على ماروي ، قال : يا زنديق

لأقتلتك ، قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويفك الدم ، قال : والله لأقتلتك .  
قلت : أو يكفي الله ! قال : خرجنا من عنده ، فاستقبلني الفضل بن الربيع ،  
فقال : ليس لك موضع تهرب إليه ؟ قلت : بلى ، قال : فإنه قد أمر بقتلك ، قال :  
خرجت إلى جبل ، فخرجت يوما أتجسس الخبر ، فأقبل ملاح من بغداد ،  
فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين ، قلت :  
يا ملاح ، قَرَّب ، قَرَّب ، فقرب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

تجرى المقادير إن عسرا وإن يسرا وللمقادير أسباب وأبواب  
ما اشتد عسر ، ولا انشدت مذهبه إلا تفتتح من مسروره باب  
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

الآ رب عسر قد آتى اليسر بعده وغمرة كرب فرجت لكظم  
هو الدهر : يوم ، يوم يؤس وشدة ويوم سرور للفتى ونعم  
أبنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب النيسابوري  
حدثنا بشر بن عبد الحكم عن علي بن عثمان قال : روى إبراهيم بن آدم منتفط  
الرجلين <sup>(١)</sup> ، رافعهما على ميل ، وهو يقول ( ٤٧ : ٣١ ) ولنبؤنكم حتى نعلم  
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم )

(١) نفطت - بكسر الفاء - رحله ، وتنفطت : تفرحت من كثرة الشيء في  
الأرض الصعبة ، وهل كان تنفط رجلى ابن آدم لكثرة جهد وسمي في سبيل الله :  
لجهاد العدو ، أو لطلب علم ، أو لفصل رحم ، أو لأمر معروف ، أو لنهي عن منكر ؟  
إما كان ذلك لشدة ما أجهد نفسه في الجبال والصحارى منقطعاً عن الناس ، وفاراً  
من الناس ومن الاختلاط بهم ، وقد أمر الله أولى العلم أن يباشروا الناس ؛ لعلهم أن  
يقموا من أعوجاجهم أو يصلحوا من فسادهم .



أُنبأنا القطان بالرقعة حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا عبد العزيز بن عمير عن عطاء الأزرق عن عبد الواحد بن زيد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، من أين أتى هذا الخلق ؟ قال : من قلة الرضا عن الله ، قلت : ومن أين أتى قلة الرضا عن الله ؟ قال : من قلة المعرفة بالله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يحب على العاقل إذا كان مبتدئاً أن يلزم عند ورود الشدة عليه سلوك الصبر ، فإذا تمكن منه حينئذ يرتقى من درجة الصبر إلى درجة الرضا ، فإن لم يرزق صبراً فليلزم التنصير ، لأنه أول مراتب الرضا ، ولو كان الصبر من الرجال لكان رجالاً كريماً ؛ إذ هو بذر الخير ، وأساس الطاعات

واقعد أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا طاهر بن الفضل بن سعيد حدثنا سفيان بن عيينة قال : سمعت رجلاً من أهل الكتاب أسلم ، قال : أوحى الله إلى داود : يا داود اصبر على المؤنة ، نأثك متى المؤنة

وأنشدني عبد الله بن الأحوص بن عمار القاضي :

صبراً جبلاً على ماناب من حدث والصبر ينفع أحياناً إذا صبروا

الصبر أفضل شيء تستعين به على الزمان إذا ما مالتك الضر

وأنشدني إبراهيم بن محمد بن سهل أنشدني أبو يعلى الموصلي :

إني رأيت - وفي الأيام تجربة - للصبر عاقبةً محمودة الأثر

وقل من جسد في شيء يحاوله فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أناك الروح والفرج القريب وساعدك القضاء ، فلا تحيب

صبرت ، فقلت عني كل خير كذلك لكل مصطبر عقيب

أُنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الثعالبي حدثنا محمد بن علي قال : سمعت -

مضر أباسعيد يقول : قال عبد الواحد بن زيد : ما أحببت أن شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضى ، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضى ، وهو رأس الحجة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر جماع الأمر ، ونظام الحزم ، ودرعامة العقل ، وبذر الخير ، وحيلة من لا حيلة له .

وأول درجته الاهتمام ، ثم التيقظ ، ثم الثبوت ، ثم التصبر [ ثم الصبر ] ثم الرضا ، وهو النهاية في الحالات .

وتقد أنبأنا محمد بن عثمان المعقبى <sup>(١)</sup> حدثنا شعيب بن عبد الله البرار حدثنا غيلان عن معبد عن ابن اللبيح عن ميمون بن مهران قال « ما نال عبد شيئاً من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر »

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى :

فاشدة يوما ، وإذ جلّ خطبها ، بنازلة إلا سيتبعها يسر  
وإن عسرت يوما على المرء حاجة وضافت عليه كان مفتاحها الصبر  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تمرّ : فإن الصبر بالحرّ أجمل وليس على ربّ الزمان مَقُولُ  
فإن تكن الأيام فينا تدلّت بنعمى وبؤسى ، والحوادث تفعل  
فما ليئت منّا قناسة صليبة ولا ذللتنا للذى ليس يحْمِلُ  
ولكن رَحَلناها نفوسا كريمة تُحْمَلُ مالا تستطيع فتحمل

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابي :

إني رأيت الخير في الصبر مسرعا وحسبك من صبر تحوز به أجرا  
عليك بتقوى الله في كل حالة فإنك إن تفعل نصيب به ذخرا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر على ضرور ثلاثة : فالصبر عن المعاصي ،  
والصبر على الطاعات ، والصبر عند الشدائد الفصيات .  
فأفضلها الصبر عن المعاصي .

فالعامل يدبر أحواله بالثبوت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر  
على المراتب التي وصفناها قبل ، حتى يرتقى بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا  
في حال العسر واليسر معا ، نسأل الله الوصول إلى تلك الدرجة بمنه !

وأنشدني عبد الله بن الأحمس :

تَعَزَّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ عَنْ كُلِّ هَالِكٍ      فِي الصَّبْرِ مَسَلَةٌ لِمُصَوِّمِ الْوُأَزِمِ  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْلُ اصْطِبَارًا وَخَشِيَةً      سَلَوْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ  
وَلَيْسَ يَذُودُ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا      مِنْ الذَّنْسِ إِلَّا كُلُّ مَاضِي الْعَزَائِمِ  
وَأَنْشَدَنِي ابْنُ زَيْجِي الْبَغْدَادِي :

غَايَةُ الصَّبْرِ لَذِيذُ طَعْمِهَا      وَبَدِئُ الصَّبْرِ مِنْهُ كَالْقَصِيرِ<sup>(١)</sup>  
إِنْ فِي الصَّبْرِ لِفَضْلًا بَيِّنًا      فَاحْمِلِ النَّفْسَ عَلَيْهِ تَصْطَبِرِ

وأنشدني الكريزي :

صَبِرْتُ ، وَمَنْ يَصْبِرْ يَجِدْ غَبَّ صَبْرِهِ      اللَّهُ وَأَحْلَى مِنْ جَنَى الثَّحْلِ فِي الْقَمِ  
وَمَنْ لَا يَطْبُقْ نَفْسًا ، وَيَسْتَبِقْ صَاحِبَا      وَيَغْفِرُ لِأَهْلِ الْوَدِّ يُصْرَمُ وَيَصْرِمِ  
أَيُّهَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْجِيهِ الْقَشِيرِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ الْغَزِّي حَدَّثَنَا  
حَمَادُ بْنُ سُلَيْمٍ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ عَنْ مَعَاذَةِ امْرَأَةِ صَلَةَ بْنِ أَشِيمٍ قَالَتْ : « لَمَّا أَتَاهَا  
نَعَى زَوْجَهَا وَابْنُهَا جَاءَهَا النَّسَاءُ ، فَقَالَتْ : إِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لِهَيْبَتِنَا بِمَا أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ  
وَأِلَّا فَارْجِعْنَ » .

قال ثابت : وكان صلة يأكل يوما فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك ، قال :

(١) الصبر — بفتح فكسر — ثمرة طعمها مر كربة .

هيهات ، قد نعى إلى ، أجلس فكل ، قال الرجل : ما سبقني إليك أحد ، فقال  
قال الله ( ٣٩ : ٣٠ ) إنك ميت وإنهم ميتون .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب  
بعض الحكماء إلى أخ له يعزيه عن ابن له يقال له محمد :

اصبر لكل مصيبة ، وتجلد واعلم بأن المرء غير مُخلد

وإذا ذكرت محمدا ومصابه فاذكر مصابك بالنبي محمد

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

يُعزّي المعزّي ، ثم يمضي لشأنه ويبقى المعزّي في آخر من الجر

ويُرمي المعزّي بعد ذاك بساوة ويثوي المعزّي عنه في وحشة القبر

وأنشدني المتصر بن بلال :

من يسبق الساوة بالصبر فاز بفضل الحمد والأجر

يا عجب من هلع جازع يُصبح بين الدم والوزر

مصيبة الإنسان في دينه أعظم من جائحة الدهر

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تجرى المقادير إن عسرا وإن يسرا حاذرت واقمها أو لم تسكن حذرا

والعسر عن قدر يجري إلى يسر والصبر أفضل شيء واقف الظفرا

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي يستر يقول : كان لنا جار ببغداد ،

كنا نسميه طيبب القراء ، كان ينفق الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لي : دخلت

يوما على أحمد بن حنبل ، فإذا هو مغموم مكروب ، فقلت : مالك يا أبا عبد الله؟

قال : خير ، قلت : وما الخير؟ قال : امتحنت بتلك الحنة ، حتى ضربت ، ثم

عالجوني وبرأت ، إلا أنه بقي في صلبى موضع يؤجمنى هو أشد علي من ذلك

الضرب ، قال قلت : اكشف لى عن صلبك ، قال : فكشف لى ، فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط ، قلت : ليس لى بذى معرفة ، ولكنى سأستخبر عن هذا ، قال : فخرجت من عنده ، حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بينى وبينه فضل معرفة ، قلت له : أدخل الحبس فى حاجة ؟ قال : ادخل : فدخلت وجمعت قتيانهم ، وكان معى دربهات فرقها عليهم ، وجعلت أحدهم حتى أنسوا بى ، ثم قلت : من منكم ضرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً ، وأشداهم صديراً ، قال قلت له : أسألك عن شيء ؟ فقال : هات ، قلت : شيخ ضيف لبس صناعته كصناعته ضرب على المروج للقتل سباطا يسيرة ، إلا أنه لم يمى ، وعالجوه وبرأ ، إلا أن موضعاً فى صلبه يوجعه وجماً ليس له عليه صبر ، قال : فضحك ، قلت : مالك ؟ قال : الذى عالج به كان حائكاً ، قلت : إيش الخبر ؟ قال : ترك فى صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلمها ، قلت : فما الحيلة ؟ قال يَبِطُ<sup>(١)</sup> صلبه ، وتتخذ تلك القطعة ويرى بها ، وإن تركت بلغت إلى قواده فقتلته ، قال : فخرجت من الحبس ، فدخلت على أحمد ابن حنبل فوجدته على حالته ، فقصصت عليه القصة ، قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا ، قال : أو تفعل ؟ قلت : نعم ، قال : فقام ، فدخل البيت ، ثم خرج ويده مخدتان ، وعلى كتفه فوطه ، فوضع إحداها لى والأخرى له ، ثم قصد عليها ، وقال : استخر الله ، فكشفت الفوطه عن صلبه ، وقلت : أرى موضع الوجع ، فقال : ضَعْ إصبعك عليه ، فإنى أخبرك به ، فوضعت إصبعى ، وقلت : هاهنا موضع الوجع ؟ قال : ههنا أحد الله على العافية ، قلت : ههنا ؟ قال : هاهنا أحد الله على العافية ، قلت : هاهنا ؟ قال : هاهنا أسأل الله العافية ، قال : فعلمت أنه

(١) البط : الشق بآلة الجراحة التى هى البضع .

موضع الوجع ، قال : فوضعت الموضع عليه ، فلما أحس بحرارة الموضع وضع يده على رأسه ، وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى يقطعه ، فأخذت القطعة الميتة ورميت بها ، وشددت المعصاة عليه ، وهو لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعتصم ، قال : ثم هدأ وسكن : ثم قال : كأني كنت معلقاً فأصدرت ، قلت : يا أبا عبد الله ، إن الناس إذا امتحنوا بحنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك تدعو للمعتصم ؟ قال : إني أفكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكرهت أن آتى يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة . هو منى في حبل .

### ذكر الحث على العفو عن الجاني

حدثنا الفضل بن الحباب الجعفي بالبصرة حدثنا القمي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال « أتى رجل فقال : يا رسول الله ، إن لي قرابة أصلمهم ويقطعون ، ويسبئون إلى ، وأحسن إليهم ، ويجهلون عليّ ، وأحلهم عنهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كان كما تقول فكأنما تديهم للل<sup>(١)</sup> . ولا يزال من الله معك ظهير ما زلت على ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المتاعل تطويع النفس على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج للجازاة الإساءة ؛ إذ لا سبب لتسكين

(١) الل - بفتح اليم - الرماد الحار تحت الحجر ، يدفن فيه الخبز لينضج . أراد صلى الله عليه وسلم : إنما تجعل الله لهم سقواً يستوفونه ، يعنى عطاءك وصنك وإحسانك وحملك عليهم ، ذلك برد عليك ، وخير لك ، وتبار في بطونهم .

الإساءة أحسن من الإحسان ، ولا سب لهما إلا إساءة وتهيبها أشد من الاستعمال بمثلها .

ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريري :

سألزِمُ نفسي الصّبح عن كل مذنب      وإن كثرت منه إلى الجرائمِ  
فما الناس إلا واحد من ثلاثة :      شريف ، ومشروف ، ومثّلٍ مقاوم  
فأما الذي فوق فأعرف فضله      وأتبع فيه الحق ، والحق لازم  
وأما الذي دوني فإني قال صنت من      إجابته عرضي ، وإن لام لأثم  
وأما الذي مثلي فإني ذلك أوهنا      تفصّلت ؛ إن الحلم للفضل حاكم

أنا بنّا محمد بن عثمان المعقبى<sup>(١)</sup> حدثنا محمد بن عامر الأنطاكي حدثنا ابن توبة  
حدثنا محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسرة بن جليس قال : ثلاثة يحبهم الله :  
من كره سوءاً يأتيه إلى أخيه وصاحبه ، فذلك قين أن يستحي من الله ، ومن  
كان ذارفة من الناس فتواضع لله ، فذلك الذي عرف عظمة الله ، فيخاف  
مقته ، ومن كان عفوه قريباً من إساءته ، فذلك يقوم به الدنيا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من أراد الثواب الجزيل ، واستزهاه الوُدُّ  
الأصيل ، وتوقع الذكر الجليل ؛ فليتحمل من ورود ثقل الردى ، ويتجرع مرارة  
مخالفة الهوى ، باستعمال السنة التي ذكرناها في الصلوة عند القطع ، والإعطاء عند  
المنع ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الظلم ؛ لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين  
والدنيا .

ولقد أنا بنّا محمد بن المهاجر حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا إبراهيم بن محمد بن  
ميمون عن داود بن الزرقان : قال قال أيوب « لا ينبلُ الرجل حتى يكون فيه  
خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عنهم » .

وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادى :

وإذا مذهب أمانه به الحق ، فغطاه غفوه فى ستوره  
راجياً للثواب فى كل زُرْد من حَيِّ الأمور ، أو مشهوره  
فهو فى عاجل الحياة كريم ومن الفائزين يوم نشوره  
خَصَّة جزلة بها خَصَّ الله لزين الدنيا ويوم كرويه

أنيابنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا سفيان  
عن رجل ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول « أحب الأمور إلى الله ثلاثة :  
الغفوة فى القدرة ، والقصد فى الجدة ، والرفق فى العبادة ، وما رَفَقَ أحد بأحد فى  
الدنيا إلا رَفَقَ الله به يوم القيامة »

أنيابنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الفلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب  
الحجاج إلى عبد الملك « إنك أعزُّ ما تكون أحوجُّ ما تكون إلى الله ، فإذا  
تعزَّزت بالله فاعفُ ، فانك به تمز ، وإليه ترجع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود  
الإساءة عليه من العالم بأسره ، رجاء غفو الله جل وعلا عن جنائياته التى ارتكبها  
فى سالف أيامه ؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء ، وصاحب  
المقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب ، فأما من له أخ يودُّه فانه يحتمل  
عنه الدهر كله زلاته

ولقد أخبرنى محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن داود التمار قال : سمعت مردويه  
الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : احتمل لأخيك إلى سبعين زلةً ،  
قيل له : وكيف ذلك يا أبا علي ؟ قال : لأن الأخ الذى أخيته فى الله ليس يزل  
سبعين زلة .



وأشدني على بن محمد الباسي :

إذا لم تجاوز عن أخ لك عثرة<sup>(١)</sup> فليست غداً من عثرى متجاوزاً  
وكيف يرجيك البعيد لنفعه إذا كان عن مولاك برك عاجزاً

أبنا محمد بن صالح الطبري حدثنا الرمادي حدثنا الحنفى يحيى بن سليمان  
حدثنا ابن أبي عمير حدثني أبي قال : « أقبل الشعبي يوماً ، فإذا هو برجلين من قومه  
من وراء جدار قصير ، قال : فاستمع عليهما ، فإذا هما يقعان فيه ويشتانه ،  
ويستقصانه<sup>(٢)</sup> حتى أكترا ، فلما أطالا أشرف عليهما الشعبي ، فقال<sup>(٣)</sup> :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لقرّة من أعراض ما استحلّت  
فقالا : والله يا أبا عمرو ، لا نقع فيك بعد اليوم . »

وأشدني بعض أهل العلم :

وربما ابتسم الوقور من الأذى وضميره من حره يتأوه  
وربما حزن الخليم لسانه حذر الجواب وإنه لمؤوه

أبنا أبو عوابة يعقوب بن إبراهيم ، أبنا عبد الله بن الحسين الصبي ،  
أبنا يعقوب بن أبي عباد ، قال : قال الفضيل بن عيساض : من طلب أخاً بلا  
عيب بقى بلا أخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الناس عن الخقد من عظم عن المجازاة ،  
وأجل الناس مرتبة من صدّ الجبل بالحلم ، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء  
إليه ، فأما مجازاة الإحسان إحساناً فهو المساواة في الأخلاق ، فلربما استعملها  
البهائم في الأوقات ، ولو لم يكن في الصنم وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة  
النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل أن لا يكدر وقته بالدخول في  
أحلاف البهائم ، بالمجازاة على الإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو  
المسيء ، وإن لم يكن بادئاً .

(١) في نسخة « ويستقصانه » (٢) البيت لكثير عزة .

كما أشدنى الكر بزي:

أَسأتُ ، وأنكرتُ أُن أسأتُ فأفضل ، ولا تك عينَ السَّيِّ  
لك الفضل بالغو عما عفوت وإلا فأنت القرين السوى  
وعفوك مقنلراً نعمة وعفو المندد غير الهني  
سمعت محمد بن عثمان العففي ، قال : سمعت هلال بن الملاء الباهلي يقول :  
جعلت على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة أن لا أكفى أحداً بسوء ،  
وزهدتُ إلى هذه الآيات :

لما عفوتُ ، ولم أحقد على أحدٍ أرحتُ قلبي من غمِّ العداواتِ  
إني أحيى عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عنى بالتحياتِ  
وأظهر البشر للانسان أبغضه كأنما قد حُشى قلبي محباتِ  
أبناؤنا ابن قتيبة ، حدثنا ابن أبي السرى ، قال : سمعت أبا عمر الصنعاني يقول :  
حدثنا زيد بن أسلم قال : قال لقمان لابنه « كذب من قال : إن الشر يطفىء  
الشر ، فإن كان صادقاً فليوقد ناراً إلى جنب نار ، فلينظر هل تطفىء إحداهما  
الأخرى ؟ وإلا فإن الخير يطفىء الشر ، كما يطفىء الماء النار »

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن خلف البسامي ، حدثنا  
محمد بن عبيد الله الداري ، حدثنا محمد بن عمران النضي قال : قال ابن السياك :  
إن لمن يحفُّو ، فقلَّ مَنْ يصفو .

وأشدنى الأبرش :

نوحٌ من الشَّبلِ أوساطها وعدُّ عن الخائر الشَّبه  
وسمكٌ صُنْ عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به  
فإنك عند استماع القبيح شريك لقائله ، فأنتبه

فكم أزعج الحرص من طائب فوافى النية في مطلبه  
 أنبأنا عمر بن حفص البرازي بخديسابور ، حدثنا جعفر بن محمد بن حبيب  
 الذارع حدثنا عبد الله بن رشيد ، حدثنا نجاعة بن الزبير ، قال : قال تميم لابنه  
 « أى بنى ، أى شئ أقل ؟ أى شئ أكثر ؟ أى شئ أحلى ؟ أى شئ  
 أبرد ؟ وأي شئ آنس ؟ وأي شئ أوحش ؟ وأي شئ أقرب ؟ وأي شئ أبعد ؟  
 قال : أما أقل شئ فالتيقين ، وأما أى شئ أكثر فالتك ، وأما أى شئ أحلى  
 فروح الله بين العباد يتحابون بها ، وأما أى شئ أبعد فعفو الله عن عباده ،  
 وعفو الناس بعضهم عن بعض ، وأي شئ آنس حبيبك إذا أغلق عليك  
 وعليه باب واحد ، وأي شئ أوحش جسد إذا مات ، فليس شئ أوحش منه ،  
 وأي شئ أقرب فالآخرة من الدنيا ، وأي شئ أبعد فالدنيا من الآخرة »  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يحسن عند الجفوة ، ويفض عن المجازاة  
 عليها بمثلها .

وقد قيل : إن من لم يقضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وهو عندي - والله أعلم - غضب لا يخرج به إلى المعاصي ، ولا إلى الانتقام من  
 الجاني ، كأنه في نفسه يعلم محل الجفوة منه ، كما يعقل ورود النعمة عليه ، وما  
 أتقبح قدرة اللئيم إذا قدر ، ومن أساء سمماً أساء إجابة ، ومن أتى المكروه إلى  
 أحد فبنفسه بدأ ؛ لأن الشرور تبدو صغاراً ثم تعود كباراً .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القرزاز ، حدثنا محمد بن إدريس الرازي ، حدثنا  
 عبد الرحمن بن يحيى وإسماعيل بن عبيد الله الخزرجي ، قالوا : حدثنا عبد الأعلى  
 ابن مسهر ، عن سميد بن عبد العزيز قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول  
 لبنيه : « يا بني أكرموا من أكرمكم ، وإن كان عبداً حبشياً ، وأهينوا من  
 أهانكم ، وإن كان رجلاً قرشياً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر : إن استعمله العاقل فى الأحوال كلها مع الجاهل فلا ضير ، فأما من ارتفع عن حد الجاهل ، وانضع عن حد العقلاء ، فالإغضاء عن مثله فى الأوقات أحد مخافة الإزدیاد منه ، ولأن يصبر المرء على حرارة الجفاء ومرارتها أولى من الانتقام مما يستجلب عليه بما هو أحر وأمر مما مضى ؛ لأن من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأنفذ من الإبر ، وأمر من الصبر .

ولقد أحسن الذى يقول :

لقد أسمعُ القول الذى كاد كلما      تذكرنيه النفس قلبى تصدعُ  
فأبدى لمن أبداه منى بشاشة      كائنٍ مسرور بما منه أسمع  
وما ذاك عن عجز به ، غير أنى      أرى أن ترك الشر للشر أقطع

أنيأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيرة ، حدثنا أحمد بن مقدم العجلي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى عمرو فى هذه الآية (٧ : ١٩٩ خذ العفو وأمر بالعرف) قال : « أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالعفو عن أخلاق الناس »

### ذكر صفة الكريم واللتيم

أنيأنا محمد بن الحسن بن الخليل بنسأ ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبدة ابن سليمان عن عبيد الله بن عمر ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال « قيل : يا رسول الله ، أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نألك ؟ قال : فمن معادن العرب نألوننى ؟ قالوا : نعم ، قال : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام ، إذا فقهوا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أكرم الناس من اتقى الله ، والكريم التقى .  
 والتقوى : هي العزم على إتيان الأمور ، والالتزام عن جميع المنزجورات <sup>(١)</sup> ،  
 فمن صح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقى الذى يستحق اسم السكرم ، ومن  
 نعى عن استعمالها ، أو أحدهما ، أو شعبة من شعبهما ، فقد نقص من كرمه مثله .  
 ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأزدي عن  
 أبيه عن المنائي ، قال : قال زيد بن ثابت « ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم :  
 حسن المحضر ، واحتمال الزلة ، وقلة اللالة »

وأشددى ابن زنجي البغدادي :

رأيت الحق يعرفه الكريم    نصاحبه وينكره اللئيم  
 إذا كان التقى حسناً كريماً    فكل فعالة حسن كريم  
 إذا ألقيته سمحاً لئيماً    فكل فعالة سمج لئيم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم لا يكون حقوداً ، ولا حسوداً ، ولا  
 شامساً ، ولا غافياً ، ولا ساهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاجراً ، ولا فخوراً ، ولا كاذباً ،  
 ولا ملولاً ، ولا يقطع إلفه ، ولا يؤذى إخوانه ، ولا يضيع الحفاظ ، ولا يخفى  
 الوداد ، يعطى من لا يرجو ، ويؤمن من لا يخاف ، ويعلم عن قدرة ، ويصل عن  
 قطيعة .

أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن علي بن

(١) هذا تفسير باللائم ، وإلا حقيقة التقوى في اللغة : الأخذ بكل أسباب مما  
 يدفع عن الإنسان كل ما يسكره ويغدر في الدنيا والآخرة ، واتخاذ الوقاية مما يؤذى  
 ويضر في الجسم والقلب والعقل ، ولا يكون ذلك إلا بالعلم واليقظة التامة ، والبصيرة  
 النيرة ، فكيف من آت لكل الأمور ومنزجر عن كل المحرمات ولكنه على جهل  
 وتقليد أعمى لا ينفعه شيء مما يأتي ولا يدفع عنه أضراره شيئاً مما يخاف ويغدر ، والله  
 للوفيق لكل خير والمهادي إلى سواء السبيل .

محمد المرجبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج - مولى المهدي -  
عن إبراهيم بن شكلة ، قال « إن لكل شيء حياة وموتاً ، وإن مما يحيى الكرم  
مواصلة الكرماء ، وإن مما يحيى اللؤم معاشرته اللئام »  
وأنشدني الكريزي :

ما بال قوم لئام ليس عندهم عهد ، وليس لهم دين إذا انثنوا  
إن يسموا ربية طاروا بها فوحاً ميتاً ، وما سمعوا من صالح دفنوا  
صمٌ إذا سمعوا خيراً ذكّرتُ به وإن ذكّرتُ بسوء عندهم أذنوا<sup>(١)</sup>  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكريم يلين إذا استعطف ، واللئيم يقسو إذا  
أنلف ، والكريم يحل الكرام ، ولا يهين اللئام ، ولا يؤذى العاقل ، ولا  
يمزح الأحمق ، ولا يعاشر الفاجر ، مؤثراً إخوانه على نفسه باذلاً لهم مادل ، إذا  
اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها ، وإذا عرف منه مودة لم ينظر في قلق  
العداوة ، وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطعه بشيء من الأشياء .  
كما أنشدني الخلابي ، أنشدنا أحمد بن أبي علي القاضي ، قال : أنشدنا محمد  
بن مقيس الأزدي :

فإن الذي بيني وبين عشريني وبين بنى عمي لختلف جدا  
إذا قدحوا لي نار حرب برّندهم قدحت لهم في كل مكرومة زندا  
وإن أسكلوا لي وفرت لحومهم وإن هدموا تجدي بنيت لهم مجدا  
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقد  
وأعطيهم مالى إذا كنت واجدا وإن قلّ مالى لم أكلفهم رندا<sup>(٢)</sup>

(١) يقال : أذن الرجل للقول ، أى ألقى سمعه وأصغى بانتباهه ويقتطعة زائدة ،  
والآيات لقنّب بن أم صاحب .

(٢) هذه الآيات من شعر الحطاسة منسوبة إلى القنّع الكندي من قصيدة له ، وفي  
بعض ألفاظها اختلاف . و « الرفد » العطاء .

أُنْبَأَنَا ابن حوصا ، حدثنا النحاسي حدثنا ضمرة عن إبراهيم بن أبي عليّة قال :  
رأيت سالم بن عبد الله ومحمد بن عبد العزيز يقسايران بأرض الروم ، فأبال أحدهما  
وابنه ، فأمسك عليه الآخر حتى لحقه .

أُنْبَأَنَا محمد بن المهاجر ، حدثنا أحمد بن أبي بكر بن خالد اليزيدي عن قُطَيْبَةَ  
ابن العلاء بن المنهال ، قال : سمعت المبارك بن سعيد يقول : سمعت الأعمش يقول :  
قال الشعبي «إن كرام الناس أسرع مودة ، وأبطؤم عداوة ، مثل الكُوب من  
الفِخْة يبطئ الانكسار ، ويسرع الانجبار ، وإن لثام الناس أبطؤم مودة ،  
وأسرعهم عداوة ، مثل الكُوب من الفَخَّار : يسرع الانكسار ، ويبطئ الانجبار»  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم مَنْ أعطاه شكره ، ومن منعه عذره ،  
ومن قطعه وصله ، ومن وصله فضله ، ومن سألَه أعطاه ، ومن لم يسأله ابتدأه ،  
وإذا استضعف أحدًا رحمه ، وإذا استضعفه أحدٌ رأى الموت أكرم له منه ،  
والشتم بضد ما وصفنا من الخصال كلها .

ولقد أُنْبَأَنَا أحمد بن قريش بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي ،  
حدثنا أحمد بن الخليل ، حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم  
ابن آدم كريم النفس ، يخاطب الناس بأخلاقهم ويأكل كل معهم ، قال : فربما  
اتخذ لهم الشواء والجواذبات والخبيص ، وربما خلا وأصحابه الذين يأنس بهم  
فيتصارعون ، قال : وكان يعمل عمل رجلين ، وكان إذا صار إلى نفسه أكل  
عجينا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجمع أهل التجارب للدهر ، وأهل الفضل في  
الدين ، والراغبون في الجليل : على أن أفضل ما اقتنى الرجل لنفسه في الدنيا ، وأجل  
ما يدخر لها في العقبى هو لزوم الكرم ، ومعاشره الكرام ؛ لأن الكرم يحسن  
الذكر ، ويشرف القدر ، وهو طباع ركبها الله في بني آدم ، فمن الناس من يكون

أكرم من أبيه ، وربما كان الأب أكرم من ابنه ، وربما كان المملوك أكرم من مولاه ، وربّ مولى أكرم من مملوكه .  
ولقد أحسن الذى يقول :

رب مملوك إذا كشفته كان من مولاه أولى بالكرم  
فهو ممدوح على أحواله وترى مولاه يهتجى ويذم  
وتراه كيف يعلو دأبها وترى مولاه من تحت القدم  
وفتى تلقى أباه دونه وأباً تلقى أباه أعلى وأنم  
من بينه ، ثم لا يعتل إن طلب المعروف منه بالصمم  
وكذاك الناس - فاعلم - ربنا فذر الأخلاق فيهم وقسم  
وأشددى الأبرش :

رأيت اللين لا يرضى بضم لأن الضم يخطئه الكريم  
وإن اللين أكرم كلى شيء فليس يحبه خلق كثير  
فإن نزل الأذى واللين قلباً فإن اللين يرحل لا يقيم  
ويبقى للأذى فى القلب صعب من البغضاء يلبث لا يبرم<sup>(١)</sup>  
حدثنا القطان بالرقه ، حدثنا أحمد بن أبي الخوارى ، قال : سمعت أبي يقول :  
ما من أحد إلا وله نوبة ، إلا سبي الخلق ! فإنه لا يتوب من ذنب إلا دخل فى  
شر منه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم محمود الأثر فى الدنيا ، مرضى العمل  
فى العقبى ، يحبه القريب والفاقى ، ويألفه المتسخط والراضى ، يترافقه الأعداء  
واللئام ، ويصحبه العقلاء والكرام .

وما رأيت شيئاً أكثر عملاً فى نقص كرم الكريم من الفقر ، سواء كان  
ذلك بانقلب أو بالموجود .

(١) لا يبرم : لا يفارق .



وقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

لعمرك ، إن المالَ قد يحمل القتي      نسيما ، وإن الفقر بانثر قد يُرري  
ولا رَقَعَ النفسَ الدنيّة كالغني      ولا وضع النفسَ الكريمة كالفقر  
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا حميد بن  
عبد الرحمن عن زكريا بن أبي زائدة عن علي بن الأقر عن أبي جحيفة قال :  
« جالسوا الكبراء ، وخالطوا الحسكاء ، وسألوا العلماء »

### ذكر الزجر عن قبول قول الوشاة

أُنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسيد ، حدثنا مهدي بن ميمون  
حدثنا واصل الأحذب عن أبي وائل عن حذيفة « أنه بلغه أن رجلا يتيمٌ  
الحديث ، فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل  
الجنة مَنَّم »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على الناس كافة : مجانبة الإفكار في  
السبب الذي يؤدي إلى البغضاء والمشاحنة بين الناس ، والسمي فيما يفرق جمعهم  
وبشتت شملهم ، والعاقِل لا يخوض في الإفكار فيما ذكرنا ، ولا يقبل سماية الواشي  
بحيلة من الحيل ، لعله بما يرتكب الواشي من الإثم في العقبي بفعله ذلك .  
ولقد أُنْبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه  
عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني ،  
إياك والنميمة ، فإنها أخذٌ من السيف »

وأنشدني الكريزي :

من نَمَّ في الناس لم تؤمن عقاره به      على الصديق ، ولم تؤمن أفاعيه  
كالسيل بالليل ، لا يدري به أحد      من أين جاء ، ولا من أين يأتيه ؟  
فالويل للعهد منه ، كيف ينقضه ؟      والويل للود منه ، كيف ينعينه ؟

أخبرنا أحمد بن إسحاق الناقد بواسط ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال « لما تعجل موسى ابن عمران إلى ربه رأى رجلا تحت العرش ، فقبطه بمكانه ، فسأل ربه أن يخبره باسمه ، قال : لكنني أخبرك من عمله بثلاث خصال : كان لا يحمد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعق والديه ، ولا يمشي بالنميمة »

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن يعقوب الرضى ، حدثنا محمد بن إدريس المذلل عن العتيبي قال « سمعت أعرابية توصي ابنها لها ، فقالت : عليك بحفظ السر ، وإياك والنميمة ؛ فإنها لا تترك مودة إلا أقسدتها ، ولا ضغينة إلا أوقدتها » .

ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إلى مقارفتها من أن يحترس من مجالسته ، وأن لا يوثق بمودته ، وأن يزهّد في مواصاته ومعاشرته .

ولذلك يقول أخو ربيعة :

تَحَمَّيْتُ فِينَا بِالنِّمَمِ ، وَإِنَّمَا تَفَرَّقَ بَيْنَ الْأَصْفِيَاءِ النَّهَمُ  
وَمَا زِلْتُ مَنْسُوبًا إِلَى كُلِّ آفَةٍ وَمَا زِلْتُ مَنْسُوبًا إِلَيْكَ الْمَلَامُ  
لَأَنْتَ لَمْ تَعْدِمِ نَشْرَ فَعْلَتِهِ وَمَا تَأْتِ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ نَادِمُ

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا النخعي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشعي ، حدثنا علي بن محمد اللدائني قال « وشي واش بعبد الله بن همام السلولي إلى زياد ، قال : فبعث زياد إلى ابن همام ، فجاء ، فأدخل الرجل بيتاً ، فقال له زياد : يا ابن همام . بلغني أنك هجوتني ، فقال له : كلاً ، أصلحك الله ! ما فعلت ، وما أنت لذلك أهل ، قال : فإن هذا أخبرني — وأخرج الرجل — فأطرق ابن همام حنيية ، ثم أقبل على الرجل فقال :

وَأَنْتَ اسْمُهُ : إِمَّا أَتَمَنَّاكَ خَالِيَا فَخُنْتُ ، وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمِ

فَأَتَتْ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ يَبْتَغِيهِ بَيْنَ الْخِيَابَةِ وَالْإِيمِ  
قَالَ : فَأَعِيبَ زِيَادَ بَحْوَاهُ ، وَأَذَنَاهُ ، وَأَفْصَى السَّاعَى ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ .  
وَأَنشَدَنِي ابْنُ زَيْجَى الْبَغْدَادِي :

يَعْمَلُونَ فِي النَّاسِ يَغْفُونَ الْعُيُوبَ لِمَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ ، لَكِي يَسْتَشْرِفَ الْعَطْبُ  
إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يَخْفَوهُ ، وَإِنْ عَلِمُوا شَرًّا أَذَاعُوا ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا  
أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ أَبُو جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ  
صَالِحٍ قَالَ : سَمِعْتُ حُجَّيْنِ بْنِ الْمُنْثَنَّى يَقُولُ « سَمِعْتُ رَجُلًا بِاللَّيْلِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى وَالِي  
مِصْرَ ، فِيمَثَ إِلَيْهِ فِدْعَاهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْحَارِثِ ، إِنْ هَذَا أَبْلَغَنِي  
عَنْكَ كَذًّا وَكُذًّا ، فَقَالَ لَهُ اللَّيْثُ : سَلَهُ — أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ! — عَمَّا أَبْلَغَكَ :  
أَهْوَشِي أَتَعْمَاهُ عَلَيْهِ فَخَانَتَا فِيهِ ، فَمَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ خَائِنٍ ، أَوْ شَيْءَ كَذِبٍ  
عَلَيْنَا فِيهِ ، فَمَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ كَاذِبٍ ؟ فَقَالَ الْوَالِي : صَدَقْتَ يَا أَبَا الْحَارِثِ »  
أَخْبَرَنَا ابْنُ حَوْصَا ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَافِيٍّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ  
عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَيْنَةَ قَالَ : « كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أُمِّ الدَّرْدَاءِ ، فَأَتَاهَا  
آتٌ ، فَقَالَ : يَا أُمُّ الدَّرْدَاءِ ، إِنْ رَجُلًا نَالَ مِنْكَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ،  
فَقَالَتْ : إِنْ تَوْبَنَ <sup>(١)</sup> بِمَا لَيْسَ فِينَا فُطْلَانًا زَكَيْنًا بِمَا لَيْسَ فِينَا »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ لَزُومِ الْإِغْضَاءِ عَمَّا يَنْفِلُ الْوُشَاةَ ،  
وَصَرَفَ جَمِيعَهَا إِلَى الْإِحْسَانِ ، وَتَرَكَ الْخُرُوجَ إِلَى مَا يَلِيقُ بِأَهْلِ الْعَقْلِ ، مَعَ تَرْكِ  
الْإِفْكَارِ فِيمَا يُرَى بِالْعَقْلِ ؛ لِأَنَّ مَنْ وَتَّى بِالشَّيْءِ إِلَى إِنْسَانٍ يَبِيتُهُ يَكُونُ قَصْدُهُ  
إِلَى الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِنْ قَصْدِهِ إِلَى الْخَيْرِ بِهِ ، لِمُشَافَهَتِهِ إِيَّاهُ بِالشَّيْءِ الَّذِي يَشُقُّ عَلَيْهِ  
عِلْمُهُ وَسَمَاعُهُ »

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ :

من يُخْبِرَكَ بِشْتَمٍ عَنْ أَخٍ      فهو الشاتم ، لا من شَتَمَكَ  
 ذاك نسيء لم يشافهك به      إنما اللوم على من أَعْلَمَكَ  
 كيف لم ينصرك ؟ إن كان أخا      ذا ولاء عند من قد ظلمَكَ  
 إنما رام بإبلاغ الذي      نتمَّ فيه - فاعلمن - أن يُرغمَكَ  
 فاعنه ، إنه من يؤمّه      إن سُبّه بهوان أكرمَكَ  
 نكن الحر إذا أكرمته      لم يُصَفَّرَكَ ، ولكن فحَمَكَ

أُتِينَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّوَيْدِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ  
 ابْنَ مَيْمُونٍ يَقُولُ : شَيْعُ الْمَأْمُونِ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلِ ذَا الْوِزَارَتَيْنِ ، فَلَمَّا لَمَّا غَايَةِ  
 التَّشْيِيعِ ، قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : يَا حَسَنُ ، أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَحْفَظُ  
 عَلَيَّ مِنْ قَلْبِكَ مَا لَا أَسْتَطِيعُ إِدْرَاكَهُ إِلَّا بِكَ ، وَيَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَوْلُ كَثِيرٍ عَزِيزٌ :  
 وَكَوْنِي عَلَى الْوَاشِينَ لَدَا شَعْبَةٍ كَمَا أَنَا بِلَوَاثِي لَدَا شُعُوبٍ  
 أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَازِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خُزَيْمَةَ الْبَصْرِيُّ ، حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ  
 حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ « الَّذِي يَعْمَلُهُ النَّفَّاسُ فِي سَاعَةِ  
 لَا يَمْلِكُهُ السَّاحِرُ فِي شَهْرِ »

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَانَ الْعَفْصِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْهَلَالِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ  
 الْبَصْرِيُّ ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ شَيْبٍ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سُلَيْمَةَ قَالَ « بَاعَ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ  
 غُلَامًا لَهُ ، وَقَالَ : أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ النَّمِيَةِ ، فَاشْتَرَاهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَجَاءَ إِلَى مَوْلَانِهِ ،  
 فَقَالَ : إِنَّ زَوْجَكَ لَبَسَ بِحَبِّكَ ، وَهُوَ يَنْسَرِي عَلَيْكَ وَيَتَزَوَّجُ ، أَفَتُرِيدُ أَنْ يُعْطَاكَ  
 عَلَيْكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : خَذِي مُوسَى فَاحْلُقِي بِهِ شَعْرَاتٍ مِنْ بَاطِنِ خِيْتِهِ  
 وَبَحِّرِي بِهِ ، وَجَاءَ إِلَى الرَّجُلِ ، فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَتَكَ تَبْنِي ، وَتَصَادِقُ ، وَهِيَ  
 قَاتِلَتُكَ ، أَفَتُرِيدُ أَنْ يَبِينَ لَكَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ تَنَاوَمَ لَهَا ، قَالَ : فَتَنَاوَمَ لَهَا ،  
 فَجَاءَتْ بِمُوسَى تَحْلُقُ الشَّعْرَ ، فَأَخَذَهَا فَتَقَلَّبَهَا ، فَأَخَذَهَا أُولَئِهَا فَتَقَلَّبُوا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا وأمثاله من ثمرة النسيئة : لأنها تهتك الأسرار  
وتفشى الأسرار ، وتورث الضغائن ، وترفع المودة ، وتجدد المداوة ، وتبدد الجماعة  
وتهيج الحقد ، وتزيد الصد ، فمن وشى إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته  
على المحفوة إن كانت ، وقبول العذر إذا اعتذر ، وترك الإكثار من العتب ، مع  
توطئ النفس على الشكر عند الحفاظ ، وعلى الصبر عند الضياع ، وعلى العائبة  
عند الإساءة .

وأشدنى منصور بن محمد السكري :

كافٍ الخليل على المودة مثلها وإذا أساء فكافٍ مثابه  
وإذا عتبت على امرئ أحبته فتوق ظاهر عيبه وسبابه  
وأن جناحك ما استلان لوده وأجب أخاك إذا دعا بجوابه  
وأشدنى على بن محمد البسامي :

أعاتب إخواني ، وأبقى عليهم ولست لم بعد العتاب بقاطع  
وأغفر ذنب المرء إن زل زلة إذا ما أتاها كارها غير طائع  
وأجزع من لوم الخليم وعذله وما أنا من جهل الجهول بخازع  
أخبرني محمد بن علي الغلابي ، أخبرني محمد بن يزيد النحوي عن المتبي  
عن أبيه قال : عتب ابن الزبير على معاوية في شيء ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير  
المؤمنين : اسمع أيا ما أعتبتك فيها ، قال : هات ، فأشده<sup>(١)</sup> :

لعمرك ما أدرى ، وإني لأوجل على أيتنا تعدو للنية أول  
وإني على أشياء منك تريني كثيراً لنزو صفح على ذاك مجل  
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران لو كان يعقل  
فقال له معاوية : لقد شعرت بهدى يا أبا بكر ، فدخل عليه معن بن أوس  
المرزني بعد ذلك ، فقال له معاوية : هل أحدثت بعدنا شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم أنشده :

(١) الأبيات لمن بن أوس ، وسيدكر المؤلف ذلك .

\* لمرك ما أدرى وإني لأوجل \*

قال : على ابن الزبير ، فقال : أليس هذا لك فيما رعت ؟ قال : أنا ألفت  
المنى ، وهو ألف القوافي ، وهو بعدُ ظئري ، ومهما قال من شيء فأنا قنته ،  
فضحك معاوية ، وكان معن بن أوس مُسترضعاً في مَرْيَنة .

سمعت الحسين بن إسحاق الأصفهاني يقول : كُتب على بن حجر السمدى  
إلى بعض إخوانه :

أحرّك إلى عتابك ، غير أني أُجِلُّكَ عن عتابٍ في كتب  
ونحن إذا التقينا قبل موت شفيتُ غليلَ صدرى من عتابي  
وإن سبقت بنا أيدي المذايبا فكم من عاتب تحت التراب  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

صحائف عندى للعتاب طويتها ستشر يوماً ، والعتاب يطولُ  
كتاب لعمري لا بُدَّ أن يَحْطُطَهُ وسوف يؤديه إليك رسول  
سأكتب إن لم يجمع الله بيننا وإن نجتمع يوماً فسوف أقول  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يقصّر عن معاتبة  
أخيه على زلته ؛ لأن من لم يعاتب على الزلة لم يكن بحافظ للخلة ، ومن أعتب  
لم يذهب ، كما أن من اغتفر لم يعاقب ، وظاهر العتاب خير من مكثوم الحقد ،  
وربَّ عتب أشع من صفح ؛ ولذلك أنشدني محمد بن إسحاق الواسطى :

إذا ما امرؤ ساءتلك منه خليقة فسكاته ، فالوَهْنُ في ذاك تركبُ  
لعلك لو عاتبه ، ثم كُتبه تسرُّك ، حتى لم تكن تتعجبُ  
وأنشدني السكري :

فإن تكن المتبى فأهلاً ومرحباً وحق لها المتبى لدينا وقلتِ

وإن تكن الأخرى ، فإن وراءنا مفاوز لو سارت بها العيس كَلَّت  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحب على العقل أن يناقش على تصحيح  
الإعتاب بالإكثار مخافة أن يعود للمائب إلى ما عوتب عليه ؛ لأن من عاتب على  
كل ذنب أخاه ، لمحقق أن يَمَلَهُ ويقلاه ، وإن من سوء الأدب كثرة العتاب ،  
كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب ، والإكثار في المعاتبة يقطع الود ، ويورث الصد  
ولقد أنشدنى عبد الله بن أحمد النقيب البندادى لابن المعتز :

معاتبه الإلفين تحسنُ مرّةً فإن أكتروا إدمانها أفسد الحبّا  
إذا شئتَ أن تُثَقِّلَ فزِرَ متتابعا وإن شئتَ أن تردّدا حُبّا ، فزِرْ غِبّا  
وأنشدنى محمد بن أبى على الصيداوى <sup>(١)</sup> :

إذا كنتَ فى كلِّ الأمور معاتباً خليلك لم تلقِ الذى لا تاتبه  
ففس واحدًا ، أو صِلْ أخاك فإنه مفارِفْ ذنبٍ مرّةً ومجانبه  
إذا أنت لم تشرب مراراً على القَدَى طَمِئْتُ ، وأى الناس تصفو مشاربه ؟  
أخبرنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن أبى السائب قال :  
قال على بن أبى طالب رضى الله عنه « لا تكثر العتاب ، فإن العتاب يورث  
الضعيفة والبغضة ، وكثرته من سوء الأدب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات فى كتاب  
« مراعاة الإخوان » ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنبأنا على بن الحسن بن عبد الجبار - بنصيبين - حدثنا على بن حرب الطائى  
حدثنا وكيع عن الثورى عن ابن جريج عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا عن

جودان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أنا خائف أن يكون ابن جريج رحمة الله ورضوانه عليه دلس هذا الخبر بأن سمعه من العباس بن عبد الرحمن فهو حديث حسن . فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه بلرم مضى ، أو لتقصير سبق ، أن يقبل عذره ، ويحمله كمن لم يذنب ؛ لأن من تَنَصَّلَ إليه فلم يقبل أخاف أن لا يَرِدَ الخوض على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن قَرَطَ منه تقصير في سبب من الأسباب يجب عليه الاعتذار في تقصيره إلى أخيه .  
ولقد أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً      من التقصير عذر أخٍ مُقرُّ  
ففسنه عن جفائك ، وأعف عنه      فإن الصفح سِيمة كل حُرٍّ  
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

شفيع من أسلمه جرمه      إقراره بالجرم والذنب  
وتوبة الذنب من ذنبه      إعتاب من أصبح ذا عتب

أبياً عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة ، قال : غضب سليمان ابن عبد الملك على خالد بن عبد الله ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ، القدرة تذهب الخبيطة ، وأنت تجلُّ عن العقوبة ، فإن تمف فأهل ذلك أنت ، وإن تعاقب فأهل ذلك أنا ، قال : فعفا عنه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للمرء أن يعتذر بحيلة إلى من لا يجب أن يجده عذراً ، ولا يجب أن يكثر من الاعتذار إلى أخيه ؛ فإن الإكثار من الاعتذار هو السبب المؤدى إلى التهمة ، وإني أستحب الإقلال من الاعتذار على الأحوال كلها ، لعلى أن المذاير يعتربها الكذب ، وقل ما رأيت أحداً



اعتذر إلا شاب اعتذاره بالكذب ، ومن اعترف ببلالة استحق الصفح عنها ،  
لأن ذلك الاعتذار عن الزلة يوجب تسكين الغضب عنها ، وللمتذر إذا كان محققاً  
خضع في قوله ، وذلك في قوله : كما أنشدني الثعصر بن بلال :

أيارب قد أحسنت عوداً وبداءةً إلى ، فلم ينهض باحسانك الشكر  
فمن كان ذا عذر إليك وحجة فعذري إقرارى بأن ليس لي عذر  
وأنشدني الكريري :

وإني وإن أظهرت لي منك جفوةً وأزمتني ذنباً وإن كنت مجرماً<sup>(١)</sup>  
راضٍ لنفسي ما رضيت لها به أراك بها منى أبر وأرحا  
أنياباً محمد بن عثمان العمري ، حدثنا الفيض بن الجهم التميمي ، حدثنا عبد الله  
ابن حبيب قال : كان يقال : احتمل من ذلك عليك ، وأقبل من اعتذر إليك .  
أنياباً بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزالي - بالبصرة - حدثنا إسماعيل بن  
إبراهيم أبو بشر قال : سمعت أبي قال : حدثنا مبارك بن فضالة عن حميد الطويل  
عن أبي قلابة ، قال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فاقم له عذراً ، فإن لم  
تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعلمه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للمرء أن يعلن عتوية من لم يعلن  
ذنبه ، ولا يحلو للمتذر في اعتذاره من أحد رجلين : إما أن يكون صادقاً في  
اعتذاره ، أو كاذباً ؛ فإن كان صادقاً فقد استحق العفو ، لأن شر الناس من لم  
يقبل المبرات ولا يستر الزلات ، وإن كان كاذباً فالواجب على المرء إذا علم من  
المتذر أنه الكاذب ورعيته وخضوع الاعتذار وذلته أن لا يعاقبه على الذنب السالف

(١) إن الأخيرة نافية ، والمعنى : وما لم أكن في الواقع مجرماً ، على حد قوله تعالى  
(٣٥ : ٤١) إن أمسكهما من أحد من بعده ) وقوله (٧٢ : ٢٥) إن أدرى أقرب  
مانعون .

بل يشكر له الإحسان المحدث ، الذي جاء به في اعتذاره ، وليس يعيب المعتذر  
إن دَلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه .  
وأشدني الأبرش :

هَبْنِي أَسَأْتُ ، كما زعمت ، فأين عاطفة الأخوة ؟  
أو إن أسأت ، كما أسأت ، فأين فضلك والبروة ؟  
وأشدني علي بن محمد السامي :

هَبْنِي مَسِيئًا كَالَّذِي قُلْتَ ظَالِمًا فَعَفُوْهُ جَمِيلٌ كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ  
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِمَعْفُوْمِكَ - لَسُوْهُ مَا أَتَيْتُ بِهِ - أَهْلًا ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ  
وأشدني ابن زنجي البغدادي :

هَبْنِي أَسَأْتُ ، وَكَانَ جُرْمِيْ مِثْلَ جُرْمِ أَبِيْ هَلْبٍ  
فَأَنَا أَنْوَبُ كَمَا أَسَأْتُ ، وَكَمْ أَسَأْتُ فَلَمْ تَنْبُ ؟

وأشدني محمد بن أبي علي ، أشدنا الربيعي عن الأصمعي :  
أَتَيْتُكَ تَائِبًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَيْرَ النَّاسِ مَنْ أَخْطَأَ فَنَابَا <sup>(١)</sup>  
أَلَيْسَ اللَّهُ يُسْتَعْفَى فَيَعْفُو وَقَدْ مَلَكَ الْعَقُوبَةُ وَالتَّوْبَا  
وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

عَصَيْتُ وَتَيْتُ ، كَمَا قَدْ عَصَى وَتَابَ إِلَى رَبِّهِ آدَمُ  
فَقُلْ قَوْلَ يُوسُفَ لَا تَثْرِيًّا لَكُمْ يَغْفِرُ النَّسَافِرُ الرَّاحِمُ  
أَنْبِيَا مُحَمَّدَ بْنَ الْمَهَاجِرِ الْمَعْدِلِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُرْزِيُّ عَنْ حَمِيدِ بْنِ  
سَنَانَ الْخَلَّالِيِّ - وَكَانَ نَدِيمًا لِأَبِي دُلْفٍ - قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي دُلْفٍ يَوْمًا ،  
وَبَيْنَ يَدَيْهِ كِتَابٌ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَفِيهِ  
أَبْيَاتٌ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَشْدُكَ بِهَا ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ اسْتَبْطَأْتُهُ فِي بَعْضِ الْمَوَازِمَاتِ ،  
فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

(١) أَخْطَأَ : أَصْلُهُ أَخْطَأَ ، فَقَلَبَ الْهَمْزَةَ أَلْفًا لِانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا .

أرى وُدَّكم كإورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عهدُ  
وودى بكم كالآس حسناً وبهجة له نَصْرَةٌ تبقى إذا فنى الورد  
فكتب إلى بهذه الأبيات :

شَبَّهت ودى الورد ، فهو مثلكى وهل زَهَرُ إلا وسيدها الوردُ ؟  
وشبَّهت منك الود بالآس فى البقا ولم تخلف التشبيه فيك ولم تَمُدْ  
فودك كالآس المرير مذاقهُ وليس له فى الريح قبل ولا بعدُ  
أخبرنا عبد الكبير بن عمر الخطاطبى بالبصرة ، حدثنا أبو حاتم السجستاني عن  
الأصمعي قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : كان لأبى الأسود الدؤلى صديق ،  
فراى منه بعض ما يكره ، فقال أبو الأسود :

رأيت امرأ لم أكن أبه<sup>(١)</sup> أناني ، فقال : اتخذنى خليلاً  
فخالته ، ثم صافيته فلم ينقص الود منه فتلا  
فراجعتـه ، ثم عاتبته عتاباً رقيقاً ، وقولا جميلاً  
فألفيته غير مُستعجب ولا ذاكِر الله إلا قليلاً  
أست حقيقاً بتوديعه وأوسع ذلك هجرًا ضويلاً  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاعتذار يذهب المهوم ، ويجلى الأحران ،  
ويدفع الحقد ، ويذهب الصد ، والإقلال منه تستغرق فيه الجنائيات العظيمة  
والذنوب الكثيرة ، والإكثار منه يؤدى إلى الاتهام وسوء الرأى ، فلو لم يكن  
فى اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تُحمد إلا نقي التعجب عن النفس فى الحال لكان  
الواجب على العاقل أن لا يفارقه الاعتذار عند كل زَلَّة .

(١) هكذا فى الأصل ، والمففوظ «أريت امرأة كنت لم أبه » إلخ ، مع بعض  
اختلاف فى الباقي .

ولقد أنشدني الكريزي :

فانظر إلى بطرف غير ذي مرض فطال ماصحاً لي من طرفك النظر  
أدرك بفضلك عظمتي كنت تحبهم واجمع برهقك ماقد كاذ يتشتر<sup>(١)</sup>  
أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ،  
حدثنا عطاء بن مصعب قال : قدم عبد الرحمن بن عتبسة بن سعيد ، على معن بن  
زائدة باليمن ، وكانت بينهما عداوة ، فلما رآه قال له : يا عبد الرحمن ، بأي وجه  
أتيتني ؟ ولأني خير أملتني ؟ قال : أصلح الله الأمير ! اسمع مني حتى أنشدك  
بيتين قالهما نصيب في عبد العزيز بن مروان ، قال : وما هما ؟ فأنشده :

لو كان فوق الأرض حتى فماله كفعلك ، أو للقلع منك مقارب  
لقلت له هذا ، ولكن تذررت سواك على المستعين المذاهب  
فقال : أمم ، فإني لا أواخذك فيما مضى ، ولا أعنفك فيما بقي .

أنبأنا الخلدادي حدثنا محمد بن موسى السمری عن حماد بن إسحاق ، قال ابن  
السيك لمحمد بن سليمان ، أو حماد بن موسى لكتابه ، ورآه كالمعرض عنه : مالي  
أراك كالمعرض عني ؟ قال : بلغني عنك شيء كرهته ، قال : إذا لا أبالي ، قال : ولم ؟  
قال : لأنه إن كان ذنباً غفرت له ، وإن كان باطلاً لم تقبله ، قال : فعاد إلى المؤانسة .  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب  
« سماع العشرة » ، فأغني ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم كتمان السر

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد  
العبدی ، حدثنا المهيم بن أيوب العطار السلي ، حدثنا سهل بن عبد الرحمن عن  
محمد بن مطرف أبي غسان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن أبي هريرة قال :

(١) ينتشر : يتفرق ويذهب ههنا وههنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على الحوائج بكتان السر ؛ فإن لكل نعمة حاسداً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا إسناد حسن ، وطريق غريب ، إن كان عمرو هذا هو ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن سلام ما أرى حفظ حديثه ؛ فلذلك تنكبت <sup>(١)</sup> عن ذكره .

فالأوجب على من سلك سبيل ذوى الحجب لزوم ما انطوى عليه الضمير بتركه إبداء المسكون فيه ، لا إلى ثقة ولا إلى غيره ؛ فإن الدهر لا يدمن أن يضرب ضرباته ، فيوقع ضدَّ الوصل بينهما بحالة من الأحوال فيعثره وجود ضد ما انطوى عليه قديمًا من وفاته إلى حجة الخروج بالسكية إلى جفاته ، بإبداء مكتوماته ، والكشف عن مخبأته .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثني محمد بن عبد الكريم العبدى ، حدثنا بكر بن يونس بن بكير ، حدثني موسى بن علي عن أبيه عن عمرو بن العاص أنه قال : عجبت من الرجل يفر من القدر ، وهو موافقه ، ومن الرجل يرى القذاة في عين أخيه ، ويدع الجذع في عينه ، ومن الرجل يخرج الضغن من موضع ويدع الضغن في نفسه ، وما ندمت على أمر قط فأنمت نفسي على تندي عليه ، وما وضعت سرى عند أحد فلمته على أن يفشي ، كيف ألومه وقد ضقت به ؟  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تبيع بسرَّك ضيقاً به      وتبغى لسرك من يكتم  
وكتمتك السرَّ من تخاف      ومن لا تخافه أخزم  
إذا ذاع سرُّك من مخبر      فأنت ، وإن لسه ، ألوم

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان :  
إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره      فالتقاء في صدري ، فصدري أضيق

ومن لامنى فى أن أضيع سره وضيمه قبلى ، فذو السر أخرق<sup>(١)</sup>  
أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أحمد بن محمد الصيداوى ، حدثنا حماد  
ابن إسحاق عن المدائنى قال : كان يقال : أصبر الناس الذى لا يفشى سره إلى صديقه  
مخافة أن يقع بينهما شيء فيفضيه ، وأنشدنى البغدادى :

صُنِ السر بالكتان يرضيك غيبه فقد يظهر المرء المضيع فيندم  
فلا تلجن سرّاً إلى غير حرزه فيظهر حرز السوء ما كنت تكتم  
وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

إذا المرء لم يحفظ سريرة نفسه وكان لسراً الأخ غير كتم<sup>(٢)</sup>  
فبعداً له من ذى أخ ومودة وليس على وكر له بمقيم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من حصّن بالكتان سره تمّ له تدبيره ، وكان  
له الظفر بما يريد والسلامة من العيب والضرر ، وإن أخطأه التكن والظفر ،  
والخازم يحمل سره فى وعاء ، ويكتمه عن كل مستودع ؛ فإن اضطرت الأمر  
وغلبه أودعه المعامل الناصح له ؛ لأن السرامانة ، وإفشاءه خيانة ، والقلب له  
وعاؤه ، فمن الأوعية ما يضيق بما يودع ، ومنها ما يتسع لما استودع .

وأنشدنى الكلابى :

اجعل لسرك من فؤادك منزلاً لا يستطيع له اللسان دخولا  
إن اللسان إذا استطاع إلى الذى كتم الفؤاد من الشئون وصولاً  
ألنيت سرك فى الصديق وغيره من ذى العداوة فاشياً مبذولاً  
وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

سأ كتمه سرى ، وأكتم سره ولا غرّنى أنى عليه كريم  
حليم فيفشى ، أو جهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وحليم  
أخبرنى محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنى على بن عيسى  
(١) أخرق : أحرق . (٢) الأخ ، ههنا بتشديد الحاء ، وهى لفظة .

عن محمد بن زياد عن ابن الأعرابي قال : كان يقال : العاقل من حذر صديقه ،  
وأشدنى بعض إخواننا :

أعفت وأدنى للرشاد وأكرم  
وأجل في بث الحديث مقالة  
وأشدنى الكرزي :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فانت إذا حلت له الفاس أضيع  
ويضحك في وجهي إذا ما لقيته ويتبشى بالغيب يوما ويلع  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز ، وما كتمه  
المرء من عده فلا يجب أن يظهره لصديقه ، وكفى لذوى الألباب عبراً ما جربوا ،  
ومن استودع حديثاً فليستر ، ولا يكن متهتكاً ، ولا يشياعاً ، لأن السر إنما سبي  
سراً لأنه لا يفشى .

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن لا يفشيه .  
ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر العدل ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن يعقوب الأعم  
قال : أشدنى محمد بن سليمان بن سلام الجعفي لرجل من عبد شمس :

إذا ماضقاً صدرك عن حديث فأفشاء الرجال ، فمن تلوم ؟  
إذا غابت من أفشى حديثي وسرّي عنده فانا الظلوم  
وإني يوم أسام حل سرى وقد صمته صدرى سؤوم  
فلت محدثاً سرى خليلي ولا نفسى إذا حضرت مهموم  
وأطوى السرّ دون الناس ؛ إني لما استودعت من سر كسوم

وأشدنى علي بن حيدة الكاتب ، قال : أشدنا عبد الرحمن بن بندار  
لشيطان الطلاق :

أستر السر بكتات ولا يسمن منك إذا استودعت سرّ

فإذا ضقت به ذرعا ، فلا تضرن<sup>١</sup> شرك إلا عند حُر  
أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الرمادى ، حدثنا مسدد قال : سمعت ابن  
داود يقول : سمعت الأعمش يقول : يضيق صدر أحدهم بسره ، حتى يحدث به ،  
ثم يقول : اكتبه على .

وأنشدنى إبراهيم بن على الطبرى <sup>(١)</sup> أنشدنى الحسين بن عبيد الله :  
لا يكتم السر إلا من له شرف      والسر عند كرام الناس مكتوم  
السر عندى فى بيت له غلق      ضلت مفاتيحه والباب مخوم  
أنبأنا الخلالدى ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع البياضى ، قال : أنشدنا  
عبد الرحمن بن محمد :

وإنى لأنسى السر كىأ أصونه      فإمى رأى شيئا يُصان بأن ينسى  
مخافة أن يجرى بىبلى ذكره      فيخله قلبى إلى منطق خلّسا  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الظفر بالحزم ، والحزم باجالة الرأى ، والرأى  
بتحصين الأسرار ، ومن كتم سره كانت الخيرة فى يده ، ومن أنبأ الناس بأسراره  
هان عليهم وأذاعوها ، ومن لم يكتم السر استحق الندم ، ومن استحق الندم صار  
ناقص العقل ، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل .

فحصين السر للعقل أولى به من التلفف بالندم بعد خروجه منه .  
ولقد أحسن الذى يقول :

خشيت لسانى أن يكون خوؤنا      فأودعته قلبى ، فكان أمينا  
فقلت ، ليخفى دون شخصى وناظرى :      أيا حرّكأتى كنّ فى سكونا  
أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطى ، حدثنا محمد بن سليمان اللصبى ، حدثنا  
ابن عيينة عن ابن شُبْرَمَةَ عن الحسن فى قوله تعالى ( ٣ : ١٥٩ ) وشاورهم فى الأمر

(١) وجد فى هامش الأصل « نسخة الطبرى » .



قال : ما كان يحتاج إليهم ، ولكن أحب أن يستنَّ به مَنْ بعده .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المستشار مؤتمن ، وليس بضامن ، والمستشير متحصن من السقط ، متخير للرأى .

والواجب على الماقل السالك سبيل ذوى الحجب : أن يعلم أن المشاورة نفسى الأسرار ، فلا يستشير إلا السليم الناصح الزود القاضل في دينه : وإرشاد المشير المستشير قضاء حق النعمة في الرأى ، والمشورة لا تخلو من البركة إذا كانت مع مثل من وصفنا نعمته .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا ابن الغلابي ، حدثنا ابن عائشة ، قال : قال الحسن ماحزب<sup>(١)</sup> قوما قط أمر فاجتمعوا فتشاوروا فيه إلا أرشدهم الله لأصوبه .

وأشدنى الكريزى :

دَبَّرَ إِذَا مَارَمْتَ أَمْرًا بِفِكْرَةٍ لَتَعْلَمَ مَاتَانِي وَمَا تَتَجَنَّبُ  
وَشَاوِرْ نَقَّ الرَّأْيَ عِنْدَ التَّبَاسِهِ لِكَيْ يَضِيعَ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ أَصُوبُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَشَدْنِي الْمُتَصَرِّفُ بِنِ بِلَالٍ :

لَا تَسْبِقَنَّ النَّاسَ بِالرَّأْيِ وَانْتَدِ فَإِنَّكَ إِنْ تَعَجَّلَ إِلَى الْقَوْلِ تَزَلَّزِلْ  
وَلَكِنْ تَصَفَّحْ رَأْيَ مَنْ كَانَ حَاضِرًا وَقُلْ بَعْدَهُمْ رِسَالًا وَبِالْحَقِّ فَاعْمَلْ

أنبأنا محمد بن عثمان العقي ، حدثني يحيى بن يزيد بن محمد الأبلج ، حدثني إسماعيل بن حبيب أبو حميد الأبلج عن عبد الله بن المديني عن وهب بن منبه أنه قال : في التوراة أربعة أحرف مكتوبة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى استأثر ، والفقر الموت الأحر . وكما تدبّر تدان .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا أنسَ آتَسُ مِنْ استشارة عاقل ودود ، ولا وحشة أَوْشٍ مِنْ مخالفته ؛ لأن المشاورة والناظرة بابا بركة ومفتاحا رحمة ،

(١) حزيم : اشتد عليهم وشق .

(٢) يضيح : مضارع وضع ، إذا اشتد ظهوره .

ومن استشير فليشر بالنصيحة ، وليجتهد بالرأى ، وليلزم الحق ، وقصد السبيل  
وليجعل المستشير كفضه بترك الخيانة ، وبذل النصيحة ، وليكن كما أشدنى على  
ابن محمد البسامي :

ومن الرجال إذا زكت أحلامهم مَنْ يستشار إذا استشير فيطرق  
حتى يحول بكل واد قلبه فيرى ويعرف مايقول وينطق  
إن الخليم إذا تذكر لم يكذب يخفى عليه من الأمور الأوفى  
أنيأنا أبو يعلى ، حدثنا غسان بن الربيع ، حدثنا يزيد بن ثابت عن إلياس  
ابن دغفل عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ماشاور قوم قط  
إلا هدوا إلى رشدهم » .

أخبرني محمد بن المنذر ، حدثنا أحمد بن خالد السيرافي ، حدثنا شيبان ، حدثنا  
أبو الأشهب قال : قال الحسن : لا يندم من شاور مرشدا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا استشير قومٌ هو فيهم  
أن يكون آخر من يشير : لأنه أمكن من الفكر ، وأبعد من الزلل ، وأقرب من  
الحزم ، وأسلم من السقط ، ومن استشار فلينفذ الحزم بأن لا يستشير عاجزاً ، كما أن  
الحازم لا يستعين كسلاً ، وفي الاستشارة عين الهداية ، ومن استشار لم يقدم رشداً ،  
ومن ترك المشاورة لم يقدم غيأً ، ولا يندم من شاور مرشداً ، ولقد أشدنى الواسطي :

الهمم ما لم تمضه لسييله سقم القلوب وآفة الأبدان  
ومعزل الرجل الموفق رأيه عند اعتراض طوارق الأحزان  
وإذا الحوادث سددت أسبابه كان التبصر أنجد الأعوان  
وإذا أضل سييله تديره طلب الهدى بتشاور الإخوان  
أنيأنا محمد بن عثمان العمري ، حدثنا مطروح بن شاكر ، حدثنا أصبغ عن ابن  
وهب عن إبراهيم بن نسيط عن ابن أبي حسين قال : كان يقال : ما هلك امرؤ  
عن مشورة ، ولا سعد بتوخذ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من شيم العاقل عند النائية تنو به : أن يشاور عاقلاً ناصحاً إذا رأى ثم يطيعه ، وليعترف للحق عند المشورة ، ولا يتجاذى في الباطل ، بل يقبل الحق ممن جاء به ، ولا يحقر رأى الجليل إذا أتماه به الرجل الحقير ؛ لأن اللؤلؤة الخطيرة لا يشينها قلة خطر غائصها الذى استخرجها ، ثم ليستخر الله ، ويحضر فلما أشار عليه : ولقد أنشدنى البندادى :

أطع الخليم إذا العظيم عصاك    إن الخميم إذا عصاك هداك  
وإذا استشارك من تورء ، فقل له :    أطع الخليم إذا الخليم نهاك  
ولئن أبيت لثأرتين خلافة    أرباً يحوطك ، أو يكون هلاكك  
واعلم بأنك لن تسود ، ولن ترى    سبل الرشاد إذا أطعت هواك  
أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد المؤمن بجرجان ، حدثنا محمد بن حميد البراز حدثنا جرير عن ابن المقفع عن وزير كسرى قال : ثلاثة ليس لهم رأى ، فلا تستشروهم : صاحب الخف الضيق ، وحافى البول ، وصاحب المرأة السوء السليطة <sup>(١)</sup> .

### ذكر الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة

أنا أبو الحسين بن محمد بن أبي معشر - بجران - حدثنا عبد الرحمن بن عمرو البجلي ، حدثنا زهير بن معاوية عن سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد الليثي عن تميم الدارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة ، وترك الخيانة لهم بالإضرار والقول والفعل معاً ؛ إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من بايعه من أصحابه « النصح لكل مسلم » مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

(١) السليطة : أى البذينة اللسان التى تكثر من قول السوء .

وأخبرني محمد بن أبي علي الغلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه « لا تعمل بالخديعة فإنها خلق اللئام ، وأحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وزل معه حيث زال . » وأنشدني الكريزي :

قل للنصح الذي أهدى نصيحتي سرًّا إلينا ، وسامته التكليف  
النصح ليس له حدٌّ فترفه والنصح مستوحش منه ومألوف  
حتى إذ صرحت غنا عواقبه كانت لنا عظة منه وتعتيف  
لو كان للنصح حدٌّ يستبان به ما نالنا حسرة منه وتلهيف  
لكن له سبل شتى مخالفة بعض لبعض ، فجهول ومعلوم  
والناس غاور ، وذورشد ، ومختلط والنصح ممض ، ومردود ، وموقوف  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة ، كما أن خير الأعمال أحدها عاقبة ، وأحسنها إخلاصا ، وضرب الناصح خير من تحية الثاني .

ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبدولة للعامة مكتوما من العام والخاص ما قدر عليه ، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له .

وأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم النيسبي ، حدثني أبي قال « لما قدم على الكوفة لقيه للثيرة بن شعبة ، فقال له : إني أشير عليك برأى فاقبله ، قال : هات ، قال : أقر معاوية على الشام ، يسمح لك طاعته ، فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستمذبوه ، ووليم عشرين سنة لم يعتبوا عليه ، ولم يعتبوه في عرض ولا مال ، فقال : والله لو سألتني قرية ما وليته إياها ، قال : فقال للثيرة : أراه سئل أرضين وقرأت »

أنا محمد بن المهاجر ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ،

حدثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن الخثار عن الحسن قال « المؤمن شعبة من المؤمن ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه ما لا يحب سده وقومه ونصحه في السر والعلانية » وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أَمِنْتُ عَلَى السَّرِّ امْرَأً غَيْرَ حَازِمٍ      وَلَكِنَّهُ فِي النَّصِيحِ غَيْرُ مَرِيْبٍ  
فَدَاعَى بِهِ فِي النَّاسِ ، حَقِّي كَأَنَّمَا      بَطْلِيَاءُ نَارٍ أَوْقَدْتُ بِمَقْبُوبٍ  
فَمَا كُلُّ ذِي لَبٍّ بِمَوْتِكَ نَصَحَهُ      وَمَا كُلُّ مُؤْتِرٍ نَصَحَهُ بِلَيْبٍ  
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ      فَحَقَّقْ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بَنَصِيبٍ

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي ، يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول : قال بعض الحكماء « اثنان ظالمان : رجل أهديت له النصيحة فاتخذها ذنباً ، ورجل وُسِّعَ له في مكان ضيق فجلس متربهاً » قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة محاطة بالتهمة ، وليست النصيحة إلا لمن قبلها ، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طلبها ، وليس على كل ذي نصيح إلا الجهد ، ولو لم يقبل من نصيحائه ما ينقل عليه لم يحمّد غيباً رأيه ، ومشاورته الأصمُّ أحدٌ من الناصح المعرض عنه ، ومن بذل نصيحة لمن لا يشكر كان كالباذر في السباح ، وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب برأيه ، وأنشدني الأبرش :

إِذَا نَصَحْتُ لَدَى عَجَبٍ لَتُرْسَدَ      فَرِّ يَطْلُكَ ، فَلَا تَنْصَحْ لَهُ أَبَدًا  
فَإِنْ ذَا الْعِجْبِ لَا يَعْطِيكَ طَاعَتَهُ      وَلَا يُجِيبُ إِلَى إِرْشَادِهِ أَحَدًا  
وَمَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ غَاوِيَ غَوَى حَقَبًا      إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ قُرْبَى ، أَوْ يَكُنْ وَلَدًا  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : النَّصِيحَةُ تَحِبُّ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً عَلَى مَا ذَكَرْنَا قَبْلَ ؛ وَلَكِنْ إِذَا دَاوَاهَا لَا يَجِبُ إِلَّا سِرًّا ؛ لِأَنَّ مِنْ وَعْظِ أَهْلِ عِلَالِيَّةٍ فَقَدْ شَانَهُ ، وَمِنْ وَعْظِهِ سِرًّا فَقَدْ زَانَهُ ، فَأَبْلَاغُ الْجَهْدِ الْمُسْلِمِ فِيهِ يَزِينُ أَخَاهُ أُخْرَى مِنَ التَّصَدُّقِ فِيهَا يَشْبَهُهُ .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا الرمادى حدثنا علي بن المدينى حدثنا  
سفيان قال : قلت لِسَمْعٍ « تحب أن يخبرك رجل بعبوبك ؟ قال : أما أن يخبرني  
إنسان فيؤتخني بها فلا ، وأما أن يخبرني - ناصح فعم » .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلابى حدثنا محمد بن المغيرة النوفلى حدثنا محمد بن  
علي الشقيقى حدثنا أبي عن ابن المبارك قال « كان الرجل إذا رأى من أخيه  
ما يكره أمره في ستر ، ونهاه في ستر ، فيؤجر في ستره ، ويؤجر في منيه ، فأما  
اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره استنصب أخاه ، وهلك ستره » .

أخبرنا محمد بن سعيد التمارى حدثنا محمد بن منصور حدثني علي بن المدينى عن  
سفيان قال : جاء طلحة إلى عبد الجبار بن وائل - وعنده قوم - فسأله بشيء ،  
ثم انصرف ، فقال : أندرون ما قال لى ؟ قال : رأيتك التفت أس وأنت نصلى »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة إذا كانت على نعمت ما وصفنا تقيم  
الألفة ، وتؤدى حق الأخوة .

وعلمة الناصح إذا أراد زينة النصوح له أن ينصحه سرا ، وعلمة من  
أراد شينه أن ينصحه علانية ، فليحذر العاقل نصحه الأعداء في السر والعلانية .

واتقد أشدنى ابن زنجى البغدادى :

فكم من عدو معلن لك نصحه	علانية ، والنش تحت الأضالع
وكم من صديق مرشد قد عصيته	فكنت له في الرشد غير مطاوع
وما الأمر إلا بالموافق ؛ إياها	سيبدو عليها كل سر وذائع

وأشدنى منصور بن محمد الكريزى :

وصاحب غير مأمون غوائله	يبدى لى النصحه منه وهو مشتمل
على خلاف الذى يبدى ويظهره	وقد أحطت بعلمى أنه دغل
عنوت عنه انتظرا أن يشوب له	عقل إليه من الزلات يقتل

دهرا فلما بدا لي أَنَّ شيمته غش وليس له عن ذلك مُنْتَقِلٌ  
تركته ترك قال لا رجوع له إلى مودته ما حُتَّ الإبل (١)  
أخبرنا عبد الله بن محمد القيراطي حدثنا محمد بن يزيد الملقب بِتَحْمُشٍ حدثنا  
يعلى بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبيه قال : كذب الزبيد بن خنيم وصية :  
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الزبيد بن خنيم ، وأشهد عليه ،  
وكفى بالله شهيداً وجازياً لعباده الصالحين مثيباً ، إني رضيت بالله رباً ، وبالإسلام  
ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وأن يعبد الله (٢) من أطاعني في العابدين  
وبمحمداه في الحامدين ، وينصح لجماعة المسلمين »

#### وصية الخطاب بن المعلی الخزومي ابنه

أخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحافظي  
حدثني عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلی الخزومي القرشي  
أنه وعظ ابنه فقال « يا بني ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمته باتباع  
سنته ومعاله ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفى على الله خافية ،  
وإني قد وسمت لك وسمًا ، ووضعت لك رسمًا ، إن أنت حفظته ووعيته وعملت  
به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصمغوك ، ولم تزل مرتجى مشرفًا محتاج  
إليك ، ورُغِبَ إلى ما في يديك ، فأطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفرَّغ  
لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولُبُّكَ ، وإياك وهذَر الكلام ، وكثرة الضحك  
والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشقاء ، وعليك  
بالرزاة والتوقر ، من غير كبر بوصف منك ، ولا خيلاء تحكي عنك ، والقر  
صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الأذى ، من غير ذلة لم ولا هيبة منهم ،

(١) الإبل لا تترك الحنين ، فهذه كناية عن دوام تركه إياه .

(٢) في الأصل « وأن يعبد الله ومن أطاعني » والواو مقحمة .

وكن في جميع أمورك في أوسطها : فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ، وأوش السلام ، وأمش متمكنا قسدا ، ولا تخطُ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلوِّ عُنُقك ، ولا ردائك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الخوانيت متعدينا ، ولا تكثر المرء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقصر ، وإذا جلست فتريع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيصها ، والعَيْث بلحيتك وخاتمك ، ودفابة سيفك ، وتحليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ، وكثرة الثأوب والتطلى ، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويفتزون به فيك .

وليكن مجلسك هاديا ، وحديثك مقسوما ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغُضَّ عن الفكاهات ، من المضحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولا جاريتك ، ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديث الرؤيا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشئ منها طمع فيها السفهاء ، فولسوا لك الأحلام ، واعتمزوا في عطفك ، ولا تُصنَّعْ نصنَّعُ المرأة ، ولا تبدِّلْ تبدِّلُ العبد ، ولا تهتَبْ<sup>(١)</sup> لحيتك ولا تُبطنها ، وتوق كثرة الحف ، وتنف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في الدهن ، وليكن كلُّك رغباً ، ولا تلجُ في الحاجات ، ولا تنحس في الطلبات ، ولا تُلمِ أهلك وولدك - فضلا عن غيرهم - عدد مالك ، فإنهم إن رأوه قليلا هُتت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، وإن لم في غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، وإذا خاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهالك ، وتجنب

(١) حلب الشعر: تنف ما غلظ منه ، وبططين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحت الدقن



عن عجلتك ، وتفكر في حُجَّتِكَ ، وأر الحاكم شيئاً من حلفك ، ولا تسكنر  
الإشارة بيدك ، ولا تحفز على ركنيك ، وتوق حمرة الوجه ، وعرق الجبين  
وإن سفعه عليك فأحلم ، وإنا هذا غضبك فتكلم ، وأكره عرضك، وألق العضول  
عدك ، وإن فربك سلطان فكن منه على حد الستور ، وإن استرسل إليك  
فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكله بما يشتهي ، ولا  
يحملنك ما ترى من إطفاء إياك ، وخاصته بك : أن تدخل بينه وبين أحد من  
ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستعماً ، والقول منك مطيعاً ، فإن  
سقطه الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض ، وزلة لا تقال ، وإذا وعدت  
محقق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولا تجهز بمنطقك كتنازع الأسم ، ولا تخافت به  
كخفاف الأخرس ، وتأخير محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع  
فانصب إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشفوعة التي تذكرها القلوب ، وتنفث  
لها الجلود <sup>(١)</sup> ، وإياك ومضغ الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، وعجل ،  
وبما أشبه ذلك ، وإذا توضعت فأجلد غرزة كفيك : وليكن وضعك لخرص <sup>(٢)</sup>  
من الأثنان في فيك كفمك بالسواك ، ولا تنجّع في الطست ، وليكن طرحك  
لما من فيك مترسلاً ، ولا تمنجّ فتضجّ على أقرب جلسائك ، ولا تمصّ نصف  
اللقمة ، ثم تعيد ما بقي منها منصيفاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تسكنر الاستسقاء  
على مائدة الملك ، ولا تمبث بالمشاش <sup>(٣)</sup> ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على  
مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل ، فإن السعاية قد صيرت نفسها مهابة ، ولا تمسك  
إمسالك للثبور ، ولا تبدّر تبذير السفبه المنور ، واعرف في مالك واجب الحقوق ،  
وحرمة الصديق ، واستغن عن الناس بمحتاجوا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى

(١) تنفث لها الجلود : تقشعر .

(٢) الخرص - بزة قفل أو عتق - الأثنان تسل به الأيدي إثر الطعام .

(٣) المشاش - بزة غراب - العظم الذي لا مخ فيه .

الطبع ، والرغبة كما قيل تدق الرقبة ، وربّ أكلة تمنع أكالات ، والتعنف مال جسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى في بعيد القعر ، والصدق زين ، والكذب شين ، ولصدق يسرع عطب صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله ، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على الموان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولقرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طراد ، وزوجة السوء الداء المضال ، ونكاح المعجوز يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزي بالعتلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه .  
واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه ، وإنما يقب الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقرينه ، وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من صادقهم ، وقرّبهم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب ، واستخفاف المستجير لؤم ، والعجلة شؤم ، وسوء التدبير وهن .

والإخوان اثنان : فحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

ومن اتبع الهوى ، مال به الردى ، ولا يعجبك الجمهم من الرجال ، ولا تحقر ضيلاً كالخلخال<sup>(١)</sup> فإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه .

وتوق الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادي ، ولا تفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم هليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام ، وامنع البشر جليساك ، والقبول ممن لا فاك .

وإياك وكثرة التبريق والتزيق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث ، وإياك

(١) الخلال - بكسر الخاء ، زنة الكتاب - العود الذي تخلل به الأسنان ، يريد الرجل النحيف البالغ النحافة .

والتصنع لمخاللة النساء ، وكن مقرباً ، متمززاً ، متنهزاً في قرصتك ، رفيقاً في حاجتك ، متبعثاً في حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .  
واحذر ما يلزمك اللامعة في آخرتك ، ولا تمجل في أمر حق تنظر في عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

وعليك بالنورة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استكتت قمرضاً ، وعليك بالعمارة ، فإنها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الفرج ، ومتارعتك اللقيم تطعمه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، وسعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أيسر أكبر ، ومن افتقر احتقر ، قصر في المقالة ، مخافة الإجابة ، والساعي إليك غالب عليك ، وطول السفر ملالة ، وكثرة المني ضلالة ، وليس للعائب صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب تشيخ عناء ، وتاديب الغلام شقاء ، والقاحش أمير ، والوقاح<sup>(١)</sup> وزير ، والحليم عطية الأحق ، والحق داء لاشفاء له ، والحلم خير وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هُجْر ، والشح شقاء ، والشجاعة بقاء ، والمهذية من الأخلاق السرية ، وهي تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف حار دينا ، ومن المعروف ابتداء من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولرياء بخير خير من معادة بشر ، والعرق نزع ، والعادة طبيعة لازمة : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حل عقداً احتمل حقداً ، ومراجعة السلطان حرق بالإنسان ، والقرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأعجل منفعة إيسار في دعة ،

(١) الوقاح - بفتح الواو - الوصف من الوقاحة ، وهي الإفراط في سوء الأدب

وكثرة العلل ، من البخل ، وشر الرجال ، الكثير الاعتلال ، وحسن اللقاء ،  
يذهب بالشحناء ، ولين الكلام ، من أخلاق الكرام .

يا بني ، إن زوجة الرجل سكنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت  
بفكاح امرأة فسل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحسنة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوقّ منهن كل ذات  
بنا ، محبولة على الأذى ، فتهن المعجبة بنفسها ، المزرية بعلها ، إن أكرمها وأنه  
أفضلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف  
حقيق ، قد كشفت الفجّة ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحي من إغوارها ، ولا  
تستحي من جارها ، كلبة هرّارة ، مهاشّة عقّارة<sup>(١)</sup> ، فوجه زوجها مكشوم ،  
وعرضه مشنوم ، ولا ترضى عليه لدين ولا دنيا ، ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة  
بنين ، حجابها مهتوك ، وستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كثيباً ، ويُمسى  
عائياً ، شرابه مر ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ،  
ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فتسكاره ، نهارة ليل ، وليله ويل ،  
تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلصّبه مثل القرب الجرارة .

ومنهن شفشليق شمّع سلف<sup>(٢)</sup> ، ذات سم منقع ، وإبراق واختلاق ،  
تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذي جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن  
قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لحمازيه ، محترقة لما يديده ، تضرب له الأمثال ،

(١) هر الكلب هريراً : شبح ، وعقارة : نمر صاحبها كما يعقر الكلب .

(٢) الشفشليق ، العجوز المسترخية ، والششمع : الطويلة ، والسلفع : الصخاية

البديئة السيئة الخلق ، والسّم المنقع : الرّبي .

وتنصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومَلَّ ولده ، وغتَّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الورهاء الحقاء<sup>(١)</sup> : ذات الدَّل في غير موضعها ، الماضفة للسانها ، الآخلة في غير شأنها ، قد قفعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراجع ، تنتشر الشمس ولما يُسمع لها صوت ، ولم يكنس لها بيت ، طامها باث ، وإناءها وضير<sup>(٢)</sup> ، وعجيناها حامض ، وماؤها قاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبتها ، المحبوبة في جيرانها ، المحمود في سرها وإعلانها ، الكريمة التبعيل ، الكريمة التفضل ، الخافضة صوتا ، النظيفة بيتا ، خادمها مسمن ، وابنها مزين ، وخبرها دائم ، وزوجها ناعم ، مومقة مألوفة ، وبالغاف والخيرات موصوفة .

جعلك الله يا بني بمن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويتجنب السخط ، ويحب الرضى .

والله خليفتي عليك ، والتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

### ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة

حدثنا أبو يعلى اللوصلي حدثنا وهب بن بقية الواسطي حدثنا خالد بن عبد الله عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أنس قال : قال رسول الله

---

(١) الورهاء : الحقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أي كثيرة المطر  
(٢) الوضر - بفتح الواو والضاد - بقية الدسم والدهن في الإناث ، والوضر - بكسر الضاد - الوصف منه .

صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ،  
وكونوا عباد الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد  
ولا التدابر بين المسلمين ، والواجب عليهم أن يكونوا إخوانا كما أمرهم الله ورسوله  
فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بأله ، وإذا فرح فرح الآخر بفرحه ، بنى العش  
والدغل ، مع استسلام الأنفس لله عز وجل ، مع الرضا بما يوجب القضاء  
في الأحكام كلها ، ولا يجب المجران بين المسلمين عند وجود زلة من أحدهما ،  
بل يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والعطف عليه بالإشفاق ، وترك المجران .

ولقد حدثني محمد بن المهاجر حدثني موسى بن محمد الأخبارى عن النعماني  
حدثني محمد بن يحيى السكتاني قال : أنشدني أبو غزية لمعاوية بن عبد الله  
ابن جعفر :

لا يُرْهِدَنَّكَ فِي أَخٍ لَكَ أَنْ تَرَاهُ زَلَّ زَلَّهُ  
وَالرَّوْءُ يَطْرَحُهُ الذُّيُفْنَ يَلُونَهُ فِي شَرِّ آلِهِ <sup>(١)</sup>  
وَيُخَوِّنُهُ مِنْ مَأْمَنِ أَهْلِ الْبَطَانَةِ وَالْذُّخْلَةِ <sup>(٢)</sup>  
وَالْمَوْتُ أَعْظَمُ حَادِثٍ مِمَّا يَمُرُّ عَلَى الْجَبِيلَةِ  
أُنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ قَتِيبَةَ أَنْشَدَنِي حَمِيدُ بْنُ عِيَّاشٍ :

ولأنك في حب الأخلاء مفرطاً فإن أنت أبغضت البغيض فأجبل  
فإنك لا تدري متى أنت مبغض حبيبتك أو تهوي البغيض فأعقل

(١) « الآلة » بفتح الهمزة - أصله الخربة والسلاح ، وأراد في شر موضع

(٢) « الذخلة » الذخيلة وباطن الأمر ، وأصلها بسكون الحاء فأتبع حركتها  
حركة الهاء .

وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسوي ثعلب :

وما صدودُ ذواتِ الدَّلِّ يرْمَضُنِي      لَكِنَّا المَوْتَ عِنْدِي صَدُّ إِخْوَانِي  
إِنِّي لِأَضْبَرُ مِنْ عَوْدٍ بِهِ جُلْبُ      عِنْدَ المَلَأَتِ إِلَّا عِنْدَ هِجْرَانِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا رَأَيْتَ أَزْوَارًا مِنْ أَخِي تَقَّةً      ضَاقَتْ عَلَى بِرْحَبِ الأَرْضِ أَوْطَانِي  
وَأَنشَدَنِي الأَبْرَشُ :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أَرَدَتْ إِخَاءَهُمْ      وَتَوَسَّعَ أُمُورُهُمْ وَتَقَدَّرَ  
فَإِذَا ظَفَرَتْ بِذِي اللِّبَابَةِ وَالتَّقَى      فِيهِ اليَدِينَ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدَدَّ  
فَتَى بَرَلٍ ، وَلَا مَحَالَةَ ، زَلَّةً      فَعَلَى أَخِيكَ بِفَضْلِ حُلْمِكَ فَارْدَدَ  
وَإِذَا اخْتَلَى نَقْصُ الخِي فِي مَجْلَسٍ      وَرَأَيْتَ أَهْلَ الطَّيْشِ قَامُوا فَاقْدَمَ  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَجِبُ لِلرَّءِ أَنْ يَدْخُلَ فِي جُمْلَةِ العَوَامِ وَالْمُهَاجِرِينَ  
بِإِحْدَاثِ الودِّ لِإِخْوَانِهِ ، وَتَكْدِيرِهِ لَهُمُ بِالْخُرُوجِ بِالسَّبَبِ الَّذِي يُؤْدِي إِلَى الْمُهْجَرَانِ  
الَّذِي نَهَى الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ يَنْبَغُ ، بَلْ يَقْصِدُ قَصْدَهُ الْإِغْضَاءَ عَنْ  
وَرُودِ الزَّلَاتِ ، وَبِتَحْرِى تَرْكِ الْمُنَاقَشَةِ عَلَى الْمُفْعُولَاتِ ، وَلَا سِيَّامًا إِذَا قِيلَ فِي أَحَدِهِمُ  
الشَّيْءُ الَّذِي يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَقًّا وَبَاطِلًا مَعًا ، فَإِنَّ النَّاسَ لَيْسَ يَخْلُو وَصْلَهُمْ مِنْ  
رَشَقِ أَصْهَمِ الْمَذَالِ فِيهِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَانَ الْعَقْبِي يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ :  
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ :

وَمَنْ ذَا مَنْ عَيَّوبِ النَّاسِ فَاجِرٍ      بِحَقِّي قِيلَ فِيهِ ، أَوْ قَرَأَ<sup>(٢)</sup>  
قَبِيحٌ بِي إِذَا خَالَتْ خَلَا      وَلَا زِمَ خُلَّتِي أَنْ لَا أَكُنِي  
وَكُلُّ مَوْدَةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا      إِذَا لَمْ تَحْتَمِلْ حَقَّ الْمُصَافِي

(١) الود - بالفتح - الجمل المن - والجلب : القروح

(٢) أقرفه بكنا وقرفه : اتهمه .

فأما في الكلام فكم وفي ولكن في الشائد لا يوافق  
إذا أحببت لم أنقض إخواني ولم أبن الإخاء على اعتساف  
ولكن أمتح الكرماء وُدًا ولا أدع الثام إلى العطف  
مَنْ تَطْلُعُ صديقك بعد وصل ولا تثبت ، فعهدك غير واف  
إذا ما المرء أدبر لم تَطْلُعْ وصار المستقيم إلى خلاف

سمعت محمد بن النضر يقول : سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول : سمعت أبا عمار  
الحسين بن حريث يقول : قيل لرجل : ألك عيوب ؟ قال : لا ، قيل له : فلك  
مَنْ يلتصمها ؟ قال : نعم ، قال : فما أكثر عيوبك ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة  
أشياء : إما وجود الزله من أخيه - ولا محالة يزل - فلا يفضى عنها ولا يطلب لها  
ضدها ، وإبلاغ وإش يقدح فيه ، ومشى عاذل يتلب له فيقبله ولا يطلب لتكذيبه  
سببا ، ولا لأخيه عذرا ، وورود ملل يدخل على أحدهما ، فإن اللالة تورث القطع  
ولا يكون للول صديق .

وقد أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا محمد بن إبراهيم اليسرى  
حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم الأصمعي أنشدني بعض أهل الأدب :  
إنَّ الملوَّةَ وُدُّهُ مثل السراب يذم وردُّهُ  
أو كالسحاب الزائد البراق لم يصدقك وعدُّهُ  
أو كالخسام هزَّزَتْهُ عند الضراب ، فكُلَّ حَدُّهُ (١)  
لا تقبلنَّ إخوانه فوعيد كَذِبٌ ووعد  
بيننا يودك رأى عيـنك إذ بدا لك منه صد  
وتفـيرت أخلاقه وأزور ، حتى مال خد



أبنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا معمر بن سهل حدثنا إبراهيم  
ابن بشار عن سفيان قال : كان لابن شبرمة أخ ، جفاه ، فكتب إليه :  
كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة  
أيام ؛ فمن فعل ذلك كان مرتكباً لنهى النبي صلى الله عليه وسلم ، وخيرهما الذى  
يبدأ بالسّلام ، والسّابق بالسّلام يكون السابق إلى الجنة ، ومن هجر أخاه سنة  
كان كسفك دمه ، ومن مات وهو مهاجرٌ أخاه دخل النار ، إن لم يفضل الله  
عليه بغفرته ورحمة ، وغاية ما أبيع من المجران بين المسلمين ثلاثة أيام .

ولقد أنشدنى عبيد الله بن محمد الأنطاقي قال : أنشدنى محمد بن الحسن :  
ياسيدى عندك لى مظلة فاستفت فيها ابن أبى خيشه  
فإنه برويه عن شيخه قال : روى الضحاك عن عكرمه  
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرجه  
إن صدود الخلل عن خله فوق ثلاث ربنا حرمة<sup>(١)</sup>  
وأنشدنى محمد بن شاه الأبيوردى بالموصل :

ماودى أحد إلا بذلت له صفو المودة منى آخر الأبد  
ولا جفاني وإن كنت الحب له إلا دعوت له الرحمن بالرشد  
ولا أتمت على سرفيحت به ولا مددت إلى غير الجليل يدي  
ولا أخون خليلي في خليلته حتى أغيب في الأكفان واللحد  
أبنا محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع حدثنا محمد بن سماعة ،

(١) وفي غير الأصل بعد الآيات

وأنت مذمهر لنا هاجر فم تخاف الله فينا فه ؟

قال : جئت يوما إلى أبي على المصرى أسلم عليه ، قال : فبشّ بى واحتملنى فى جِجْرِهِ ، ثم قال :

حسى بوصلك فى حياتى لذةً ورضيتُ فى ذلك المعاد ثوابا  
لو كنتَ رزقَ ما أردتُ زينةً ولقلتُ : أحسنَ خالقى وأطابا

### ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى

أبنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملى حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا حلِيم إلا ذو عَثْرَةٍ ، ولا حلِيم إلا ذو تجربة » .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر فى الضرب الذى ذكرته فى كتاب فصول السنن بأن العرب تُضيف الاسم إلى الشيء للقرب من النقام ، وتنفى الاسم عن الشيء للنقص من الكمال ، فلما كان الغالب على المرء أن لا يكون حلِيا حتى يكون ذا عَثْرَةٍ نفى النبى صلى الله عليه وسلم اسم الحلِيم عن لم يكن بذى عَثْرَةٍ ، لنقصه عن الكمال .

فالحلِيم : عظيم الشأن ، رفيع المكان ، محمود الأمر ، مرضى الفعل .  
والحلم : اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى مانهى عنه .  
فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت ، ولم يقرن شىء إلى شىء .  
أحسن من غفوَ إلى مقدرة .

والحلم أجهل ما يكون من المقتدر على الانتقام .  
ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ببغداد حدثنا يحيى

ابن معين قال : حدثنا الحسن بن واقع عن ضمرة قال : « الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تبارك وتعالى تسمى به » .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زحجي البغدادي .

ألم تر أنَّ الحليمَ زينٌ مسودَّ لصدقه والجهلُ لفره شائن  
فسكر دافئاً للشر بالخير تسرح من الهمة ، إن الخير للشر دافن  
وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة فيالحلمُ سُدَّ ، لا باتسرع والشم  
وللحلم خيرٌ - فاعلمن - مقبلة من الجهل ، إلا أن تشرسن من العلم <sup>(١)</sup>  
وأشدني علي بن محمد البسامي :

فأرض بما حَمَّ من قضاء يُصنِّك من ذلك الخيار  
وعش حيداً ، رخي بال ملوأك الحلم والوقار

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من نفاة اسم « الحلم » وارتفاع قدره ، أن الله جل وعلا تسمى به ، ثم لم يُسمَّ بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله وإسحاق ذبيحه ، حيث قال : ( ٩ : ١١٤ ) إن إبراهيم لأوَّاه حليم ) وقال : ( ٣٧ : ١٠١ ) فبشرناه بسلام حليم <sup>(٢)</sup> .

(١) يعنى أن الظلم المعتدى لا يناسب الحلم معه ، فلا ينبغي أن يعامل إلا بالشراسة التي تردعه .

(٢) هذه الآية من سورة الصافات ، والسياق فيها واضح جداً بأنه إسماعيل ، فإنه سبحانه وتعالى بعد أن ساق قصة النبي وصبره وأبيه ورضاهما التام عن ربهما وأمره ونجاحهما في هذا البلاء العظيم قال تعالى ( ٣٧ : ١٠٩ - ١١٣ ) سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ) =

ولو لم يكن في الحلم خصلة محمد إلا ترك اكتساب المعاصي ، والدخول في  
المواضع الدنسة لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى  
استعماله سبيلا .

والحلم : سَحِيَّة ، أو تجربة ، أو هما .

حدثنا أبو حمزة محمد بن عمر بن يوسف حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي .  
حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان  
يقول « لا حلم إلا بالتجربة » .

وأنشدني المنصور بن بلال الأنصاري :

صافير الصديق يؤدّه وإذا دنا شبراً فزده  
واحلم إذا تعلق السفيه ، فمن يردّ جهلاً يحجمه  
أنا أنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانة  
عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال « إنما العلم بالتعلم ،  
وإنما الحلم بالتحلم ، ومن يتوخّ الخير يُعطه ، ومن يتوق الشر يُوقه » .  
وأنشدني الكريزي :

إذا أنا كافيت الجهول بفعله فهل أنا إلا مثله إذا أحاوره ؟  
ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش على ، فإني بالتعلم قاهره  
أنا أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار حدثنا يحيى بن معين حدثنا عثمان  
ابن صالح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، أن رجلاً كتب إلى أخ له :  
اعلم أن الحلم لبس العلم فلا تفرّ منهُ .

== والمعجب العاجب أن يخفى هذا على ابن حبان وغيره حتى يقولوا : إن الديبج  
إسحاق ، مقلدين في ذلك من غير بيان حجة ، ثم غافلين عن النصوص القرآنية الصريحة  
وبالأخص في هذه السورة بهذا السياق البين .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ، فإن صعب ذلك عليه فليتحلم ، لأنه يرتقى به إلى درجة الحلم .

وأول الحلم : المعرفة ، ثم الثبات ، ثم العزم ، ثم التصبر ، ثم الصبر ، ثم الرضا ، ثم الصمت والإغضاء ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء ، فأما من أحسن إلى المحسن ، وحلم عن لم يؤذه ؛ فليس ذلك بحلم ، ولا إحسان .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا إسحاق بن زكريا حدثنا عبد الصمد ابن حسان حدثنا أبو عمر اللاتى عن وهب بن منبه أنه قال : يابى لا تجادلن العلماء فتهون عليهم فيرفضوك ، ولا تمارين السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ، فإنه يلحق بالملاء من صبر ورأى رأيهم ، وينجو من السفهاء من صمت وسكت عنهم ، ولا تحسبن أنك إذا ماريت ألقية إلا زدت غيظاً دائياً ، ولا تحمين من قليل تسمعه فيوقعك في كثير تكرهه ، ولا تغضن نفسك لنشوى غيظك ، فإن جهل عليك جاهل فليغضن إياك حلمك ، وإنك إذا لم تحسن حتى يحسن إليك فما أجرك ، وما فضلك على غيرك ؟ فإذا أردت الفضيلة فأحسن إلى من أساء إليك ، واعف عن ظلمك ، وانفع من لم ينفعك ، وانتظر ثواب ذلك من قبل الله ، فإن الحسنه الكاملة التي لا يريد صاحبها عليها ثواباً في الدنيا .

وأنشدنى محمد بن حبيب الواسطى :

إذا المرء لم يصرف عذاباً من الأذى      حياء ، ولم يغفر لأخرق مذنب  
فلم يصطع إلا قليلاً صديقه      ومن يدفع العوراء بالحلم يغلب  
وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

احفظ لسانك إن قبيت مشاعراً      لا تجرّين مع اللثيم إذا جرى  
من يشتري عرض اللثيم بعرضه      يحوى الندامحين يقبض ما اشترى

أبنا إبراهيم بن نصر العنبري حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم  
ابن رستم قال: سمعت ابن المبارك يقول: دعانا عبد الله بن عون إلى طعامه، فكنا  
نأكل، فجاءت الخادم وممها صحيفة ففترت في ثوبها، فسقطت الصفحة من يدها  
فقال لها ابن عون: متراًس آزادی<sup>(١)</sup>

حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا الغلابي، حدثنا ابن عائشة قال: قال محمد بن  
السمدى لابنه عروة، لما ولى اليمن: إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك، وإلى  
الأرض تحتك، ثم عظم خالقهما.

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الواجب على الماقل، إذا غضب واحتد أن  
يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه وتعديه حرمايه، ثم يحلم،  
ولا يخرج غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي.

والناس على ضربين ثلاثة: رجل أعز منك، ورجل أنت أعز منه، ورجل  
ساواك في العز؛ فالجاهل على من أنت أعز منه لؤم، وعلى من هو أعز منك  
جئف، وعلى من هو مثلك هراش كهراش السكبين، وتغار كنفار الديكين،  
ولا يفترقان إلا عن الخدش والتقر والهجر، ولا يكاد يوجد التجاهل وترك  
التعالم إلا من سفيين، ولقد أحسن الذي يقول:

ما تمَّ حلمٌ ولا علمٌ بلا أدبٍ ولا تجاهلٌ في قوم حليانٍ  
وما التجاهل إلا نوبٌ ذى دَسٍّ وليس يلبسُهُ إلا سفينان  
وأنشدني ابن زنجي البغدادي:

وما شيء أسرُّ إلى لئيمٍ إذا شتم الكرام من الجواب  
مشاركة اللئيم بلا جواب أشدُّ عليه من مؤرِّ العذاب

(١) معناه بالفارسية: لا تخافي، أنت حرة.

وَأَشَدِّي الْكَرِيْزِي :

تَجَرَّدَ مَا اسْتَطَعَتْ مِنَ السَّفِيهِ بِحَسَنِ الْحِلْمِ ، إِنَّ الْعَزَّ فِيهِ  
فَقَدْ يَمَعُ السَّفِيهِ مُؤَدِّيهِ وَيُتَرِّمُ بِاللَّجَاجَةِ مِنْصِفِيهِ (١)  
تَلِيْنٌ لَهُ فَيُفَاطِظُ جَانِبَاهُ كَعَمْرِ السَّوَاءِ يَرْمَحُ عَالِيَهُ (٢)  
أَنْبَاءُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْقَزَازِ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ الْكُوفِيُّ ، حَدَّثَنَا  
عَمْرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَرَجُلٍ  
يَشْكُو رَجُلًا عِنْدَهُ ، قَالَ لِي كَذَا ، وَفَعَلَ لِي كَذَا ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : مَنْ أَكْرَمَكَ  
فَأَكْرَمَهُ ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِكَ فَأَكْرَمَ نَفْسَكَ عَنْهُ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَاضٍ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ ،  
وَمَا عُدِمَ شَيْءٌ فِي شَيْءٍ هُوَ أَوْحَشُ مِنْ عَدَمِ الْحِلْمِ فِي الْعَالَمِ ، وَلَوْ كَانَ لِلْحِلْمِ أَرْوَانُ  
لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ وَالْآخَرُ الصَّمْتُ ، وَرَبَّمَا يُدْفَعُ الْعَاقِلُ إِلَى الْوَقْتِ بَعْدَ  
الْوَقْتِ إِلَى مَنْ لَا يُرْضِيهِ عَنْهُ الْحِلْمُ وَلَا يَقْنَعُهُ عَنْهُ الصَّفْحُ ؛ فَيُتَنَذَرُ بِحَتَّاجٍ إِلَى سَفِيهِ  
يَنْتَصِرُ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ تَرَكَ الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مِنَ الْحِلْمِ .

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ النَّذَرِ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
ابْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَنَّ رَجُلًا اسْتَطَالَ عَلَى  
سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى ، فَسَكَتَ لَهُ سُلَيْمَانُ وَانْتَصَرَ لَهُ أَخُوهُ ، قَالَ : فَقَالَ مَكْحُولٌ : ذَلَّ  
مَنْ لَاسَفِيهِ لَهُ .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، حَدَّثَنَا الْغُلَاقِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لِشَيْطَانِ الطَّاقِ (٣) : مَا تَقُولُ فِي التَّمَةِ ؟

- 
- (١) أَرَمَهُ بِاللَّجَاجَةِ : أَيْ غَاظَهُ بِكَثْرَةِ الْمَاحِلَةِ وَالتَّهَادِي فِي السُّفْهِ وَالْجَهْلِ . وَجُ فِي  
الْأَمْرِ : أَوْغَلَ فِيهِ وَزَادَ . (٢) الْعَمْرُ : الْحَمَارُ ، وَرَمَحَ : يَمْنَى رَفَسَ .  
(٣) شَيْطَانُ الطَّاقِ : شَاعِرٌ رَافِضِيٌّ مَشْهُورٌ .

قال : حلال ، قال : فَيَسْرُكُ أَنْ أَمَلَكَ تَزَوَّجْتَ مَتْعَةً ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ :  
يَا أَبَا حَنِيفَةَ : مَا تَقُولُ فِي التَّبَيُّدِ ؟ قَالَ : حَلَالٌ ، قَالَ : وَشَرِبَهُ وَبَيَّعَهُ وَشَرَاؤُهُ ؟  
قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَيَسْرُكُ أَنْ أَمَلَكَ نَبَاذَةً ؟ قَالَ : فَسَكَتَ عَنْهُ أَبُو حَنِيفَةَ .

أَشَدُّهُ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَسَامِيِّ :

إِذَا كَفْتَ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْجَهْلِ قَاعِدًا      وَخَيْرْتُ : أُنَى شِلْتِ ، فَالْحِلْمُ أَفْضَلُ  
وَلَكِنْ إِذَا أَنْصَفْتَ مِنْ لَيْسَ مِنْصَفًا      وَلَمْ يَرْضَ مِنْكَ الْحِلْمُ ، فَالْجَهْلُ أَفْضَلُ

وَأَشَدُّهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ الْوَاسِطِيُّ :

إِذَا أَمِنَ الْجَهْلُالُ جَهْلَكَ مَرَّةً      فَعَرَضَكَ لِلْجَهْلِالِ غُفْمٌ مِنَ الْغُفْمِ  
فُغْمٌ عَلَيْهِ الْجَهْلُالُ وَالْحِلْمُ وَالْقَهْ      بِمَرْتَبَةٍ بَيْنَ السَّادَةِ وَالسَّلَمِ  
فَيَرْجُوكَ تَارَاتٍ ، وَيَحْشَاكَ قَارَةً      وَتَأْخُذُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بِالْحِلْمِ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَثَانَ الْعَقَبِيُّ ، حَدَّثَنَا يُزِيدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الدَّمَشْقِيُّ ، حَدَّثَنَا  
أَبُو مَسْهَرٍ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ : لَاحِلٌ لِمَنْ لَاجَاهِلٍ لَهُ .  
وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا الْعَلَاءِيُّ ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ سَابِقٍ قَالَ : قَالَ  
لِلْأَمُونِ : يَحْسَنُ بِالْمُلُوكِ الْحِلْمُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ ، إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةٍ : قَادِحٍ فِي مَلِكٍ ، أَوْ  
مَذْبِيعٍ لِسَرٍّ ، أَوْ مُتَعَرِّضٍ لِحُرْمَةٍ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْحِلْمُ عَلَى ضَرْبَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : مَا يَرُدُّ عَلَى النَّفْسِ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مِنَ الصَّائِبِ الَّتِي امْتَحَنَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ  
فَيَصْبِرُ الْعَاقِلُ تَحْتَ وَرُودِهَا ، وَيَحْلُمُ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِأَهْلِ الْعَقْلِ .  
وَالْآخَرُ : مَا يَرُدُّ عَلَى النَّفْسِ بِضَدِّ مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الْخُلُوقِ ، فَمَنْ تَعَوَّدَ الْحِلْمَ فَلَيْسَ  
بِحَاجٍ إِلَى التَّصْبِرِ ، لِاسْتَوَاءِ الْعَدَمِ وَالْوُجُودِ عِنْدَهُ .

كَأَنَّ حَدَّثَنَا أَبُو حَمزة مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَأْدٍ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ  
الدُّوْرَقِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْمُجَلِّيُّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي عَثْبَةَ يَقُولُ :



قيل للأحنف بن قيس التميمي : ممن تعلّمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم التميمي ، أنه أتى وهو محتجب ، فقال : ابن أخيك قتل ابنك ! قال : عصي ربه ، وقتّ عضده ، وقطع رحمه ، جهزوه ، وما حلّ ذبونه ، فنه تعلّمت الحلم .

حدثنا محمد بن شاذل الهاشمي ، حدثنا أحمد بن الخليل البغدادي ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا عبد الله عن جعفر بن سليمان قال : كانت امرأة بالبصرة متعبة تصيبها المصائب ، فتنكر من صبرها ، حتى أصابها مصيبة موجعة ، فصبرت ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : ما من مصيبة تصيبني فأذكر معها النار إلا صارت في عيني مثل التراب .

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة ، حدثنا عمرو بن إسحاق بن خلاد الجهمي ، حدثنا خالد بن خدّاش ، حدثنا ابن وهب عن بكر بن مضر قال : كان أبو الهيثم مات ولده ، وبقى له بنتان صغيرتان ، فأتاه إخوانه يعزونه وهو في ناحية السجد ، فقال لهم : تركنن يوم القيامة لا آسى على شيء فأننى ، ولا أفرح لما أتانى .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا القاسم بن الحسن الزبيدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : مات ابن لشریح ، فلم يصيحوا عليه ، ولم يشعروا به أحد ، فقيل له : يا أبا آمنه ، كيف هو ؟ قال : قد سكن عذره <sup>(١)</sup> ورجاه أهله ، ولم يكن منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

### ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكرهية العجلة فيها

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيرة ، حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملكة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى <sup>(٢)</sup> العاز - محرقة - قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمختضر .

حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَمَنْ مُنِعَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ مُنِعَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها : إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ، ومن منيع الرفق منع الخير ، كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ، ولا يكاد المرء يشك من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحبُّ إلى بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة.

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى :

الرفق مما سيليقي اليمنَ صاحبهُ      وألحق منه يكون العنف والزلا  
والحزم أن يتأني المرء فرصته      والكف عنها إذا ما أمكنت قتلُ  
والبرُّ لله خير الأمر عاقبةً      والله للبرِّ عونٌ ماله مثل  
خير البرية قولاً خيروهم عملاً      لا يصلح القول حتى يصلح العمل

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

الرفق أيمن شيء أنت تتبعه      وألحق أشأم شيء يقدم الرجل  
وذو التثبت من حمد إلى ظفر      من يركب الرفق لا يستعجب الزلا  
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن خلف البسامي عن أحمد

ابن موسى الأزرق أنه أنشده :

وزن الكلام إذا نطقت ، فإنما      يبدى القول أو الميوب للنطق  
لا ألتفتك ناويا في غربة      إن القريب بكل سهم يرشق  
لو سار ألف مدجج في حاجة      لم يقضها إلا الذي يترفق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الرفق في الأوقات ، والاعتدال في الحالات ؛ لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب ، كما أن النقصان فيها يجب

من المطلب عجز ، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف ، ولا دليل أمر من رفق ،  
كما لا يظهر أوتق من العقل ، ومن الرفق يكون الاحتراز ، وفي الاحتراز ترجى  
السلامة ، وفي ترك الرفق يكون الخرق ، وفي لزوم الخرق تخاف المهلكة .  
ولقد أنشدنى الأبرش :

عليك بوجه القصد ، فاسلك سبيله      ففي الجور إهلاك ، وفي القصد ملك  
إذا أنت لم تعرف لنفسك قدرها      تحمّلها ما لا تطيق قهرها  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الرافق لا يكاد يسبق ، كما أن التعجل لا يكاد  
يتأخر ، وكما أن من سكت لا يكاد يندم ، كذلك من نطق لا يكاد يسلم ،  
والتعجل يقول قيل أن يعلم ، ويحجب قيل أن يفهم ، ويحمد قيل أن يعز ،  
ويذم بعد ما يحمد ، يعزم قيل أن يفكر ، ويتضي قيل أن يعزم ، والتعجل تصحبه  
الندامة ، وتتمتره السلامة ، وكانت العرب تسكنى العجلة أم الندامات .  
ولقد أنشدنى بعض أهل العلم :

العجز ضرٌّ ، وما بالخزم من ضرر      وأحزم الخزم سوء الظن بالناس  
لا تترك الخزم في أمر تحاذره      فإن أمنت فما بالخزم من بأس  
أخبرنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال :  
كان يقال : لا يوجد المجول محموداً ، ولا المضروب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ،  
ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملل ذا إخوان .  
وأنشدنى محمد بن عبد الله البتادي :

إذا ما أتيت الأمر من غير ما به      نصّبت ، حتى لا ترى فيه مرقى  
وإن الذي يصطاده الفتح إن عتا      على الفتح كان الفتح أعنى وأصبقا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العجلة تسكون من الحدة ، وصاحب العجلة  
إن أصاب فرصته لم يكن محموداً ، وإن أخطأها كان مذموماً ، وللعجل لا يسير

إلا منا كبا للنصد ، منحرفا عن الجادة ، يلتبس ما هو أسكد وأوعر وأخفى مسارا ، يحكم حكم الورهاء ، ويناسب أخلاق النساء .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا مهدي بن سابق قال : قال خالد بن برمك : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به كبير مكروه : العجلة ، واللجاجة ، والمُجب ، والتواني ، فمرة العجلة الندامة ، ومرة اللجاجة الحيرة ، ومرة المجب البغضة ، ومرة التواني الدل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ؛ لأن الزلل مع العجل ، والإقدام على العمل بعد التأني فيه أحزم من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه ، ولا يكون العجل محموداً أبداً ، والماعقل يعلم أن العجز في الأمور يقوم في النقص مقام الإفراط في السى ، فيتجنبهما معاً ، ويجعل لنفسه مسلكاً بينهما .

ولقد حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثني إبراهيم بن عاصم قال : سمعت صدقة يقول : سمعت الشمر دل يقول : نكح العجز التواني ، فولد الندامة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب التجاح ترك التواني ، ودوامي الحرمان الكسل ؛ لأن الكسل عدو المروءة ، وعذاب على الفتوة ، ومن التواني والعجز أنتجت الملركة ، وكما أن الأناة بعد القرصة أعظم الخطأ كذلك العجلة قبل الإمكان نفس الخطأ ، والرشيد من رُشد عن العجلة ، والغائب من خاب عن الأناة ، والعجل مخطيء أبداً ، كما أن المثبت مصيب أبداً .

وحدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا محمد بن الحسن المصرى حدثني نسيم ابن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال : كتب عمرو إلى معاوية يماثبه في التاني « أما بعد ، فإن التضم في الخير زيادة ورشد ، وإنه من لا ينفعه الرفق

بضره الخرق ، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعاني - أو قال : المعالي - ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حله جهله ، وتصبره شهوته ، ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم» .

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

بُنِي ، إِذَا مَاسَاكَ الضَّرْفَانِ  
فَلَرَفُّ أَوَّلَى بِالْأَرِيْبِ وَأَحْزَرُ

فَلَا تَحْمِيْنُ عِنْدَ الْأُمُورِ تَعَزُّزًا      فَقَدْ يُوْرِثُ الذِّلَّ الطَّوِيلُ التَّعَزُّزَ

أخبرني محمد بن المنذر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن أيوب قال : قال أكنم بن صبيح : ما يسرنى أنى نزلت بدار معجزة فأنمت وألبنت<sup>(١)</sup> . قيل له : لم ؟ قال : لأنى أخاف أن أتخذ المعجز عادة .

أنشدني المنتصر بن بلال :

وَعَلَيْكَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ صُمُوءَةٌ      وَالرَّفْقُ لِلِاسْتِصْمِيَاتِ مَدَانُ

وَبِحَسَنِ عَقْلِ الْمَرْءِ يَثْبُتُ حَالُهُ      وَعَلَى الْمَغَارِسِ تَشْرُ الْعِيْدَانُ

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عبد الله بن عياش عن أبيه قال : شهد أعرابي عند معاوية بشهادة ، فقال معاوية : كذبت ، فقال الأعرابي : إِنْ الْكَذَابَ لَمَّا تَرَمَّلَ فِي ثِيَابِكَ ، فقال معاوية : هذا جزاء من يعجل .

ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة

حدثنا الحسين بن إدريس الأنصاري أنبأنا أحمد بن أبي بكر عن مالك عن

زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من

البيان لسجرا »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد شبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر

(١) أسمنت : صرت ذا سنن ، وألبنت : صرت ذا لبن .

البيان بالسر : إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته والقصيح الذربُ اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه ، فالأنفس تكون إليه تائفة ، والأعين إليه راققة .

ولقد حدثنا أبو خليفة حدثنا أبو محمد التوزي النحوي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا حيان بن علي قال : سمعت ابن شبرمة يقول : ما رأيت لباساً على رجل أحسن من فصاحة ، ولا على امرأة من شحم ، وإن الرجل ليتكلم فيعرب ، فكان عليه الخمر الأدكن ، وإن الرجل ليتكلم فليحن فكان عليه أسماً<sup>(١)</sup> ، إن أحببت أن يصغر في عينك الكبير ، ويكبر في عينك الصغير : فعمل النحو .  
وأنشدني الكريزي :

أكرم بذى أدب ، أكرم بذى حسب	فإنما العزم في الأحساب والأدب
والناس صنفان : ذو عقل ، وذو أدب	كمدن القضة البيضاء والذهب
وسائر الناس من بين الوري ههيج	كانوا موالى ، أو كانوا من العرب

وأنشدني البسامي :

ليس المسود من المال سؤدده	بل المسود من قد ساد بالأدب
لأن من ساد بالأموال سؤدده	مادام في جمع ذا الأموال والنشب
إن قل يوماً له مال يصير إلى	هون من الأمر في دل وفي تعب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الفصاحة أحسن لباس يليه الرجل وأحسن إزار يترز به العاقل ، والأدب صاحب في القرية ، ومؤنس في القلة ، وزين في الحافل ، وزيادة في العقل ، ودليل على المروءة ، ومن استفاد الأدب في حدانته انتفع به في كبره : لأن من غرس قسيلاً<sup>(٢)</sup> يوشك أن يأكل رطبها ، وما يستوى عند أولى النعمى ، ولا يكون سيان عند ذوى الحجبى ؛ رجلا ن : أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن .

(١) الأسما : الثياب البالية . (٢) القسيل : صغار النخل .

ولقد حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي حدثنا أبو داود حدثنا  
عبد الله بن بكر بن حبيب حدثنا أبي عن سالم بن قتيبة قال : كنت عند  
ابن هيرة فخرى الحديث ، حتى ذكروا العريية ، فقال : والله ما استوى رجلان  
حسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن ، إلا أن  
أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن ، قال فقلت : أصلح الله الأمير ! هذا  
أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعرييته ، أرايت الآخرة ما باله فُضِّل فيها ؟ قال :  
إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل ، والذي يلحن يحمله لحسه على أن يدخل في  
كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال قلت : صدق الأمير وبراً !  
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أيها الطالب فخرًا بالنسب إنما الناس لأنم ولأب  
هل تراهم خلقوا من فضة أو حديد أو نحاس أو ذهب ؟  
أو ترى فضلهم في خلقهم هل سوى لحم وعظم وعصب ؟  
إنما الفضل بحلم راجح وبأخلاق كرام وأدب  
ذاك من فخر في الناس به فاق من فخر منهم وغلب  
وأنشدني محمد بن نصر بن نوفل أنشدني عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام  
مسجد مكة :

ما حلة نُسجت بالدُر والذهب إلا وأحسن منها المرء بالأدب  
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أحمد بن محمد السروقي حدثنا محمد بن  
الحسين البرجلاني حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبد الله بن سلمة بن مرداس عن  
أبيه قال : قال لي رجل من حكام القرس : أقرب القرابة للمودة الدائمة ، وأفضل  
ما ورث الآباء الأبناء حسن الأدب .  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : أفضل ما ورث أب ابناً ثناء حسن وأدب نافع ،  
والحرص عندي خير من البيان بالكذب ، كما أن المحصور خير من العاهر .

فيجب على العاقل أن يذكى قلبه بالأدب ، كذا يذكى النار بالحطب ؛ لأن من لم يذكى قلبه رآه حتى يَسْوَدَ ، ومن تعلم الأدب فلا يتخذ المهاراة عُدَّةً ، ولا المهاراة ملجأً ، ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه ، وليستعين به على ما يقربه إلى بارئه .

ولقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أدبُ المرء كلهم ودمر ماحواه رجل إلاَّ صلح  
لو وزتم رجلاً ذا أدب بأنوف من ذوى الجهل رجح  
أنياباً أحمد بن بشر الكرجي حدثنا محمود بن الخطاب حدثنا رُسْتَمَةُ  
عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ماندست على شيء  
ندامتى أنى لم أنظر في العربية .

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي يقول : سمعت ابن أخي  
الأصمعي يقول : سمعت عبي يقول : تعلموا النحو ، فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة  
واحدة ، كانت مشددة فحففوها ، قال الله « يا عيسى إني ولَدْتُكَ » فقرأوا يا عيسى  
إني ولَدْتُكَ مخفف فكفروا .

حدثنا الحسن بن إسحاق الإصبهاني حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح  
حدثنا أبو زيد النحوي قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : ما تقول في رجل  
ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، قال الرجل : فما لأباه ولأخاه ؟  
قال : الحسن فما لأبيه ولأخيه ؟ فقال الرجل : كلما تابعتك خالفت .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا زينة أحسن من زينة الحسب ، كما أن من  
أجل الجلال استعمال الأدب ، ولا حسن لمن لا أدب له ، ومن كان من أهل  
الأدب ممن لا حسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأوصاف ؛ لأن حسن الأدب  
خَلَفَ من الحسب ، وليست التفاضل إلا إصافة للمعنى والتقص ، ولا البلاغة



إلتصحيح الأقسام واختيار الكلام ، ومن أحمد الفصاحة للاقتدار عند البداهة والفرارة عند الإطالة ، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة ، وحسن الإشارة .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت الأصمعي يقول : ليست البلاغة بحفة لسان ، ولا كثرة الهذيان ، ولكن بإصابة المعنى والتقص إلى الحاجة ، وإن أبلغ الكلام ما لم يكن مالتروى المجذع ، ولا البدوى للمرب .  
وأشدنى الكريزي :

ولم أر فضلاً ممَّ إلا بشيمة ولم أر عقلاً صح إلا على أدب  
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لتقل المرء أعدى من النضب  
حدثنا عمر بن محمد حدثنا القنابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي قال : قال المدائني : ذكر عند علي بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل ، فقال : إني لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر ، والزر جرد الأخضر والياقوت الأحمر ، إلا أن بعضه أفضل من بعض ، ومنه ما يكون مثل الخروف والحجر والزباب واللدبر ، وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل العلم ؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث ، وخوضهم في أنواع العلوم .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول : سمعت أبا داود السنجي أو حدثني سهل بن هاني عنه ، قال : سمعت الأصمعي يقول : إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كذب على متصدأً فليتبوأ مقعده من النار » ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لحانا ، ولم يلحن في حديثه ، فها رويت عنه ولحن فيه كذبت عليه .

وَأَشَدُّنِي ابْنَ زَنْجِي الْبَغْدَادِي :

لَيْسَ الْفَقِي كُلُّ الْفَقِي إِلَّا الْفَقِي فِي أَدَبِهِ

وَبَعْضُ أَخْلَاقِ الْفَقِي أَوَّلِي بِهِ مِنْ نَسَبِهِ

حَتَّفُ امْرِي لِسَانَهُ فِي جَدِّهِ أَوْ لَعِبِهِ

بَيْنَ اللَّهِ مَقْتَلُهُ رُكْبَ فِي مَرْكَبِهِ

سمعت أحمد بن الخطاب بن مهران يتسقى يقول : سمعت عثمان بن خُزَّادَ

يقول : سمعت علي بن الجعد يقول : سمعت شعبة يقول : مثل الذي يطلبُ

الحديث ولا يعرف التحوم مثل المأبأة عليها الخلالة ، ليس فيها شيء .

### ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين ابن بنت الحسن بن عيسى بن ماسر جيس

حدثنا جدي حدثنا ابن المبارك أنبأنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن

أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال « يا عمرو نِعِمَّا الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر يصرح عن النبي صلى الله عليه وسلم

بإباحة جمع المال من حيث يجب ، وبحل القائم فيه بحقوقه ، لأن في تقريره

الصلاح بالمال والرجل معاً بياناً واضحاً ، لأنه إنما أباح في جمع المال الذي

لا يكون محرم على جامعِهِ ، ثم يكون الجامع له قائماً بحقوق الله فيه ، ولقد

ذكرت هذه المسألة بتمامها بالعلل والحكايات في كتاب « الفضل بين الفنى والفقير »

بما أرجو الغنية فيها لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها

في هذا الكتاب .

أَشَدُّنِي مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَرِيزِيُّ :

إذا كان ما جئمت نيس بنسافع فانت وأقصى الناس فيه سواء  
على أن هذا خارج من أئمة وأنت الذي تجزي به وتساء  
أنياباً محمد بن سليمان بن فارس حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا  
أبو عبيد حدثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث  
عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ، فقال : عليكم  
بالمال واصطناعه فإنه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، ولما كنتم مسألة  
الداس : فليتها آخر كسب الرجل .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من أحسن ما يفتضح للمرء [ به ] في عمره وبعد  
المات تقوى الله والعمل الصالح .

فالأوجب على العاقل أن يعمل في شبابه فيما يقيم به أودُهُ ، كالشيء الذي  
لا يفارقه أبداً ، وفيما يصلح به دينه كالشيء الذي لا يجده غداً ، وليكن تعاهدُهُ  
لما لا يصلح به معاشهُ ، ويصون به نفسه ، وفي دينه ما يقدّم به لآخره ، ويرضى  
به خالفه ، والعاقبة خير من الفنى بالحرام ، والفنى الذي لا مروءة له أهون من  
الكسب ، وإن هو طَوَّقَ وَخُذِّلَ .

حدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا عمران بن موسى بن أيوب حدثني أبي  
حدثني عيسى بن يونس عن محمد بن سُوقة عن عماد بن النكدر قال : نعم العون  
على تقوى الله الفنى .

وأشدني على بن محمد البسامي :

أرى كل ذي مال يسود بهاله وإن كان لا أصل هناك ولا فصل  
وأخر منسوباً إلى الرأي خملالا وأتوك مجهولاً ، له الجاه والنبل  
فلا ذا بفضل الرأي أدرك بلفه ولم أر هذا صرّه النوك والجمل

وأشدني منصور بن محمد السكري ليحيى بن أكرم :

إذا قَلَّ مال المرء قَلَّ بهأوه وضافت عليه أرضه وسأوه  
وأصبح لا يدرى، وإن كان حازماً أقْدأه خير له أم وراؤه  
ولم يعض في وجهه من الأرض واسع من الناس إلا ضاق عنه فضاؤه  
وأصبح مردوداً عليه مقالته وكان به قد يَتَدى خطبأوه  
وإن يبق لم يَضُرْ عذواً بقاؤه وإن يَتَنَ لم يفقد خيراً فَنَأوه  
حدثني محمد بن المهاجر حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن سليمان بن أبي  
شيخ حدثني الزبيرى قال : مر عمر بن الخطاب بمحمد بن مسلمة وهو يرس  
وَدِيًّا<sup>(١)</sup> . فقال : ما تصنع يا ابن مسلمة ؟ قال : ما ترى ، أستغنى عن الناس ، كما  
قال صاحبكم أحيحة بن الجلاح :

استغن ، أو مت ، فلا يغزرك ذونشب من ابن عم ، ولا عم ، ولا خال  
إني أظُلُّ على الزوراء أعمرها إن الحبيب إلى الإخوان ذو اللال  
أنيانا محمد بن المنذر حدثنا علي بن عبد الرحمن عن عبدان قال : دخلت على  
عبد الله المبارك ، وهو يبكي ، فقلت له : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بضاعة لي  
ذهبت ، قال : قلت : أو تبكي على اللال ؟ قال : إنما هو قوام ديني .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أسعد الناس من كان في غناه غنياً ،  
وفي مسكنته فقراً ؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد بُدًّا من ترك الحياء ، والفقر  
يذهب العقل والروء ، ويذهب العلم والأدب ، وكاد الفقر أن يكون كفراً ،  
ومن عُرِفَ بالفقر صار مَعْدِنًا للتهمة ، ومجماً للبلايا ، اللهم إلا أن يرزق المرء قلباً  
نقياً فقراً ، يرى الثواب المَدخِر من الضجر الشديد ، فيفتنذ لا يبالى بالمال بأسرهم

والدنيا وما فيها ، والقر داعية إلى المساناة ، كما أن الغنى داعية إلى المهاباة ، ولقد أحسن الذى يقول :

يغضى عيوب المرء كثرة ماله      وصدق فيما قال ، وهو كذوبُ  
ويزرى بعقل المرء قلة ماله      يحمقه الأقوام وهو ليبُ  
أنبا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي حدثنا الثوري بن قادم حدثنا حماد بن زيد  
عن أيوب قال : قال لى أبو قلابة : يا أيوب ، الزم سوقك ؛ فانك لا تزال كريما  
على إخوانك ما لم تحتج إليهم .

وأنشدنى العمى أنشدنى محمد بن خلف التيمي بالكوفة :

كأنَّ مُقِلًّا حين يغدو لحاجة      إلى كل من يلقى من الناس مذنبُ  
وكان بنو عمى يقولون : مرحبا      فلما رأوى مُعْدِمًا مات مرحبُ  
وأنشدنى السكري :

لعمرك ، إن المال قد يحمل القى      نسيبا ، وإن الفقر بالمرء قد يُزرى  
ولا رفع النفس الدنيئة كالغنى      ولا وضع النفس السكرية كالفقر  
حدثنا محمد بن يحيى العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن  
زيد حدثنا أيوب قال : قال لى أبو قلابة : الزم السوق ؛ فإن الغنى من العافية .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ليس خلة هى للغنى مدح إلا وعى للفقير عيب ؛  
فإن كان الفقير حليما قويا : بليدا ، وإن كان عاقلا قويا : مكارا ، وإن كان بليغا  
قويا : مهذرا ، وإن كان ذكيا قويا : حديدا ، وإن كان صموئا قويا : عيبى ، وإن  
كان متأنيا قويا : جبان ، وإن كان عارما قويا : جريء ، وإن كان جوادا  
قويا : مسرف ، وإن كان مُعَدِّرا قويا : ممسك .

وشر المال ما اكتسب من حيث لا يَحِيلُ وأنفق فيما لا يَجْمَلُ ، ووجوده

وعدمه لينا بتجلد ولا بكثرة حيلة ، ولكنه أقسام ومواهب من الخلاق العظيم<sup>(١)</sup>  
ولقد أنشدني الأبرش :

يشقى رجالٌ ، ويشقى آخرون بهم      ويسعدُ الله أقواما بأقوام  
وليس رزق الصق من حُسْن حيلته      لكن جُدود بأرزاق وأقسام  
كالصيد يُحرّمه الراى المجيد ،      يرمى فيُرزقه من ليس بالراى

حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا أحمد بن داود بن موسى المطار حدثنا  
أحمد بن نصر المديني حدثنا المديني قال : قال أبو قيس بن معدى كرب ، وكان  
له أحد عشر ذكرا : يا بني ، اطلبوا هذا المال أجل الطلب ، واصرفوه في أحسن  
مذهب ، صلوا به الأرحام ، واصطنعوا به الأقوام ، واجعلوه حنة لأعراضكم  
تحسن في الناس فألكم ، فإن جمعه كمال الأدب ، وبذله كمال الروء حتى إنه  
ليسود غير السيد ، ويقوى غير الأيد ، وحتى إنه ليكون في أنفس الناس نبيا ،  
وفي أعينهم مهيبا . ومن جمع مالا فلم يصن عرضا ، ولم يعط سائلا ، بحث الناس  
عن أصله ؛ فإن كان مدخولا هتكوه ، وإن كان صحيحا نسبوه إما إلى عرض  
دنية ، وإما إلى كوص<sup>(٢)</sup> لئيم حتى يهتجئوه .

(١) فإذا كان كذلك فما بال أبي قلابة يقول « الزم سوقك فإن النى من  
العافية » ؟ نعم هوهبة من الخلاق العظيم ، ولكن الخلاق العظيم هو سبحانه  
الخير الحكيم ، الذى جعل لكل شىء سببا ، ودعا الإنسان إلى الأخذ بأسباب  
ماسخر له في السموات والأرض ، متوكلا على الله ، شارعا إليه أن يديم عليه التوفيق  
لهذه الأسباب ، والإحسان فيها والتقدير لها ، وشكرها لمسديها ، والله يقول ( من  
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخون )

(٢) في اللسان : لاصه بينه لوصا ، ولاوصه : طالعه من خلل أو ستر . وقبل :  
اللاوصة النظر بمنة ويسرة ، كأنه يروم أمرا — إلى أن قال — والإنسان بلاوص =

حدثنا مطهر بن يحيى بن ثابت بواسط حدثنا سنان القطان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال « سمع رجل صوتا في غمام : اذهبي إلى أرض فلان ، فاسقيه قال : فقال الرجل : لآتين فلانا هذا فلأنظرون ما يعمل في أرضه ، فأتاه وقد مُطر فيها وهو قائم يفتح الأوعي ، قسّم عليه ، وقال : يا عبد الله ، أخبرني ما تعمل في أرضك هذه ؟ قال : أنظر إل ما أخرج الله منها ، فأرد فيها ثلثه ، وأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وبعالي ثلثه . قال علقمة : فكأن ابن مسعود يبشئني إلى أرض له يرازان أعمل فيها مثل ذلك » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن شر المال مالا يُخرج منه حقوقه ، وإن شرّا منه ما أخذ من غير حِلّه ، ومنع من حقه ، وأُغرق في غير حِلّه ، واستنار المال قوام الماش ، ولا بد للمرء من إصلاح ماله ، وما ارتفع أحد قط عن إصلاح ماله صالحا كان أو طالحا .

ولا يجب للعاقل أن يعتمد على مجاورة نعم الله عنده فلا يقضى منها حقوقها ؛ لأن من أساء مجاورة نعم الله أساءت مجاورته ، وتحولت عنه إلى غيره .

ولقد أنشدني ابن زنجي البغدادي :

فإن كنتَ في خير ، فلا تنقر به      واسكن قل : اللهم سَلِّمْ وتَمِّمْ  
فمن لم يَصُنْ عِرْضًا إذا ما استفاده      ويشكر لأهل الخير يسأب ويذم  
حدثنا عمرو بن محمد حدثنا العلاء أنشدنا مهدي بن سابق :

وَرَبِّ مُلْكٍ مَالًا كَثِيرًا      وَلَكِنْ حُطُّهُ مِنْهُ قَلِيلٌ

== المشجرة إذا أراد قلعها بالعاس ، فتراه يلاوص في نظره بمنّة وسيرة كيف يضرها ، وكيف يأتيتها ليقتلها .

يعيش بفضل هذا وهذا وقد سالت به فيه سيول  
له منه الذى يحيا عليه بعيشته ، وسائر فضول  
حدثنا أحمد بن الحسين الخرازى - بالموصل - حدثنا أحمد بن سنان القطان  
حدثنا كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن معاوية بن عبد الله عن كعب  
قال : أول من ضرب الدينار والدرهم آدم ، وقال : لا تصلح المعيشة إلا بهما .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ماشا كل هذه الحكايات فى كتاب  
« السخاء والبذل » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

### ذكر الحث على إقامة المروءات

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضى وعبد الله بن محمود بن سليمان  
السعدى قالا : حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله المتكى حدثنا مسلم بن خالد الزنجى  
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه  
وسلم « كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : صرح النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الخبر  
بأن المروءة هى العقل ، والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ .  
فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال الحمودة ،  
وترك الخلال المذمومة .

وقد نبئت نابتة اتكلوا على آباءهم ، واتكلوا على أجدادهم ، فى الذكر  
والمروءات ، وبعثوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد فى دم من هذا نعتة :

إن المروءة ليس يُدركها امرؤ ورث المروءة عن أبيه ، فأضاعها



أمرته نفس بالدناءة وألغنا  
عَاقِبَاتُهَا مِنْ الْأُمُورِ عَظِيمَةً  
وَأَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ :

خِصَاصَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ تَشِينُهُمْ  
وَقُلٌّ غِنَاءُ عَنْهُمْ النَّسَبِ الْمُخْصُ  
يَصُولُونَ بِالْآبَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ  
وَقَدْ غَيَّبَتْ آبَاءَهُمْ عَنْهُمْ الْأَرْضُ  
طَوِيلًا تَبَدَّدِيهِمْ بِمَجْدِ أَبِيهِمْ  
وَمَالَهُمْ فِي الْمَجْدِ طَوْلٌ وَلَا عَرْضُ  
وَأَنشَدَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ أَحَدِ الْبَغْدَادِيِّ :

لَيْسَ الْكَرِيمُ بِمَنْ يُدَنِّسُ عَرْضَهُ  
وَيَرَى مَرُوءَتَهُ تَكُونُ بَيْنَ مَضَى  
حَتَّى يَشِيدَ بِنَاءَهُ بَيْنَتَانَهُ  
وَيَزِينَ صَالِحَ مَا أَنُوهُ بِمَا أَتَى  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخْسَرَ صَفَقَةً ، وَلَا أَظْهَرَ حَسْرَةً ،  
لَا أَخْيَبَ قَسْدًا ، وَلَا أَقْلَّ رَشْدًا ، وَلَا أَحَقَّ شَعْرًا ، وَلَا أَدْنَى دَنْثَرًا ، مَنْ  
لَفْتَمَخَ بِالْآبَاءِ الْكَرَامِ وَأَخْلَقَهُمُ الْجِسَامَ ، مَعَ تَفَرُّيهِ عَنْ سُلُوكِ أَمْثَلِهِمْ ، وَقَصْدِ  
شِبَاهِهِمْ ، مَتَوَهِّمًا أَنَّهُمْ ارْتَفَعُوا بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَسَادُوا بَيْنَ تَقْدِيمِهِمْ ، وَهَيْبَاتِ ! أُنِّي  
سُودَ الْمَرَّةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا بِنَفْسِهِ ؟ وَأُنِّي يَنْبُلُ فِي الدَّارَيْنِ إِلَّا بَكَدِهِ ؟

وَلَقَدْ أَنشَدَنِي الْبَسَامُ :

وَكَمْ قَاتِلٌ : إِلَى ابْنِ بَيْتٍ ، هُوَ ابْنُهُ  
وَقَدْ هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي مَاتَ عَامِرُهُ  
هَازِدِي عَمُودَاهُ ، وَرَثَتْ حَبَالَهُ  
وَأَصْلَحَ أَوْلَاهُ ، وَأَفْسَدَ آخِرُهُ

وَأَنشَدَنِي الْأَبْرَشُ :

فَإِنْ قَالَتْ : لِي آيَةُ صِدْقٍ وَمَنْصَبُ  
كَرِيمٍ وَإِخْوَانٍ مَضَتْ وَجِلْدُودُ  
صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ أَنْتَ هَدَمْتَ مَا بَنَوْا  
بِكُفِّكَ عَمْدًا ، وَالْبِنَاءُ جَدِيدُ

وَأَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ :

إن لم تكن بفعل نفسك سامياً لم يغن عنك سمو من سمو به  
 ليس القديم على الحديث تراجع إن لم تجده آخذاً بنصيبه  
 ولربما اقترب البعيد بوجه وغدا القريب مباعداً لقريبه  
 أنبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي حدثنا أبو داود السنجي حدثنا  
 عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال : لا دين إلا بمروءة .  
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : اختلف الناس في كيفية المروءة :  
 فمن قائل قال : المروءة ثلاثة : إكرام الرجل إخوانه أبيه ، وإصلاحه ماله ،  
 وقعوده على باب داره .  
 ومن قائل قال : المروءة إتيان الحق ، وتماهد الضيف .  
 ومن قائل قال : المروءة تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغذاء والعشاء  
 في الألفية .  
 ومن قائل قال : المروءة إنصاف الرجل من هو دونه ، والسمو إلى من هو  
 فوقه ، والجزاء بما أتى إليه .  
 ومن قائل قال : مروءة الرجل صلق لسانه ، واحتماله عترات جيرانه ،  
 وبذله المعروف لأهل زمانه ، وكفّه الأذى عن أباعده وجيرانه .  
 ومن قائل قال : إن المروءة التباعد من الخلق الذي فقط :  
 ومن قائل قال : المروءة أن يعتزل الرجل الريبة ؛ فإنه إذا كان صريفاً  
 كان ذليلاً ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والابقاء  
 على نفسه في مطعمه ومشربه .  
 ومن قائل قال : المروءة حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المراء  
 ما يعاب منه .  
 ومن قائل قال : المروءة سحابة النفس ، وحسن الخلق .

ومن قائل قال : المروءة العفة والحُرْفَةُ ، أى يَعِفُ عما حرم الله ، ويحترف فيما أحل الله .

ومن قائل قال : المروءة كثرة المال والولد .

ومن قائل قال : المروءة إذا أعطيت شكرت ، وإذا ابتليت صبرت ، وإذا قدرت عفرت ، وإذا وعدت أنجزت .

ومن قائل قال : المروءة حسن الحيلة فى المطالبة ، ورقة الظرف فى المكاتبه .

ومن قائل قال : المروءة اللطافة فى الأمور ، وجودة الفطنة .

ومن قائل قال : المروءة مجانبه الريبة ؛ فإنه لا يبدل صريب ، وإصلاح المال ؛ فإنه لا ينبل فقير ، وقيامه بخوانج أهل بيته ؛ فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره .

ومن قائل قال : المروءة النظافة ، وطيب الرائحة .

ومن قائل قال : المروءة القصاحة والسياسة .

ومن قائل قال : المروءة طلب السلامة ، واستعطف الناس .

ومن قائل قال : المروءة مراعاة العهد ، والوفاء بالمعقود .

ومن قائل قال : المروءة التذلل للأحباب بالتملق ، ومداراة الأعداء بالتفرق .

ومن قائل قال : المروءة ملاحه الحركة ، ورقة الطبع .

ومن قائل قال : المروءة هى المفاكمة ، والمباينة .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس

قال : قال ربيعة : المروءة مروءتان ؛ فلفسفر مروءة ، وللحضر مروءة :

فأما مروءة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح

فى غير مسأخط الله

وأما سرودة الحضر فلا إيمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ،  
وقراءة القرآن .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : اختلفت أفاضلهم في كيفية المروءة ومعاني  
ما قالوا قريبة بعضها من بعض .

والمروءة عندي خصلتان : اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعل ،  
واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال .

وهاتان الخصلتان يأتیان على ما ذكرنا قبل من اختلافهم ، واستعمالهما هو  
العقل نفسه ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن سرودة المرء عقله » .

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح .

ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريزي :

احتل لنفسك أيها الختالُ      فمن المروءة أن يرى لك مالُ  
كم ناطق وسط الرجال ، وإنا      عنهم هناك تكلمُ الأموالُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر  
عليه ، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال ، فمن رزق ذلك وضنَّ  
ببفاقه في إقامة مروءته فهو اندى خسر الدنيا والآخرة ، ولا آمن أن تصبَّه الغنية  
فقلبه عما ملك كريها ، وتودعه قبرا وحيدا . ثم يرث المال بعد من يأكله  
ولا يحمد ، وينفقه ولا يشكره ، فأى ندامة تشبه هذه ؟ وأى حسرة تزيد عليها ؟  
ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البندادي :

يا جامعَ المال في الدنيا لو ارثته      هل أنت بالمال قبل الموت منتفع ؟  
قدم لنفسك قبل الموت في مهل      فإنَّ حظك بعد الموت منقطع

أنيابنا الفضل بن محمد الجندي - بمكة - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبري حدثنا  
أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : ثلاثة ليست من المروءة : الأكل في

الأسواق ، والأدهان عند العطار ، والفطر في مرآة الحجام .  
 حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا هُشَيْمٌ  
 عن مغيرة عن الشعبي قال : ليس من المروءة النظر في مرآة الحجام .  
 حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا  
 حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : سمعت أبا قلابة يقول : ليس من المروءة أن  
 يرمح الرجل على صديقه .  
 وأنشدني البسامي :

اعلم بأنك ، لا أباك ، في الذي أصبحت تجمعهُ لميرك خازنُ  
 إنَّ المنية لا تؤامر مَنْ أتت في نفسه يوما ، ولا تستأذن  
 أنيانا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان  
 يقال : مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوى المروءات  
 تدل على مكارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكى القلوب .  
 حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن  
 سليمان بن أبي شيخ حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال قال معاوية بن  
 أبي سفيان : آفة المروءة إخوان السوء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : والواجب على العاقل تفقد الأسباب  
 المستحقرة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم مروءته ؛ فإن المحقرات من ضد  
 المروءات تؤذى السكاكل في الحال بالرجوع في القهقري إلى مراتب العوام  
 وأوباش الناس <sup>(١)</sup> .

ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمداني بصور ، قال : سمعت طلحة بن إسحاق  
 ابن يعقوب قال : سمعت موسى بن إسحاق الأنصاري يقول : سمعت علي بن  
 حكيم الأودي يقول : سمعت شريكا يقول : ذل الدنيا خسة : دخول الحام  
 (١) عربية هذه السكفة « أو شاب الناس » أى أخلاطهم .

سَعْرًا بلا كَرْنِيب<sup>(١)</sup> ، وعبور المعبر بلا قطعة ، وحضور مجلس العلم بلا نسخة ، وحاجة الشريف إلى الدني ، وحاجة الرجل إلى امرأته .

حدثنا أبو شعبة الحسن بن محمد الأصبهاني حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن منصور ، حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي ، حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا طلحة بن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « من قلة مروءة الرجل نظره في بيت الحائض ، وحله القلوس في كفه »

### باب الحث على لزوم السخاء ، ومجانبة البخل

أنا أنا أحمد بن يحيى بن زهير بَنَسْتَر ، حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي حدثنا سعيد بن محمد الوراق ، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، والبخليل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، ولَسَخِي جَاهِلٌ ، أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ بَخِيلٍ عَابِدٍ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن كان حفظ سعيد بن محمد إسناد هذا الخبر فهو غريب غريب .

فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حطام هذه الدنيا الغانية ، وعلم زوالها عنه ، وانقلابها إلى غيره ، وأنه لا ينفعه في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال الصالحة : أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق في ماله ، والقيام بالواجب في أسبابه ،

---

(١) في القاموس : الكرنيب - بالفتح ، ويكسر - الحبيص ، والكرنية : إطعامه للضيف ، وأكل القرم باللين وهذه المعاني لا تناسب ما هنا ، والظاهر أنه أراد إثناء يعرف به ، وفي مدينة حلب من سوريات يستعمل هذا اللفظ لإثناء على شكل مخصوص معد لغرف الجامدات من بر ونحوه .

مجتنباً بذلك الثواب في العقبى ، والدكر الجليل في الدنيا ، إذ السخاء محبة ومحمدة كما أن البخل مذمة ومبغضة ، ولا خير في انسال إلا مع الخود ، كما لاخير في المنطق إلا مع الخير .

ولقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

الجود مكرمة ، والبخل مبغضة لا يستوى البخل عند الله والجود  
والنقر فيه شخوص ، والغنى دعة والناس في المال مرزوق ومحدود<sup>(١)</sup>  
حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا محمد بن الحسن الدهلي ، حدثنا محمد  
ابن يوسف السدوسي ، حدثنا أحمد بن خالد القمي ، حدثنا سليمان مولى عبد الصمد  
ابن علي أن المنصور أمير المؤمنين قال لابنه المهدي : « اعلم أن رضاء الناس غاية  
لا تدرك ؛ فتحب إليهم بالإحسان جهديك ، وتودد إليهم بالإفضال ، واقصد  
بافضالك موضع الحاجة منهم » .

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

أعاذلني اليوم ، ويحك ما مَهْلًا وكَمَّا الأذى عني ، ولا تكثرا العذلا  
دعاني تجد كفي بما ملكت يدي سأصبح يوما أترك الجود والبخلا  
إذا وضعوا فوق الضريح جنادلا علي وخلفت الطيبة والرحلا  
فلا أنا مختار إذا ماتلته ولا أنا لاني ما ثويت به أهلا  
أنا أنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي ، حدثنا لوين ، حدثنا ابن أبي الزناد عن  
هشام بن عروة قال : كان أبي يقول « ما لي قوم قط أقاموا على ماء عذب »  
حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا بكر بن عامر العتري ، حدثنا هشام  
ابن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال « من آناه الله منكم  
مالا فليصل به القرابة ، وليحسن فيه الضيافة ، وليتق في العاني والأسير

وإين السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين ، وليصبر فيه على النائية : فإن بهذه  
الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجود الجود من جاد بماله ، وصان نفسه عن  
مال غيره ، ومن جاد ساد ، كما أن من بخل رذل .

والجود حارس الأعراض ، كما أن العفو زكاة العقل ، ومن أتم الجود أن  
يشعري عن البينة : لأن من لم يمتن بمعروفه وفقره . والامتنان يهدم الصنائع ، وإذا  
نعمت الصنعة عن إزاره طرفان : أحدهما الامتنان ، والآخر طلب الجزاء .  
كان من أعظم الجود ، وهو الجود على الحقيقة .

ولقد أنشدني ابن زنجي :

يارب عاذلة في الجود ، قلت لها :      قل لي ، على الله فيما أنفق الخلفاء  
هل من بخل رأيت المال أخذه ؟      أم هل رأيت جوادا ميتا عجباً ؟ <sup>(١)</sup>  
لما رأته أوفى المال طائفة      ولا أبلى تِلَداً كان أم طرفاً <sup>(٢)</sup>  
عدت سماح تديرا ، ولست أرى      ما يكسب الحد تديرا ولا سرفا

أنبأنا الحسين بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى قال : قسم ابن المبارك  
يوما بين إخوانه وأصحاب الحديث ألف درهم ، ثم أنشأ يقول :

لاخير في المال لكُنْزاه      إلا جواد الكف وهَّابه  
يفعل أحيانا بزواره      ما تفعل الخمر بشرابه

حدثني محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا الحسن بن محمد عن ابن السكيت ، قال :  
يا عجب لمن يشتري المالك بالثمن ، ولا يشتري الأحرار بالمعروف .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن خصال المرء الجود فمن غير  
امتنان ، ولا طلب ثواب ، والحلم من غير ضعف ولا مهانة .

(١) العجب : الهزل . (٢) الطريق : نال التحدث ، وطرفه ككرم .



وأصل الجود ترك الضنَّ بالحقوق عن أهلها ، كما أن أصل تربية الجسد أن لا يحمل عليه في الأكل والشرب واللباس ، فكما لا تنفع المروءة بغير تواضع ، ولا الحفظ بغير كفاية ، كذلك لا ينفع العيش بغير مال ، ولا المال بغير جود ، وكما أن القربة تبع للمودة ، كذلك المحمدة تبع للانفاق .

أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك ابن سعيد الثوري قال : كان يقال : ثلاث هنَّ أحسن شيء فبين وجدت فيه : نودة في غير ذل ، وجود لغير ثواب ، ونصب لغير الدنيا .

حدثنا أبو يعلى بالموصل ، حدثنا محمد بن الصباح الدولابي ، حدثنا إسماعيل ابن زكريا عن عاصم الأحول قال : قلت للحسن : ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؟ قال : يد المصطفي خير من يد المانع .

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان وعبد الله بن مرة عن كعب قال : من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ؛ فقد استكمل الإيمان .

وأشدني الكريزي ليحيى بن أكرم :

ويُظهرُ عيبَ المرء في الناس مُجْله ويسفِّره عنهم جميعاً سخاؤه  
تطوُّرُ بآثوابِ السخاء ؛ فإنني أرى كل عيب والسخاء غطاؤه  
وأشدني أحمد بن محمد بن عبد الله النجاشي لبعض القرشيين :

سأبذلُ مالي كلما جاء طالبُ وأجعله وقفا على القرض والقرض  
فلما كرميما صُنْتُ بالجود عِرْضه وإما لئلا صُنْتُ عن لؤمه عِرْضى  
وأشدني كامل بن مكرم أبو العلاء ، أشدني هلال بن العلاء بن عمر الباهلي :

ملاَّتْ يدي من الدنيا مرارا فما طمع الموائل في اقتصادي  
وما وجبتُ على زكاة مالي وهل تجب الزكاة على الجواد ؟

قال أبو حاتم رضى الله عنه : البخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا ، مَنْ تعلق بفصل من أغصانها جرّه إلى النار ، كما أن الجود شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا ، فمن تعلق بفصل من أغصانها جرّه إلى الجنة ، والجنة دار الأسخياء . والبخل يقال له في أول درجته : البخل ، فإذا عتا وطفى في الإيساء يقال له : الشحيح ، فإذا ذم الجود والأسخياء يقال له : لئيم ، فإذا صار محتجاً للخلاء ويعذروهم في فعالهم يقال له : الملائم .

وما أتر رجل يزار أهتك لرضه ، ولا أتر لهينه من البخل .  
ولقد أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لكني هم من الموم سمة والبخل والؤم لافلاح معة<sup>(١)</sup>

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

أقبل من الدهر ما أتاك به من قر عينا بعشه ضعه

سمعت الخطابي بالبصرة يقول : سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سأل كسرى : أي شيء أضرب ابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، قال : الشح أضرب منه ، إن الفقير إذا وجد اتسع ، وإن الشحيح لا يتسع إذا وجد .

أنيأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب حدثنا ابن أبي القعقاع قال قال أبو الهذيل : كنت عند يحيى بن خالد البرمكي ، فدخل عليه رجل هندي ، ومعه مترجم له ، فقال للمترجم : إن هذا رجل شاعر ، قد حاول مدحتك ، فقال يحيى : لينشد ، فقال الهندي :

أره أضربه كسكرا كي كره مندره

فقال يحيى للمترجم : ما يقول ؟ قال : يقول :

إذا المكارم في آفاقنا ذكرت فإنما بك فيها يضرب الثل

قال : فأمر له بألف دينار .

(١) الأبيات محفوظة لأوس بن حجر ، وفيها « والنصح والمسى لا فلاح معه »

وأنشدني عبد الرحمن بن محمد القاتلي<sup>(١)</sup> :

إذا المرء لم يدأس من اللوم عرضهُ فكلُّ رِداء يرتديه جميلٌ  
إذا قلتَ : لا ، في كلِّ شيءٍ سئلتُهُ فليس إلى حسن الثناء سبيل  
وأنشدني عمرو بن محمد الأنصاري أنشدني الفلابي أنشدني مهدي بن سابق :  
يا مانع المال ، كم قَظِنُ به تطمع بالله في الخلود معه ؟  
هل حمل المئات ميتٌ معه ؟ أما تراه لغيره جمّة ؟

أبناؤنا عمران بن موسى السخيتاني حدثنا سليمان بن معبد المروزي حدثنا  
عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن أبي علي الغافقي  
سمع عامر بن عبد الله اليحصبي قال : كان ابن منبه يقول : أجود الناس في الدنيا  
من جاد بحق الله ، وإن رآه الناس بخيلاً بما سوى ذلك ، وإن أجمل الناس  
في الدنيا من بخل بحق الله ، وإن رآه الناس كريماً جواداً بما سوى ذلك .  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

رب مال سيتعم الناس فيه وهو عن ربه قليل الغناء<sup>(٢)</sup>  
كان يشقى به ، وينصب فيه ثم أنضى لمعشر غرباء  
ماله عندهم جزاء إذا ما نعموا فيه غير سوء الثناء  
رب مال يكون ذمّاً وغمّاً وغنى بعد في الفقراء

حدثنا أحمد بن الحسن بن أبي الصغير اللدائي حدثنا الربيع بن سليمان قال :  
سمعت الشافعي يقول : كان أبو حاتم - يعني الطائي - سخياً ، وكان يضع الأشياء  
مواضعها ، وكان حاتم مبذراً ، فاجتمع يوماً عند أبيه أصحابه ، وشكوا إليهم حاتمًا ،  
قال : والله ما أدري ما أصنع ، لا يأخذ شيئاً إلا بذره ، فاجتمع رأيهم على أن

(١) أوله هذين البيتين ونحو ثابتهما في كلمة مشهورة للسموأل بن عباد

(٢) الغناء بالفتح والمد : النقص

لا يعطيه شيئاً سنة ، قال : فأقام أبوه ، ولم يتمكن من شيء سنة ، مع ما هو فيه من الضر ، فلما مضت السنة أمر له بمائة ناقة حراء ، قال : فلما وقفت عليه قال حاتم : من أحب شيئاً فهو له ، حتى أخذوها كلها ، فدعاه أبوه ، فقال له : أى بنى ، ماذا تصنع ؟ قال : والله يا أبى لقد بلغ الجوع منى شيئاً لا يسألنى أحد شيئاً إلا أعطيته إياه .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

نَجُودُ بِالْمَالِ عَلَى وَارِثٍ      وَلَا تَرَى أَهْلًا لَهُ نَفْسًا  
قَدَّمَ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مَنْ      جَادَ ، وَسُوءَ الظَّنِّ مِنْ أَمْسَا

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتشغل بهذا الشعر ويعجبه :

وَمَا تَرَوْدَ عَمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ      إِلَّا حَنُوطًا غَدَاةَ الْبَيْنِ مَعَ حِرْقٍ  
وغيرَ نَفْجَةٍ أَعْوَادُ تُشَدُّ لَهُ      وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمَنْطِقٍ

أنبأنا أبو يعلى حدثنا يحيى بن أيوب القسابرى حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن نافع قال « مرض ابن عمر بالمدينة ، فاشتغى عبثاً في غير زمانه ، قال : فطلبوا ، فلم يجدوا إلا عند رجل ، فاشترى سبع حببات بدرهم ، فجاء سائلٌ فأمر له به ، ولم يذقه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب ارتدى برداء الجود وأترز بلزار ترك الأذى إلا رأساً أشكاه وأضداده ، وخضع له الخالص والعام ، فمن أراد الرفعة العالية في المعى ، ولمرتبة الجلييلة في الدنيا ، فليزِم الجود بما ملك ، وترك الأذى إلى الخالص والعام ، ومن أراد أن يهلك عرضه ، ويهلك دينه ، ويمتله إخوانه ، ويستنقله جيرانه ، فليزِم البخل .

ولقد ذم البخل أهل العقل في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا : فنه  
ما أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

كأنما نُقِرَتْ كَفَّاهُ من حجر فليس بين يديه والنَّدَى عملُ  
يرى التَّيَمُّ في بحر وفي بلد مخافةً أن يُرى في كَفِّه بَلَلُ  
وأنشدني عمرو بن محمد أنشدني الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

لو أن دارك أنبت لك ، واخْتَشَتْ إِبْرًا يضيق بها فناء النزلِ  
وأناك يوسفُ يستعيرُكَ إبرة ليخيط قدَّ قيصه لم تفعل  
وأنشدني أحمد بن محمد بن أيوب :

وكفَّاكَ لم يخلقا للنَّدَى ولم يك يحنها بدَّعه  
فكفَّ عن الخير مقبوضة كما حط من مائة سبعة <sup>(١)</sup>  
وأخرى ثلاثة آلافها وتسع منها لها شرعه

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت محمد بن صالح الوركاني  
يقول : قيل للنضر بن شميل : أي بيت قالته العرب أسخى ؟ قال : الذي  
يقول :

فولم تكن في كفِّه غيرُ روحه لجاذ بها ، فليثق الله سائله  
قال : وأي بيت قالته العرب أجمل ؟ فقال :

نو جُيِّلَ الخردلُ في كفِّه ماسَقَطَتْ من كفِّه خردلة  
قال : وأي بيت قالته العرب أجهى ؟ قال :

المَجْرُفِيُّونَ لا يوفون ما وعدوا والمجرَّياتُ ينجزن المواعيد  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على الماقل ، إذا لم يُعرف بالساحة ،

أن لا يعرف بالبخيل ، كما لا يجب ، إذا لم يعرف بالشجاعة ، أن يعرف بالجبن ، ولا إذا لم يعرف بالشهامة أن يعرف بالمهانة ، ولا إذا لم يعرف بالأمانة أن يعرف بالخيانة ، إذ البخل ينس الشعارُ في الدنيا والآخرة ، وشر ما يندخر من الأعمال في العقبى .

حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة حدثنا أبو عتبة المحصى أحمد بن الفرج حدثنا ضمرة حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة قال : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول : أفتر للبخل ، والله لو كان طريةً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا العباس بن بكار الهذلي قال : قال الحسن : من أيقن بالتخلف جاد بالعطية .

### ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان

حدثنا محمد بن صالح الطبري حدثنا عبد الله بن عمران الأصهباني - بالري - حدثنا يحيى بن ضريس ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجيئوا الداعي ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضرعوا للمسلمين »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : زجر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين .

فألوجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردّها ، ثم يثيب عليها إذا قدر ، ويشكر عنها ، وإني لأستحب للناس بعث الهدايا إلى الإخوان بينهم ، إذ الهدية تورث المحبة ، وتذهب الضغينة .

ولقد حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا الدارمي ، حدثنا عبد الله بن صالح ،

أنيابنا الليث قال : سمعت عبد الملك بن رفاعة القهسي يقول : الهدية هو السحر الظاهر .

حدثني إبراهيم بن أبي أمية بطرسوس حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا سفيان قال : لما قدم أبو حنيفة قال للناس مساور أوراق :

كفنا من الذين قبل اليوم في سعة      حتى بلينا بأصحاب المقاييس  
قوم إذا اجتمعوا صاحوا كأنهم      ثعلب صبحت بين النواويس  
قال : فبلغ ذلك أبا حنيفة ، فبعث إليه بقال ، يقال مساور حين قبض أقال :  
إذا ما الناس يوما قايسوا      بأبدية من الفتيا طريفة  
أثناهم بمقياس صحيح      مصيب من طراز أبي حنيفة  
إذا سمع القبه بها وعاهها      وأثبتها بحبر في صحيفة  
وأنشدني الكريزي :

إن الهدية حلوة      كالسحر تختلبُ القلوبا  
تدني البعيد من الهوى      حتى يصيره قريبا  
وتعيد مضطرب المدا      رة بعد بفضته حبيبا  
تنفي السخيمة من ذوى الشُّجْحنا      وتمتحق الذنوبا

أنيابنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني - بالكرج - وإبراهيم بن محمد الدستوائي  
ببستر قالوا : حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة الكندي حدثنا بكار بن أسود العامري  
حدثنا إسماعيل بن أبان قال : بلغ الحسن بن عمار أن الأعمش يقع فيه ، فبعث  
إليه بكوة ، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعمش فقبل له : كيف تدمه ثم تمدحه ؟  
قال : إن خيشمة حدثني عن عبد الله قال « إن القلوب جبلت على حب من أحسن  
إليها ، وبغض من أساء إليها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قال لنا هذان الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا أهابه ، قال : والبشر محبوبون على محبة الإحسان ، وكراهية الأذى ، واتخاذ الحسن إليهم حبيباً ، واتخاذ السيئ إليهم عدواً .  
فالعاقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بحث الهدايا بما قدر عليه لاستجلاب محبتهم إليه ، ويفارق تركه مخافة بفضهم .  
ولقد أنشدنى الأبرش :

هدايا الناس بعضهم لبعض      تولد في قلوبهم الوصالا  
وتزرع في الضمير هوى وودا      وتكسوك المهابة والجلالا  
مصايد للقلوب بغير رقب<sup>(١)</sup>      وتمنحك الحبة والجمالا

حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن لقمان البهراني النجراتي حدثنا موسى بن أيوب حدثنا خدش بن المهاجر عن الحسن بن دينار عن ابن سيرين قال : كانوا يتهاذون الدرهم في الجوالقات<sup>(٢)</sup> والأطباق .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعمل الأشياء على ما يوجب الوقت ، ويرضى بنفاذ القضاء ، ولا يتمنى ضد مارزق ، وإن كان عنده الشيء النافه لا يجب أن يمتنع من بذله لاستحقاقه واستقلاله ؛ لأن أهون ما فيه لزوم البخل والتمنع ، ومن حقر شيئاً منعه ، بل يكون عنده الكثرة والقلة في الحالة سيان ؛ لأن ما يورث الكثير من الخصال أورث الصغير بقدره من التعامل .  
حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب عن الأصمعي قال : دخلنا على كهنس العابد ، فجاء بخمسة وعشرين بصرة حمراء ، فقال : هذا المجهود من أخيك ، والله المستعان .

(١) كذا بالأصل واللقب والغلوب التبع

(٢) الجوالقات : أوعية من الخيش ونحوه كالزكايب والأخراج ، واحدها جوالقي



وأنشدني ابن زنجي :

إن المني عجبٌ لله صاحبها      اعلَّ حَتَفَ امرئٍ فيا تَناه  
فإن ترى عبيراً فيهنَّ معتبرٌ      يجرى بها قدر ، فأله أجراه  
لا تحقرنَّ من الإحسان محقرة      أحسن ، فعاقبة الإحسان حسناه

حدثنا محمد بن أيوب بن مشكان - بطبرية قصبة الأردن - حدثنا أبو عتبة  
حدثنا سلمة بن عبد الملك العرضي حدثنا المعافي بن عمران قال : سمعت ميمون  
يقول : من رضى من خلة الإخوان بلا شيء فليواخ أهل القبور .

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان العقيلي  
حدثنا نعيم بن حماد قال : أنشدني ابن المبارك :

ماذا في طعم الفنى من لاقنوع له      ولن ترى قاناماعاش مفقرا  
والعرف من يانه يحمده عواقبه      مضاع عرف ، ولو أوليته حجرا  
سمعت يوسف بن يونس التمرغاني يقول : بعث أبو السنور الشاعر إلى  
الأمير أبي الأشعث بطبق ورد يوم النيروز هدية ، وبعث إليه بهذه الأبيات :  
بعثنا ببرٍ نأفه ، دون قدركم      وماتت الألفاظ للقل والكثر  
ولكن ظرفاً أن تزيد مودة      فهل تكرمنا بالقبول والمعذر ؟  
فلو كان يرى حسب ما أنت أهله      أتاك إذا روى على طبق البر

سمعت عمر بن محمد الهمداني يقول : سمعت وزيره بن محمد الساسي يقول :  
قدم بعض الكتاب السكر ، فأهدى إليه إخوانه ، وكان فيهم من قدمت به  
الحال ، فوجه إليه بدقة وأثنان ، وكتب إليه : لو تمت الإرادة - جمعت فداءك -  
يلوغ النية فيه ، وملككني الجدة بسط القدرة لأنعت السابقين إلى برك ،  
ولبرزت أمام المجتهدين في فضلك ، ولكن البضاعة صعدت بالهمة ، وقصرت عن  
مساماة أهل النعمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ذكر ،

فوجهت إليك بالابتداء به لئنه وبركته ، وباحتتم به لطيبه ونفعه ، مقتصرأ عن  
الم التقصير فيه ، فأما ما سوى ذلك فالعبر عني فيه قول الله ( ٩ : ٩١ ) ليس على  
الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ) والسلام .

حدثنا محمد بن يوسف الأرمي ، حدثنا إبراهيم بن عبد العزيز الموصلي ، حدثنا  
محمد بن علي بن الفضل المديني ، حدثنا عبد الله بن شعيب الزيري ، حدثنا محمد  
ابن إسحاق السبيعي عن القاسم بن المعتمر عن حميد بن معيوف عن أبيه قال « كنت  
من شهد الحكم بن حنطب بنبج ، وهو يريد أن يموت ، وقد كان لي من الموت  
شدة ، فقلت ، أو قال رجل : اللهم هَوِّنْ عليه الموت ، فلقد كان ، ولقد كان .  
فأثنى عليه ، فأفاق من غشيته ، قال : من المتكلم ؟ قال المتكلم : أنا . قال : إن  
ملك الموت يقول : إني بكل رجل سخي رفيق ، قال : ثم كأن فتيلة أطفئت  
فأت ، فبلغ ابن هرمة الشاعر موته ، فأنشأ يقول :

سالا عن الجند والمعروف أين هما ؟ فقلت : لهنما ماتا مع الحكم  
ماتا مع الرجل الوفي بذمته يوم الحفاظ إذا لم يوف بالذم  
ماذا بمنبج لو تُنبش مقابرهما من التهذم بالمعروف والسكرم

حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى السري عن حماد بن إسحاق  
ابن إبراهيم عن أبيه قال : قيل للغيرة بن شعبة : ما بقي من لذك ؟ قال : الإفضال  
على الإخوان ، قيل : فمن أحسن الناس عيشاً ؟ قال : من عاش بعيشه غيره ، قيل :  
فمن أسوأ الناس عيشاً ؟ قال : من لا يعيش بعيشه أحد .

ذكر استحباب التفريح عن الناس بقضاء الحوائج

حدثنا أبو عمرو محمد بن محمود النسائي ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا  
محاضر بن المورع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « من نَفَسَ عن أخيه كُرْبَةً من كُرْبِ الدنيا نَفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يَسَّرَ على معسر ، يَسِّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم ؛ لأن من نَفَسَ كربة من كرب الدنيا عن مسلم نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن تَعَرَّى قضاء حاجته ولم يَقْضَ قضاؤها على يديه فكأنه لم يقصر في قضاؤها ، وأيسر ما يكون في قضاء الخوائج استحقاق الثناء ، والإخوان يعرفون عند الخوائج ، كما أن الأهل تختبر عند الفقر ؛ لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء ، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة ، كما أن شر البلاد بلدة ليس فيها خِصْب ولا أمن .

وأشدنى الكريزى :

خير أيام القتي يوم نَفَعَ واصطناع العرف أبقى مصطنع  
ما ينال الخير بالشر ، ولا يحصد الزارع إلا ما زرع  
ليس كل الدهر يوما واحدا ربما انحط القتي ، ثم ارتفع  
حدثنا محمد بن سليمان بن فارس ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، حدثنا بشر  
ابن عمر ، حدثنا الربيع قال : كان الحسن يقول « قضاء حاجة أخ مسلم أحب  
إلى من اعتكاف شهرين » .

وأشدنى علي بن محمد البسامي :

سابق إلى الخير وبادر به فإن من حَقَّقَ ما تلم  
وقدَّم الخير ، فكل امرئ على الذي قدمه يقدَّم  
حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي ، حدثنا محمد بن موسى البصري ، حدثنا

الأصمعي ، حدثنا أبو معمر شبيب بن شذبة الخطيب قال : لما حضرت ابن سعيد ابن العاص الوفاة قال لبنيه « يا بني ، أشكم يقبل وصيتي ؟ فقال ابنه الأكبر : أنا قال : إن فيها قضاء ديني ، قال : وما دينك يا أبت ؟ قال : ثمانون ألف دينار ، قال : يا أبت فبم أخذتها ؟ قال : يا بني في كريم سددت حذته <sup>(١)</sup> ، ورجل جاءني في حاجة وقد رأيت السوء في وجهه من الحياء ، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها » قال أبو حاتم رضى الله عنه : حقيق على من علم الثواب أن لا يمنع ما ملك من جاء أو مال إن وجد السبيل إليه قبل حلول المنية ، فيبقى عن الخيرات كلها ، ويتأسف على ما فاتته من المعروف .

والعاقل يعلم أن من سحب النسيئة في دار الزوال لم يحل من فقدتها ، وأن من تمام الصنائع وأهنأها إذا كان ابتداء من غير سؤال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلهي قال : دخل أبو المتاهية على الرشيد ، فقال : سل يا أبا المتاهية ، فقال :

إذا كان للنال ببذل وجهه فلا قُربْتُ من ذاك للنال  
وأُشدنى عبد العزيز بن سليمان :

يبقى النساء وتنفذ الأموال  
ولكل دهر دولة ورجال  
مانال تحمده الرجال وشكرهم  
إلا الصبور عليهم الفضال

حدثني محمد بن عديل بن المهدي الشمراني ، حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسي حدثنا ابن عائشة قال : قال أبي « جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، فقال له : هب لي شيئا ، قال : يا غلام أعطه مامعك ، فأعطاه عشرين ألفا ، فأخذها ليحمنها فقلقت عليه ، فقدم بيكي ، فقال : ما بيكيك ؟ لعلك استقلتها فأزيدك ، قال : لا ، والله ما استقلتها ، ولكن بكيت على ما تأكل الأرض من كرمك ، فقال له يحيى : هذا الذي قلت لنا أكثر مما أعطيناك »

(١) الخلة ، بالفتح : الحاجة والفقر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب الإلخاف عند السؤال في الحوائج ؛ لأن شدة الاجتهاد ربما كانت سبباً للحرمان والمنع ، والطالب للملاح كالضراب بالتداح : سهم له ، وسهم عليه ، فإن أعطى وجب عليه الحمد ، وإن منع لزمه الرضاء بالتقضاء ، ولا يجب أن يكون السؤال إلا في ديار القوم ومنازلهم ، لا في الحافل والمساجد والملا ؛ لأن محمد بن محمود النسائي ، حدثنا ، قال : حدثنا علي بن خنّرم ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن حنيف المؤذن قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لا تسألوا الناس في مجالسهم ومساجدهم فتفحشوا ، وتسكن سلوهم في منازلهم ، فمن أعطى أعطى ، ومن منع منع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الذى قاله عمر بن الخطاب رحمه الله عليه ورضوانه إذا كان المسئول كريماً ؛ فإنه إن سئل الحاجة في نادى قومه ولم يكن عنده قضاؤها تشور وخجل ، وأما إذا كان المسئول ثنياً ودفع المرء إلى مسألته في الحاجة نفع له ، فإنه إن سأل في مجلسه ومسجده كان ذلك أقصى حاجته ؛ لأن اللئيم لا يقضى الحاجة ديانة ولا مروءة ، وإنما يقضيها إذا قضاها طلباً للذكر والحمد في الناس . على أنى أستحب للعاقل أن لو دفعه الوقت إلى أكل القيد<sup>(١)</sup> ومص الحصى ثم صبر عليه لكان أخرى به من أن يسأل لثنيا حاجة ؛ لأن إعطاء اللئيم شين ، ومنعه خنث .

وقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا أعطى القليل ففى شريف      فإن قليل ما يعطيك زين  
وإن تكن العطية من دنى      فإن كثير ما يعطيك شين

أبنا أحمد بن محمد بن الفضل السجستاني بدمشق ، حدثنا علي بن خنّرم قال : سمعت سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي يقول : خرجت حاجاً فللت

(١) القيد : السير من الجلود تحصف به الثعال .

الحمل ، فزلت أساور القطرات ، فقال : أأنا أعرابي ، فقال لي : ياغي لمن الجمل بما عليها ؟ قلت : لرجل من باهلة . قال : يا لله أن يعطي الله باهليا كل ما أرى ، قال : فأعجبني ازدرأؤه بهم ، ومعى صرة فيها مائة دينار ، فرميت بها إليه ، فقال : جزاك الله خيرا ! وافقت منى حاجة ، فقلت : يا أعرابي ، أيسرك أن تكون الجمل بما عليها لك وأنت من باهلة ؟ قال : لا ، قلت : أفيترك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أني من باهلة ، فقلت : يا أعرابي ، الجمل بما عليها لي وأنا من باهلة . قال : فرمى بالصرة إلي ، فقلت : سبحان الله ! ذكرت أنها وافقت منك حاجة ، قال : ما يسرني أن أنقذ الله واباهلي عندي يد ، لحدثت بها المأمون ، فجعل يتعجب ويقول : ويحك يا سعيد ! ما كان أصيرك عليه .

حدثنا محمد بن الرقام بنسبنا حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا الأصمعي حدثنا هشيم بن القاسم قال : سألت سالم بن قتيبة حاجة ، فقضاها ، ثم سأته أخرى ، فأتته وقال : حاجتين في حاجة ، أو قال : على الريق ؟ ثم دعا بالطعام ، فلما تغدى قال : هات حاجتك ، أما سمعت قول الصبيان :

إذا تغديت وطابت نفسي فليس في الحق غلام مثلي

\* إلا غلام قد تغدى قبلي \*

أبنا عمرو بن محمد حدثنا القلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء بن مصعب قال : قال أبو عمرو اللندري : أتيت مسلم بن قتيبة في حاجة ، وكان له صديق من أهل الشام ، فكلمته أن يكلمه في حاجتي ، فجعل يقول : اليوم ، غدا ، فطال علي ، فترأيت له ، وقد كان يعرفني ، فدعاني فقال : أبا عمرو ، إنك لما هنا ؟ قلت : نعم أطلبك بحاجة منذ كذا وكذا وسيلتي فيها فلان ، فضحك ، وقال : قد كنت أراك قد أسكت الآداب ، لا نستعن إلى من نطلب إليه حاجة بمن له

عنده طُعمَةٌ : فإنه لا يؤترك على طعمته ، ولا تستمن بكذاب ؛ فإنه يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب ، ولا تستمن بأحق ؛ فإن الأحق يجهد لك نفسه ، ولا يكون عنده شيء ، ولا يبلغ لك ما تريد ، فانصرفت فقلت : يكفي هذا ، قال : لا ، ولكن تقضي لك حاجتك ، فقضاها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل أن يتوسل في قضاء حاجته بالعدو ، ولا بالأحق ، ولا بالفاسق ، ولا بالكذاب ، ولا بمن له عند المسئول طعمة ، ولا يجب أن يحمل حاجتين في حاجة ، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاضى ، ولا يظهر شدة الحرص في اقتضاء حاجته ، فإن الكريم يكفيك العلم بالحاجة دون الطائفة والاقتضاء .

وقد أشدنى منصور بن محمد الكريزى :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فاصبر ، ولا تك للوطال ملولاً  
لا نظير من ذرّة الحريس ، ولا تكن عند الأمور إذا نهضت ثقيلاً

وأشدنى محمد بن إسحاق الواسطى العزى :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فحضوره يكفيك والتسليم  
فإذا رآك مسلماً عرف الذى حملته فكأنه ملزوم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يتسخط ما أعطى ، وإن كان تافهاً ؛ لأن من لم يكن له شيء فكل شيء يستفيده ربح ، ولا يجب أن يسأل الحاجة كل إنسان ؛ فرب مهروب منه أخع من مستغاث إليه ، ولا يجب أن يكون السائل متشفعاً لآخر ؛ لأن من لم يقدر على أن يسبح فلا يجب أن يحمل على عتقه آخر ، ومن سئل فليبدل ؛ لأن مال الله نصفان ، له ما قدم ، ولوارثه ما خلف ، وأقرب الأشياء فى الدنيا زوال المال والولاية ، والتماهد للصنمية

بالتحفظ عليها أحسن من ابتدائها ، ومن غرس غراساً فلا يَصْنَعُ بالنفقة على  
تربيته ، فتذهب النفقة الأولى ضياعاً .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثني محمد بن أبي يعقوب الرعي حدثنا  
عبد الكريم بن محمد الموصلي حدثنا أبي قال : سمعت أبا تمام حبيب بن أوس الطائي  
يقول : وقعت على باب مالك بن حنّوق الرحبي أشهراً فلم أصل إليه ، ولم يعلم  
بمكاني ، فلما أردت الانصراف قلت للحاجب : أتأذن لي إليه أم أنصرف ؟  
قال : أما الآن فلا سبيل إليه ، قلت : فأبصّل رقعة ، قال : لا ، ولا يمكن هذا ،  
ولكن هو خارج اليوم إلى بستان له فأكتب الرقعة وارم بها في موضع أرانيه  
الحاجب ، فكتبت :

لعمرى ، أئن حَجَبْتَنِي العبيد عنك ، فلم تحجب القافية  
سأرى بها من وراء الجدا ر شعاء تأتيك بالداهية  
تصم السميع ، وتعمى البصير ومن بعدها تسأل العافية

فكتبت بها ورميت بها من المكان الذي أرانيه الحاجب فوقعت بين يديه ،  
فأخرجها ، فنظر فيها ، فقال : على بصاحب الرقعة ، فخرج الخادم ، فقال : من  
صاحب الرقعة ؟ قلت : أنا ، فأدخلت عليه ، فقال لي : أنت صاحب الرقعة ؟  
قلت : نعم ، فاستنشدني ، فأنشدته ، فلما بلغت — ومن بعدها تسأل العافية —  
قال : لا ، بل تسأل العافية من قبلها ، ثم قال : حاجتك ، فأنشأت أقول :  
ماذا أقول إذا انصرفت ، وقيل لي : ماذا أصبت من الجواد المفضل ؟  
إن قلت : أغنائي كذبت ، وإن أقل : ضنّ الجواد بماله ، لم يحصل  
فاختر لنفسك ما أقول ، فإني لا بد أخبرهم ، وإن لم أسأل  
فقال : إذا والله لا أختار إلا أحسنها ، كم أقت بياني ؟ قلت : أربعة أشهر ،  
قال : يعطى بعدد أيامه ألوفاً ، فقبضت مائة وعشرين ألف درهم .



سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول يقول : سمعت أبا داود السجستاني يقول :  
كان ينفذ رجل يقال له ابن الهفت ، فمر يوماً على سائل واقف على الجسر ،  
وهو يقول : اللهم أرزق المسكين حتى يعطوني ، فقال له : تسأل ربك الخوالة ؟

### ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالي

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيغة حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء  
الهمداني حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن محمد بن السكندر عن  
جابر قال : ما مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا ، ولا ضرب بيده  
شيئاً قط .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إني لأستحب للمرء طلب المعالي من  
الأخلاق ، مع ترك رد السؤال ؛ لأن عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق ،  
والندامة موكلة بترك معصية الفرصة ، وإن الحرَّ حقَّ الحر من أعطته الأخلاق  
الجيلة ، كما أن أسوأ العبيد من استعبده الأخلاق الدنية ، ومن أفضل الزاد في  
المعاد اعتقاد المحامد الباقية ، ومن لزم معالي الأخلاق أنتج له سلوكها فراخاً  
نظير بالسرور .

ولقد حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا هارون بن صدقة القاضي حدثنا  
المسبب بن واضح يقول : سمعت يوسف بن أسباط يقول : ما كان المال منذ  
كانت الدنيا أنفع منه في هذا الزمان .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

بادر هواك إذا همت بصالح خوف العوائق أن تجيء فتغيب  
وإذا همت بسيء فتعد ونجيب الأمر الذي يتجنب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ما ضاع مال ورث صاحبه مجداً ، ولولا

المتفضلون مات المتجملون ، وليس يستحق المراء اسم الكرم بالكف عن الأذى إلا أن يقرنه بالإحسان إليهم ، فمن كثرت في الخير دغيته ، وكان اصطناع المعروف همته ، قصده الراجون ، وتأمله التاملون ، ومن كان عيشه وحده ولم يش بعيش غيره فهو - وإن طال عمره - قليل العمر ، والبائس من طال عمره في غير الخير ، ومن لم يتأس بغيره في الخير كان عاجزاً ، كما أن من استحسن من نفسه ما يستقيحه من غيره كان كالغاش لمن يجب عليه نصيحته ، ومن لم يكن له همة إلا بطنه وفرجه عُدَّ من البهائم ، والهمة تبلغ الرتبة العالية : لأن الناس يهتمهم .

وقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا العلاءي حدثنا ابن عائشة قال : قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان : كان لي خال من كلب ، فكان يقول لي : يا عبيد الله ، هم ! فإن الهمة نصف المروءة .

وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

قد بلونا الناس في أخلاقهم فوأيناهم لدى المال تبع  
وحبيب الناس من أطعمهم إنا الناس جميعاً بالطبع

حدثنا عمر بن حفص البزار - بمحمد بن يسار - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا الحسن بن واقع الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : سمعت كديراً أبا سليمان الضبي يقول « كان قصير إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثمانية أبواب من حيث جاء السائل أعطى »

حدثنا محمد بن أحمد الرقام - بقستر - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم : سمع رجلاً إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فأنصرف فبعث بها إليه .

وأشدنى الكريزى :

لا تحقرنَّ صنيعَ الخيرِ تفعله ولا صغيرَ فعلٍ الشرِّ من صغره  
فلو رأيتَ الذى استصغرتَ من حسنِّه عند الثوابِ أطلتَ العجبَ من كبره  
سمعتُ أحمدَ بنَ محمدَ بنَ عبدِ الله التِّمَّانِي يقولُ : سمعتُ صالحَ بنَ آدمَ يقولُ :  
أشدُّ إنسانَ عندَ عبدِ الله بنِ جعفرِ هذينِ البيتينِ :

إن الصَّنِيعَةَ لا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ  
فَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً فَأَعْمِدْ بِهَا اللَّهُ ، أَوْ لَدَوِ الْقَرَابَةَ ، أَوْ دَعِ  
فَقَالَ عبدُ الله بنُ جعفرٍ : إن هذينِ البيتينِ يبيحانِ النَّاسَ ؛ يَنْبَغِي لِمَنْ عَمِلَ  
بِهَذَا أَنْ يَدْعُوَ لِمَنْ طَلَبَ حَاجَةً بِالْبَيْنَةِ ، بَلْ تُبَيِّنَ الصَّنَائِعَ وَيُرَى بِهَا مَوَاضِعُ الْقَطَرِ  
حَيْثُ حَلَّتْ ، وَفِي مِثْلِهِ يَقُولُ الْغَتَّانِي :

لَهُ فِي ذَوِي الْمَعْرُوفِ نُمَى ، كَأَنَّهُ مَوَاقِعُ مَاءِ الْقَطَرِ فِي الْبَلَدِ الْقَمَرِ  
إِذَا مَا أَتَاهُ السَّائِلُونَ لِحَاجَةٍ عَلَنَهُ مَصَابِيحُ الطَّلَاقَةِ وَالْبُشَيْرِ  
حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا أحمد بن مسروق حدثني ابن  
أبي سعيد عن شيخ له قال : رأيت ابن المبارك يعضُّ يدَ خادمٍ له ، فقالت له :  
تعضُّ يدَ خادمك ؟ قال : كم أمره أن لا يمدَّ الدرهمَ على السَّوَالِ ، أقول له :  
أخْتُ لَهُمْ حَتْمًا .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا القلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم عن  
عن أبيه قال : قال إبراهيم بن أبي البلاد : حدثني أخى قال : رأيت الحجاج بنى  
في عمله على العراق ، وقام إليه رجال من أهل الحجاز يسألونه ، فقال : توهمتم  
بنا أننا بنير بلادنا ومالككم مثرك ، مَنْ هاهنا من أهل العراق ؟ فقام إليه تجار  
أهل العراق ، فقال : هل من سلف ؟ فقالوا : نعم ، فحملوا إليه ألف ألف درهم ،  
فلقاهم العراق ردها ، وأكثر ظنِّي أنها ومثلها معها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يبدأ بالصنائع والإحسان الأقرضَ فالأقرضَ ، يبدأ بأهل بيته ، ثم بأخوانه وجيرانه ، ثم الأقرب فالأقرب ، ويتحرى المعروف والإحسان في أهل الدين والعلم منهم ، ويحتجب ضد ما قلنا ؛ لأن مثل من لم يفعل ما أومأنا إليه كما أنشدنى الحسين ابن أحمد البغدادي :

تصول على الأدنى ، وتجنب العدا      وما هكذا بُنِيَ للكارم يا يحيى  
فكنت كعجل السوء ينزو بأمه      ويترك باقي الخيل سائمة ترمى  
وأنشدنى الباسم :

وكنت كهريق الذى فى سقائه      لفرق ما فوق رايصة صلي  
كمرضة أولاد أخرى ، وضيمت      بنى بطنها ، هذا الضال من القصد  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يبتدىء بالصنائع قبل أن يسأل ؛ لأن الابتداء بالصنيعة أحسن من المكافأة عليها ، والإمساك عن التعرض خير من البذل ، والصنائع إنما تحسن بالتامها ، والتحافظ عليها بعدها ؛ لأن بصلاح الخواتم تركوا الأوائل ، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطية ، والناس فى الصنائع على ضربين : شاكرون ، وكافرون ، ولقد أنشدنى بعض إخواننا :

وما الناس فى حسن الصنيعة عندهم      وفى كفرهم إلا كبعض المزارع  
فزرعة طابت وأضعف ريعها      وعرزعة أكثرت<sup>(١)</sup> على كل رارع  
وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله      يكن ضائعا فى غير حمد ولا أجر  
وحسب امرئ من كفر نعيم جحودها      إذا وقعت عند امرئ غير دى شكر  
(١) أي منعت وخيبت ظن الزارع ، وأصله من السكدية ، وهى القطعة الصليطة الصلبة من الأرض لا يعمل العاس فيها .

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لسرك ما المعروف في غير أهله      وفي أهله إلا كبعض الودائع  
فستودع ضائع النوى كان عنده      ومستودع ما عنده غير ضائع  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : امتح من الناس إذا أحسن إليه يرى ذلك  
استحقاقا منه له ، ثم يرى الفضل لنفسه على المحسن إليه ، فلا يحمد عند الخير ،  
ولا يشكر عند البر ، ويتعجب من يشكر ، ويذم من يحمد ، وإذا امتحن العاقل  
يثل من هذا فنته استعمل معه ما أنشدني الكبري :

إن ذا اللوم إذا أكرمه      حبيب الإكرام حقازمك  
فأنه بهوان ، إنه      إن تهته بهوان أكرمك  
وأنشدني الأبرش :

إذا أوليت معروفا لثجا      يمدك قد قتلت له فتىلا  
فكن من ذاك معتذرا إليه      وقل : إني أنيتك مستقيلا  
فإن تغفر ، فيجترى عظيم      وإن عاقبت لم تظلم فتىلا  
ولست بعائد أبدا لهذا      وقد حلفتني رجلا تقيلا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : أها الصنائع وأحسنها في الحقائق ، وأوقمها  
بالقول ، وأكثرها استدامة للنعم ، واستدفاعاً للنعم ، ما كانت خالية عن المن في  
البداء والنهاية ، متعزية عن الامتنان ، وهو الغاية في الصنعة ، والنهاية في  
الإحسان .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أحسن من كل حسن في كل وقت وزمن  
صنعة . مربة خالية من السن

حدثنا محمد بن غدار بن محمد الحارثي بالبصرة حدثنا سهل بن زاذويه حدثنا

محمد بن أبي الدوامي عن أبيه قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :  
 ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها  
 من لم يؤاس الناس من فضلها عرض للإدبار إقبالها  
 فأخذ زوال الفضل ياحائراً واعط من الدنيا لمن سألها  
 فإن ذا العرش سريع الجزا يخلف بالحيمة أمثالها  
 حدثنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن أحمد بن النضر المعنى حدثني سعيد  
 حدثني أبوك - يعني أباه أحمد بن النضر - قال : كان بالكوفة قوم من العرب ،  
 فأصاب رجل منهم حاجة ، فكان عياله يغزلون ويبيعون ، وكان يشركهم ،  
 فقالوا : لا تعود علينا بشيء ، وما نكسب تشركنا فيه ، فأيف من قولهم ، فخرج  
 يؤم بغداد ، ولم يدخل بغداد قبل ذلك ، وليس له حميم ولا قريب بها ، فدخلها  
 ومراً على وجهه ، فرعى باب يعقوب بن داود كاتب المهدي ، فرأى قوما جلوساً  
 عليهم برّة فقال : ما أخلق هؤلاء دُعوا إلى وليمة ، لو دخلت معهم لعلّي أصيب  
 شعبة ، فاندس معهم ، فخرج الإذن ، فقال : ادخلوا ، فدخلوا إلى دار قوراء  
 كبيرة ، وإذا بهنّ في صدر الدار ، جلسوا في البهو بمنّة وبشرة ، وأخلوا الصدر  
 فجاء يعقوب فلم عندهم وقعد ، ثم قال : يا غلام ، هات ، فجاء بصوانٍ عليها  
 مناديل منقوشة بها ، وإذا فيها أكياس ، فقال : أعطهم ، فوضعوا في حجر كل  
 رجل منهم كيساً ، ووضعوا في حجرى كيساً حتى فرغ منهم ، ثم قال : أعد  
 عليهم ، فوضع في حجر كل رجل منهم كيساً ، ووضعوا في حجرى كيساً حتى  
 والى بين خمسة أكياس ، ثم قال : قوموا مبارككم لكم ، وقد تعينه الخدم ، وليس  
 له عندهم اسم ولم يعرفوه : فلما بلغ الدهليز ربطوه فصاح وصاحوا ، وسمع يعقوب  
 الصوت ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : رجل دخل مع هؤلاء القوم لانهرفه ، فقال :  
 على به ، فقال له : يا عبد الله ، ما أدخلك هذه الدار ؟ فقص عليهم القصة والسبب

الذى دخل له ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من يعرفك بالكوفة ؟ قال : يعرفني فلان وفلان ، فسي له قوما يعرفهم ، فقال : خلوا عن الرجل ، إما كاتبون إلى هؤلاء القوم : فإن كان الأمر على ما ذكرت ، ففعل كل سنة في هذا الوقت ، ولك عندها مثل هذا ، وكتب إلى القوم ، فسألهم فكتبوا بمعرفته ، فكان يحيى أيام حياته فيأخذ خمسة آلاف وينصرف

### ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام

حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ببغداد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إنى لأستحب للعاقل للمداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف : لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى ، ومن أعظم مراتب ذوى الحى ، ومن أحسن خصال أولى النهى ، ومن عرف باطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب ، وقصده الرضى والغائب ، وقرى الضيف يرفع المرء وإن رقى نسيه إلى منتهى بنيته ونهاية محبته ، وبشرقه برفيع الذكر وكال الذخر .

حدثنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا أبو مصعب حدثنا الدراوردي عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان إبراهيم الخليل أول من أضاف الضيف

حدثنا الأنصارى حدثنا الفلابى حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب حدثنا الأصمى أخبرنى نافع بن أبى نعيم قال : قال رجل من قد أدرك الجاهلية « قدمت

المدينة ، فإذا نادى ينادى : من أراد اللحم فليأت دار دُليم ، وهو جد سعد ابن عباد بن دليم سيد الخيزرج ، ثم ضرب الزمان من ضربه ، فقدمت المدينة ، فإذا نادى ينادى : من أراد اللحم فليأت دار عبادة ، ثم ضرب الزمان من ضربه فقدمتها ، فإذا نادى ينادى : من أراد اللحم فليأت دار سعد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد ، وانقاد له قومه ، ورجل إليه القريب والقاصي ، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام ، وإكرام الضيف

والعرب لم تكن تعدّ الجود إلا قرى الضيف ، وإطعام الطعام ، ولا تعد السخى من لم يكن فيه ثلث ، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الليل والليلين .

ولقد حدثني محمد بن المنذر حدثنا علي بن الحسن الفسطيني حدثنا أبو بكر السني حدثنا محمد بن سليمان القرشي قال : بينا أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف على الطريق في أذنيه قرطان ، وفي كل قرطة جوهرة يضى وجهه من ضوء تلك الجوهرة ، وهو يعبد ربّه بأبيات من شعر ، فسمعت يقول :

ملك في السماء به افتخاري عزيز القدر ليس به خفاء  
فدنوت إليه ، فسلمت عليه ، فقال : ما أنا براد عليك سلامك حتى تؤدى من حق الذي يجب لى عليك ، قلت : وما حقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ، لا أتدنى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الليل والليلين في طلب الضيف ، فأجبت به إلى ذلك ، قال : فرحبت بى وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر ، فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أختاه ، فأجابته جارية من الخيمة يالبيسكاه قال : تومى إلى ضيفنا هذا ، قال : فقالت الجارية : اصبر حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف ، قال : فقامت وصلت ركعتين شكراً لله ، قال :



فأدخلني الخيمة ، فأجلسني ، فأخذ الغلام الثَّغْرَةَ ، وأخذ عَنَاقاً له ليذبحها <sup>(١)</sup> ، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى جارية أحسن الناس وجهاً ، فكنت أسارقها النظر ، ففطنت لبعض لحظاتي ، فقالت لي : مه ، أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب - نفعي النبي صلى الله عليه وسلم - أن « زَكَّى العينين النظر » أما إني ما أردت بهذا أن أوبخك ، وأسكتني أردت أن أؤدبك لكيلا تعود لمثل هذا ، فلما كان وقت النوم بثتُ أنا والغلام خارج الخيمة ، وبانت الجارية في الخيمة ، قال : فكنت أسمع دويَّ القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقه ، فلما أن أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذلك ؟ قال : فقال : تلك أختي تحيي الليل كله إلى الصباح ، قال : فقلت : يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك ، أنت رجل وهي امرأة ، قال : فتبسم ، ثم قال : ويحك يا فتى ! أما علمت أنه موفق ومخدول .

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا ما أتاك الضيفُ فابداً بحقه قبل العيال ، فإنَّ ذلك أصوبُ <sup>(٢)</sup>  
وعظَّم حقوق الضيف واعلم بأنه عليك بما توليه مَنِّي وذاهب

أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس قال : صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكلَّ وحده .

حدثني محمد بن عثمان العمري حدثنا أبو أمية حدثنا عصام بن عمرو أبو حميد الطائي حدثنا عمرو بن هانيء قال : كان رافع بن عميرة بن عمرو السبسي - فخذ من طليح - يُفَدِّي أهل ثلاثة مساجد ، وبمشيهم ، يوماً بثراند ، ويوماً برطبة ، يعني الحبس . وماله قميص إلا قميص هو لجمته وهو للبيت .

(١) الثغرة - بالفتح - السكين . والعناق - بوزن السحاب - الأنثى من ولد العز

(٢) عجز هذا البيت لا يستقيم مع صدره ولا مع ما بعده

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل ابتغاء الأضياف ، وبذل الكسْب ؛ لأنَّ نعمة الله إذا لم تُصَنَّ بالقيام في حقوقها ترجع من حيث بدأت ، ثم لا يرفع من زالت عنه التلف عليها ، ولا الإفكار في الظفر بها ، وإذا أدى حق الله فيها استجلب الثناء والزيادة ، واستذخر الأجر في القيامة ، واستقصر إطعام الطعام .

وعنصر قرى الضيف هو ترك استحقاق القليل ، وتقديم ما حضر للأضياف ؛ لأنَّ من حَقَّر منع ، مع إكرام الضيف بما قدر عليه ، وترك الادخار عنه .  
ولقد حدثني كامل بن مكرم حدثنا محمد بن يعقوب القزحي حدثنا الوليد ابن شجاع حدثنا عتبة بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعي : ما إكرام الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه ، وطيب الكلام .

وأنشدني السكري في قوم لم يكونوا يضيفون :

أقاموا اللدَّيدانَ على بَقَاعٍ <sup>(١)</sup> وقالوا : لا نَمَّ للديديان  
إذا أبصرت شخصاً من بعيد فضنَّ بالبنان على البنان  
ترام خشية الأضياف خُرْساً يَصَلُّون الصلاة بلا أذان  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : أبخل البخلاء من يبخل بإطعام الطعام ، كما أن من أجود الجود بذله ، ومن ضنَّ بما لا بد للجنة منه ، ولا تربو النفس إلا عليه : كان بغيره أبخل ، وعليه أشجع .

ومن إكرام الضيف طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس ، فإنه لا يذلُّ من خدم أضيافه ، كما لا يبرِّء من استخدمهم ، أو طلب لقراء أجرأ .  
وأنشدني كامل بن مكرم أنشدني محمد بن سهيل :

وإني لطلق الوجه للبتنى القمري وإنَّ فسائى القمري لرحيب

أصاحك ضيفي عند إنزال رحله فيخصبُ عندي ، والحلُّ جديب  
وما الخصب للأضياف أن يكثُر القرى ولكنا وجه الكريم خصب  
وأنشدني الأبرش :

لا تبخلنَّ بدنيا ، وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والبسوف  
وإن تولتْ فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

أنيانا الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العقي عن أبي مخنف لوط بن يحيى  
حدثني هشام بن عروة عن أبيه : أن قيس بن سعد بن عبادة خرج من مصر ،  
فر بأهل بيت من القَيْن فزل بهم ، فنحر لهم صاحب المنزل جزوراً وأتاهم به ،  
فقال : دونكم ، فلما كان من الغد نحر لهم آخر ، ثم حبسهم الساء اليوم  
الثالث ، فنحر لهم مثله ، فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوباً من ثياب  
مصر وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ، وخرج قيس ، فحاصر إلا قليلاً  
حتى أتاه صاحب البيت على فرس كريم ورمح طويل ، وقدامه الثياب والدرهم ،  
فقال : يا هؤلاء ، خذوا بضاعتكم عني ، قال قيس : انصرف أيها الرجل ، فإننا لم  
نسكن لناخذها ، فقال الرجل : لتأخذنَّها ، أو لا ينفذ منكم رجل ، أو تذهب  
نفسى ، فغضب قيس منه ، وقال : لِمَ ؟ الله أبوك ! ألم تكرمنا وتحسن إلينا ؟  
فكفأناك ، ما في هذا من بأس ، فقال الرجل : إنا لا نأخذ القرى ابن السبيل  
وقرى الضيف ثمتاً ، لا والله لا أقبل أبداً ، قال لهم قيس : أما إذا أبي فخذوها  
منه ، فأنخذوها ، ثم قال قيس : ما فضلكي<sup>(١)</sup> رجل غير هذا .

حدثني أحمد بن عمرو الزينقي بالبصرة حدثنا الحسن بن مدرك السدوسي  
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله القرشي حدثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب  
قال : لأن أشيع كبدأ جائمة أحب إليَّ من حجة بعد حجة .

(١) فضلتى : زاد على في الفضل وأربى .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عيسى بن أبي موسى الأنصاري حدثني  
أبي حدثنا أحمد بن بشير عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان من دعاء قيس  
ابن سعد بن عباد « اللهم ارزقني مالا وفعالا ، فإنه لا يصلح الفعالم إلا بالمال » .

### ذكر الحث على المجازاة على الصنائع

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا عبد الرحمن بن بكر بن الربيع  
ابن مسلم ، قال : سمعت الربيع بن مسلم يقول : سمعت محمد بن زياد يقول : سمعت  
أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يشكر الناس  
لا يشكر الله » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على من أدى إليه معروف أن يشكره  
بأفضل منه أو مثله ، لأن الإفضال على المعروف في الشكر لا يقوم مقام ابتدائه  
وإن قلَّ ، فمن لم يجد فليثن عليه ؛ فإن اثناء عند العدم يقوم مقام الشكر  
للمعروف ، وما استغنى أحد عن شكر أحد .

ولقد أنشدني محمد بن زعيم البغدادي :

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد      إمرة مُلكٍ ، أو علو مكان  
لما أمر الله العباد بشكره      فقال : اشكروني أيها الثقلان  
وأنشدني الكريزي :

إذا المرء لم يشكر قليلا أصابه      فليس له عند الكثير شكور  
ومن يشكر المخلوق بشكر لربه      ومن يكمر المخلوق فهو كمنور

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

حافظ على الشكر كي تستجزل القسيما      من ضيع الشكر لم يستكمل النعما  
الشكر لله كنز لا نفاذ له      من يلزم الشكر لم يكسب به ندما

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الفلابي حدثنا العقبى قال : مر سعيد بن العاص  
بدار رجل بالمدينة فاستسقى فسلموه ، ثم مر بعد ذلك بالدار ومناذ ينادى عليها  
فيمر يزيد ، فقال لمولاه : سأل لم تباع هذه ؟ فرجع إليه فقال : على صاحبها دين ،  
قال : فارجع إلى الدار ، فرجع ، فوجد صاحبها جالسا وغريمه معه ، فقال : لم تباع  
دارك ؟ قال : لهذا على أربعة آلاف دينار ، فنزل وتحدث معهما ، وبعت غلامه  
فأتاه ببذرة فدفع إلى الغريم أربعة آلاف ، ودفع الباقي إلى صاحب الدار وركب  
ومضى .

وأشدنى المنتصر بن بلال :

ومن يسد معروفا إليك ، فكأن له      شكورا يكن معروفا غير ضائع  
ولا تبخل بالشكر ، والقرض فأجزه      تكن خير مصنوع إليه وصانع  
وأشدنى بعض أهل العلم :

فكن شاكرا للنعمين لفضلهم      وأفضل عليهم إذ قدرت وأنهم  
ومن كان ذا شكر فأهل زيادة      وأهل لبذل العرف من كان يُعْجِم  
وأشدنى الكريري :

أحق الناس منك بحسن عون      لمن سلفت لكم نعم عليه  
وأشكرهم أحقهم جميعا      بحسن صنيعه منكم إليه  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحر لا يكفر النعمة ، ولا يتسخط المصيبة ،  
بل عند النعم يشكر ، وعند المصائب يصبر ، ومن لم يكن لقلب المعروف عنده وقع  
أوشك أن لا يشكر الكثير منه ، والنعم لا تستقلب زيادتها ولا تدفع الآفات  
عنها إلا بالشكر لله جل وعلا ، ومن أسداها إليه .

ولقد حدثني أحمد بن محمد القيسي حدثني محمد بن النضر حدثنا إسحاق بن  
إبراهيم القرشي قال : سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول : مات لعبيد بن معمر

بنت ، فقامت في المآثم في مسجده في سكة سيانوش ، فجاء عبيد الله بن أبي بكره معزياً ، وإذا الأشراف قد أخذوا مواضعهم ، فنظر إليه رجل قد كان سبق إلى مجلسه مع الأشراف قد عرفه ، فقام قائماً ، وجعل يقول له : ههنا ، حتى أخذ بيده فأقصده في مجلسه ، ثم ذهب فقام في أخريات الناس ، فأمر عبيد الله غلاماً كان معه أن يتماهده إلى قيامه ، فلما قام دعا الرجل ، فقال : أتعرفني ؟ قال : نعم ، قال : من أنا ؟ قال أنت عبيد الله بن أبي بكره صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فما حلتك على تركك مجلسك لي ؟ قال : إجلالا لولد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أوجب الله على أمثالي خصوصاً من التبعيل ، فقال له عبيد الله : هل لك على أن تصحبنا إلى ضيعة نريد أن نصير إليها ؟ قال : نعم ، قال : فصحبه الرجل إلى تلك الضيعة في نهر مكحول ، ضيعة فيها ثلاثمائة جريسي نخل ، وعلى وجه الضيعة قصر بني بآجر وجص وخشب ساج ، فلما دخل الضيعة أخذ عبيد الله بيد الرجل وجعل يذوره في تلك الفخيل ، فقال للرجل : كيف ترى هذه الضيعة ؟ قال : تالله ما رأيت نخيلاً أحسن منها ، ولا أكثر ثمرة ، ولا أسرى ضيعة منها ، قال : قد جعلناها لك بما فيها من الخدم والآلة نبعت إليك بصكها ، قال : فاستطار الرجل فرحاً وبكاء ، وقال : أنصتني وأنصت عيالي ، فقال عبيد الله : وكم لك من العيال ؟ قال : ثلاثة عشر نفساً ، قال : فإني قد جعلت اسم عيالك في اسم عيالي ، أنفق عليهم ما عشت ، فقال له عبيد الله : من تكون له مثل هذه الضيعة يحتاج أن يكون منزله في سرّة البصرة ، إذا صرنا إلى منزلنا فأعد علينا تأمر بك بشراء دار تشبه هذه الضيعة ورأس مال وخدم تصلح لدارك تعيش بها إن شاء الله ، قال : ففدا الرجل عليه ، فأمر له بشراء دار بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف دينار ، ودفع إليه صك الضيعة ، وأمر له بدباة وبغل وسائس وكسوة وصرفه .

وَأَنشَدْنِي الْأَبْرَشَ :

الشُّكْرُ يَفْتَحُ أَبْوَابَ مَغْلَقَةٍ      اللَّهُ فِيهَا عَلَى مَنْ رَامَهُ نِعْمُ  
فِبَاهِرِ الشُّكْرِ ، وَاسْتَفْلِقَ وَثَاقَهُ      وَاسْتَدْفَعَ اللَّهُ مَا تَجَرَّى بِهِ النِّقَمُ

حدثنا أحمد بن الحسن المدائني بمصر قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول :  
أخذ رجل بركاب الشافعي ، فقال : ياربيع أعطه أربعة دنانير ، قال : فأعطيته إياها .  
وَأَنشَدْنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حَبِيبٍ :

وَمَنْ يَشْكُرُ الْعُرْفَ الصَّغِيرَ فَإِنَّهُ      سِينُمِي ، وَيَجْتَرُّ الزَّيْدَ أَصَاغِرَهُ  
وَمَنْ يَشْكُرُ الْمَعْرُوفَ يَحْمَدُ إِلَهُهُ      وَيُضِفُ أَضْعَافًا عَلَى الْحَدِّ شَاكِرَهُ  
وَأَنشَدْنِي ابْنُ زُهَيْبٍ الْبَغْدَادِيُّ :

وَإِذَا اصْطَنَعْتَ إِلَى أَخِي      لَكَ صَنِيعَةٌ ، فَأَنْسَ الصَّنِيعَةَ  
وَالشُّكْرَ مِنْ كَرَمِ الْفَتَى      وَالْكَفْرَ مِنْ لُؤْمِ الطَّبِيعَةِ  
وَالصِّبْرَ أَكْرَمُ صَاحِبِهِ      فَاصْبِرْ إِنْ نَزَلَتْ فِيهِ

حدثنا أحمد بن قريش بن بشر بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي  
حدثنا أحمد بن خليل حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم  
ابن آدم إذا صنع إليه أحد معروفًا حرص على أن يكافئه ، أو يتفضل عليه ، قال  
أبو عيسى : فلقيني وأنا على حمار ، وأنا أريد بيت المقدس ، جاثيًا من الرملة ، قال :  
وقد اشتري بأربعة دنانير تفاحًا وسَقَرًا جَلَا وَخَوْنًا وفاكهة ، فقال : يا أبا عيسى ،  
أحب أن تحمل هذا ، قال : وإذا عجزوز يهودية في كوخ لها ، فقال : أحب أن  
توصل هذا إليها ، فأتيت مررت وأنا عيس ، فبيعتني عندها ، فأحب أن أكافئها  
على ذلك .

وَأَنشَدْنِي الْكَرْبَزِيَّ :

يَذُ الْعُرُوفُ عَنْهُمْ حَيْثُ تُسَدَّى      تَحْمَلُهَا شُكُورٌ ، أَمْ كُنُورُ  
كَفَى شُكْرَ الشُّكُورِ لَهَا جِزَاءُ      وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكَفُورُ

وَأَشَدُّ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ :

رَهْنَتْ يَدِي لِلْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ رَبِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدٌ  
وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتَهُ وَلَكِنْ مَا لَا يَسْتَطَاعُ شَدِيدُ  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَشْكُرَ النِّعْمَةَ ، وَيَحْمَدَ  
الْمَعْرُوفَ عَلَى حَسَبِ وَسْعِهِ وَطَاقَتِهِ ، إِنْ قَدَرَ فَبِالضَّعْفِ ، وَإِلَّا فَبِالْمَثَلِ ،  
وَالْأَقْبَالَ مَعْرِفَةَ بَوَاقِيعِ النِّعْمَةِ عِنْدَهُ ، مَعَ بَذْلِ الْجَزَاءِ لَهُ بِالشُّكْرِ ، وَقَوْلُهُ : جِزَاكَ اللَّهُ  
خَيْرًا ، فَمَنْ قَالَ لَهُ ذَلِكَ عِنْدَ الْعَدَمِ فَكَأَنَّهُ أَيْلَغُ فِي الثَّنَاءِ .

وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَكْفُرُ النِّعْمَ ، وَكَفَرَانَ النِّعْمِ يَكُونُ مِنْ أَحَدِ رَجُلَيْنِ : إِمَّا  
رَجُلٌ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِأَسْبَابِ النِّعْمِ وَالْجَازَاةِ عَلَيْهَا ، لَمَّا لَمْ يَرْكَبْ فِيهِ مِنَ التَّفَقُّدِ لِمُرَاعَاةِ  
الضَّرَةِ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجِبَ الْإِعْضَاءُ عَنْهُ ، وَتَرَكَ الْمُنَاقَشَةَ عَلَى فِعْلِهِ ، وَالرَّجُلُ  
الْآخَرُ : أَنْ يَكُونَ ذَا عَقْلِ لَمْ يَشْكُرِ النِّعْمَةَ ، اسْتِخْفَافًا بِالنِّعْمِ ، وَاسْتِحْقَارًا لِلنِّعْمَةِ ،  
وَتَهَاوُنًا فِي نَفْسِهِ لَهَا أَوْ لِأَحَدِهَا ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ تَرْكُ الْعُودِ  
إِلَى فِعْلِ مِثْلِهِ ، وَالخُرُوجُ بِاللَّامَةِ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا كَانَ لَهُ خَيْرَةٌ بِهِ .

وَأَشَدُّ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ :

عَلَامَةُ شُكْرِ الْمَرْءِ إِعْلَانُ حَمْدِهِ فَمَنْ كَتَمَ الْمَعْرُوفَ مِنْهُمْ فَمَا شُكِرَ  
إِذَا مَا صَدِيقِي نَالَ خَيْرًا ، فَهَاتَنِي فَمَا الذَّنْبُ عِنْدِي لِلَّذِي خَانَ أَوْفَجِرُ  
وَلَكِنْ إِذَا أَوْفَرْتَهُ بَعْدَ كُفْرِهِ فَأَيُّ مَلُومٍ حَيْثُ أَوْفَرْتَهُ مَنْ كَفَرَ

وَأَشَدُّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ حَبِيبٍ :

إِذَا أَنَا أُعْطِيتُ الْقَلِيلَ شُكْرْتُمْ وَإِنْ أَنَا أُعْطِيتُ الْكَثِيرَ فَلَا شُكْرُ  
وَمَا لِمَتِ نَفْسِي فِي قِضَاءِ حَقُوقِكُمْ وَقَدْ كَانَ لِي فِيهَا اعْتَذَرْتُ بِهِ عَذْرُ  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي لَأَسْتَحِبُّ لِلْمَرْءِ أَنْ يَلْزِمَ الشُّكْرَ لِلصَّنَائِعِ  
وَالسُّمَى فِيهَا مِنْ غَيْرِ قِضَائِهَا إِذَا كَانَ النِّعْمُ مِنْ ذَوِي الْقَدْرِ فِيهِ ، وَالْإِهْتِمَامُ بِالصَّنَائِعِ ،



لأن الاهتمام ربما فاق المعروف ، وزاد على فعل الإحسان . إذ المعروف يعمل المرء لنفسه ، والإحسان يصطنعه إلى الناس ، وهو غير مهم به ، ولا مشفق عليه ، وربما فعله الإنسان وهو متكاه . والاهتمام لا يكون إلا من قرط عناية وفضل ود ، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكره المعروف .

أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

لأشكرنك معروفاً همته به      إنَّ اهتمامك بالمعروفِ معروفُ

ولا أؤمّنك إن لم يمضه قدرٌ      فالشيء بالقدر المحبوب مصروفُ

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

بظير النعمة مَنْ ضيّعها      ومُضَيِّعُ الشكر مُستدعى الغيرة

فاجعل الشكر عليها حارساً      ربما ابتزَّ القبي النعمى البطر

حدثني عمرو بن محمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا محمد بن عبد الله الجشعي حدثنا علي بن محمد قال : مر عمر بن هبيرة - لما انصرف في طريقه - فسمع امرأة من قيس تقول : لا والذي ينجي عمر بن هبيرة ، قال : يا غلام ، أعطها ما معك ، وأعطها أني قد نجوت .

### ذكر الحث على سياسة الرياسة ، ورعاية الرعية

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا مؤمل ابن إسماعيل حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلَّكم راع ، وكلُّكم مسئول عن رعيته ، فالأمير راع على رعيته ، ومسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : صرحت السنة عن المصطفى صلى الله عليه

يوسم ، بأن كل راع مسئول عن رعيته ، فالواجب على كل من كان راعياً لزوم التعاهد لرعيته ، فرعاة الناس العلماء ، وراعى الملوك العقل ، وراعى الصالحين تقواهم . وراعى المتعلم معلمه ، وراعى الولد والده ، كما أن حارس المرأة زوجها ، وحارس العبد مولاه ، وكل راع من الناس مسئول عن رعيته .

وأكثر ما يجب تعاهد الرعية للولوك ؛ إذ هم رعاة لها ، وهم أرفع الرعاة لكثرة نقاذ أمورهم ، وعقد الأشياء وحلها من ناحيتهم ، فإذا لم يراعوا أوقاتهم ولم يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا ، وربما كان هلاك عالم في فساد ملك واحد ، ولا يدوم ملكٌ ملك إلا بأعوان تطيعه ، ولا يطيعه الأعوان إلا بوزير ، ولا يتم ذلك إلا أن يكون الوزير ودوداً نصوحاً ، ولا يوجد ذلك من الوزير إلا بالصفاء والرأى ، ولا يتم قوام هؤلاء إلا بالمال ، ولا يوجد المال إلا بصلاح الرعية ، ولا تصلح الرعية إلا بإقامة العدل ، فكان ثبات الملك لا يكون إلا بلزوم العدل ، وزواله لا يكون إلا بفارقه .

فالواجب على الملك أن يتفقد أمور عماله ، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ، ولا إساءة مسيء ، لأنه إذا خفى عليه أعمال عماله لم يكن قائماً بالعدل .

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا سُئِلْتُ قوماً فأجعل العدل بينهم وبينك ، تأمن كلَّ ما تتخوفُ

وإن خِفْتُ من أهواء قوم أشتا فبالجود فأجمع بينهم يتألقوا

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا العلابي ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضي حدثنا الأصمعي قال : قال ملك طخارستان لنصر بن سيار : ينبغي للامير أن يكون له ستة أشياء : وزير يتق به ويفضى إليه بسرّه ، وحصان يلجأ إليه إذا فرغ أنجاه يعني فرساً ، وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف أن يخونه ، وذخيرة خفيفة الحمل إذا نابته نابتة أخذها ، وامرأة إذا دخل إليها أذهبت همه ، وطباخ إذا لم يشتته الطعام صنع له شيئاً يشتهيّه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للسلطان أن يفرط البشاشة والمهاشة للناس ، ولا أن يقلّ منها ؛ فإن الإكثار منها يؤدى إلى الخفة والسخف ، والإقلال منها يؤدى إلى العجب والكبر ، ولا ينبغي له أن يفتضح لأن قدرته من وراء حاجته ، ولا أن يكذب ؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه ، ولا له أن يبخل ؛ لأنه لا عذر له في منع الأموال والجاه معاً ، ولا له أن يتحد ؛ لأنه يجب أن يترفع عن الجأزة ، فأفضل السلطان ما لم يخالطه البطر ، وأعجزهم أخذهم بالهويّات ، وأقلهم نظراً في المواقب ، وخير السلطان من أشبه النسر حوله الجيف ، لا من أشبه الجيف حوله النسر .

ويجب عليه استبقاء الرياسة وما فيه من نعمة الله عليه بلزوم تقوى الله ، وتقيد أمور الرعية ، وإنصاف بعضهم بعضاً ؛ لأنه مامن قوى في الدنيا إلا وفوقه أقوى منه ، فحتى ما عرف السلطان فضل قوته على الضعفاء فقرّم ذلك من قوة الأقوياء كانت قوته حينئذ عليه وهلاكاً له ، والضعيف المحترس أقرب إلى السلامة من القوى المفرّج ؛ لأن سرعة الاسترسال لانكاد يستقال ، ولا يجب أن يجعل في سلطانه بعباب من يخاف أن يندم عليه ، ولا يتقن بمن عاقبه من غير حرم .

وما أشبه السلطان إلا بالنار ، إن قصرت بطل نفعها ، وإن جاوزت عظم ضررها ، فخير السلطان من أشبه النعيث في أحيائه في نفع من يليه ، لا من أشبه النار في أكْلِها ما يليها .

والسلطان إذا كان عادلاً خير من المطر إذا كان وابلاً ، وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم ، والناس إلى عدل سلطانهم أحوج منهم إلى خصب زمانهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الثعالبي ، حدثنا مرجى بن المؤمل بن المشي للرى عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الولي من الرعية مكان الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا به ، وموضع الرأس من أركان الجسد الذي لا بقاء له إلا معه » .

وأشددى ابن زنجى البغدادى للأفوه الأودى :

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ قَوْضَى لِمَسْرَآةٍ لَهُمْ وَلَا سَرَاةٍ إِذَا جُهَا لَهُمْ سَادُوا  
وَالْبَيْتُ لَا يُبْتَقَى إِلَّا بِأَعْمَدَةٍ وَلَا عِمَادَةٌ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ  
فَإِن تَجْمَعُ أَوْتَادُ وَأَعْمَدَةٌ وَسَاكِنٌ أَهْرَكُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا  
تُهْذِي الْأُمُورَ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَاحَتْ فَإِن تَوَلَّتْ فَبِالْأَثَرِ تَنْقَادُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على السلطان قبل كل شئ، أن يبدأ بتقوى الله وإصلاح سريره بينه وبين خالقه ، ثم يتفكر فيما قلده الله من أمر إخوانه ، ورفعه عليهم ؛ ليعلم أنه مسئول عنهم في دِقِّ الأمور وجِلِّها ، ومحاسبٌ على قليلها وكثيرها ، ثم يتخذ وزيراً صالحاً عاقلاً غفياً نصحاً ، وعمالاً صالحين بَرَّةً راشدين ، وأعاوناً مستورين ، وخداماً معلومين ، ثم يقدر عماله ما لا غنى له عنهم ، ويشترط عليهم تقوى الله وطاعته ، وأخذ المال من حله ، ويفرقه في أهله ، ثم يفقد أمر بيت المال بأن لا يدخله حبةٌ فما فوقها من قَهَرٍ أو جَوْرٍ ، أو سلبٍ أو نهبٍ أو رشوة ؛ فإنه مسئول عن كل ذرَّة منه ، ومحاسب على كل حبة فيه ، ثم لا يخرجها إلا في المواضع التي أمر الله جل وعلا في سورة الأنفال <sup>(١)</sup> .

ثم يفقد أمور الحرمين وطريق الحاج ومجاورى بيت الله وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يفقد ثغور المسلمين ، ولا يولى على الثغور من عماله إلا من يعلم أن القتل في سبيل الله يكون آثر عنده من البقاء في الدنيا ليعزى الناس ولا يعطل الثغر .

---

(١) في قوله تعالى (٨ : ٤١) واعلموا أنما غنمتم من شئ. فإن لله خمسة وللرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل — الآية ) : والآيات في هذا المعنى كثيرة

ثم يتفقد ثنور المسلمين ومراقبهم والأبرجة التي بين المسلمين وبين عدوهم ، بأن يهرها ويقيم فيها أعيننا من المسلمين تتجسس أخبار العدو ويُجرى عليهم من بيت مالهم .

ثم يتفقد أولاد المهاجرين والأنصار بعطائهم ، ويعرف فضيلتهم ، وسابقة آبائهم ، وأنه إنما نال ما نال بهم .

ثم يتفقد أمور الحكم بأن لا يولى أحداً على قضاء المسلمين إلا من يعلم منه العفاف والعلم ، وترك الميل إلى الهوى والحكم بغير ما يوجبه العلم .

ثم يتفقد أهل العلم والقراء والمؤذنين والصالحين وضعفاء المسلمين ، وليكن لمن هو أصرُّ سبباً منه أبا ، ولين هو أكبر منه ابناً ، ولأترابه <sup>(١)</sup> أخواً ، فيكون في تفقد أمورهم ولصلاح أسبابهم أكثر من تفقدهم بأنفسهم .

ثم يختار من الرعية أقواماً أمناء ، يبعث بهم في كل سنة إلى المدن ، ليشرفوا على العمال والحكام ، ويتفقدوا أسبابهم وسيرهم ، ويخبروه بها فيزل من استحق منهم العزل ، ويُقرَّ من اتبع الحق .

ثم يجعل لنفسه موضعاً لا يتبع منه لطرح القصص ، ويبرز للرعية في كل يوم مرة ، أو في كل ثلاثة أيام ، أو في كل أسبوع ، فيرفعوا إليه حوائجهم ، وليجتنب الحدة ويلزم الحلم الدائم فيما يرد عليه من أسبابهم .

واقف حدثنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن زنبور ، حدثنا أبو بكر ابن عياش ، أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسودون عليهم أحداً لشجاعة ولا لسخاء إنما كانوا يسودون من إذا شتمهم حكمهم ، وإذا سئل حاجة قضاها ، أو قام معهم فيها .

وأنشدني الأبرش :

وقد بُدِّفَضُ الحَيَاتِ أولادُ آدم وأخضُ ما فيها إليهم رءوسها

(١) الأتراب : جمع ترب . بالكسر . وهو المساوي لك في السن

وما ابتليت يوماً بشرٍ قبيلةً أضربَ عليها من سَمِيهِ يسوسُها  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يستحق أخذ اسم الرياسة حتى يكون فيه  
ثلاثة أشياء : العقل ، والعلم ، والمنطق .

ثم يترعى عن ستة أشياء : عن الحدة ، والعجلة ، والحسد ، والهوى ، والكذب ،  
وترك المشاورة .

ثم يلزم في مياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء : الرفق في الأمور ، والصبر  
على الأشياء ، وطول الصمت .

فمن تعرى عن هذه الأشياء - وهو ذو سلطان - عى عليه قلبه ، وتشتت عليه  
أموره ، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال نقص من ضوء بصر قلبه مثلها ،  
ودخل الظلل في أموره نحوها .

وإنما مثل الرئيس والرية : كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد ؛ فإن لم يكن  
ذلك القائد أحد الناس بصراً ، وألطفهم نظراً ، كان خليقاً أن يوقعهم وإياه  
في وُحْدَةٍ تَنَدُّقُ أعناقهم وعنقه معهم .

والواجب على السلطان أن لا ينفل عن الأشياء الأربعة التي صلاحه في دينه  
ودنياه فيها ، وهى ما حدثنا به عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن  
عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني قال « خرج الزهري يوماً من عند هشام بن  
عبد الملك فقال : ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت به كأربع كلمات تكلم بهن رجل  
أثقا عند هشام بن عبد الملك ، فقيل له : وما هن ؟ قال : قال له رجل : يا أمير  
المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات ، فيهن صلاحُ مملكتك ، واستقامة رعييتك .  
قال : هاتهن ، قال : لا تبعِدَنَّ عِدَّةَ لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك  
المرتقى ، وإن كان سهلاً ، إذا كان المنحدرَ وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاءاً ،  
فأتقِ المواقب ، وأن للأُمور بنتات ؛ فكن على حذر .

وأنشدني المنتصر بن بلال :

بلاء الناس مذ كانوا إلى أن تأتي الساعة  
بحب الأمر والنهي وحب السمع والطاعة  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل طلب الإمارة ؛ لأن من أوتيتها  
عن مسألة وُكِّلَ إليها ، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها ، ومن اشتهر  
بالرياسة فليحترز ؛ لأن الريح الشديدة لا تحطم الكلا ، وهي تحطم دُوح الشجر  
ومَشِيدَ البنيان .

وليلزم المشورة ؛ فإن في المشورة صلاح الرعية ومادة الرأي ، وليصطنع إلى  
الناس كافة في الوقت الذى يقدر على الصنائع والمعروف قبل أن يمجئه الوقت الذى  
يفقد فيه القدرة عليها ، وليعتبر بمن كان قبله من الملوك والأمراء والسادة والوزراء  
لأن من ظفر بأمر جسيم فأضاعه فاتمه ، ومن أمكنته القرصة فأخر العمل فيها  
لا تنكاد تعود إليه .

والساضنة بما هي قول الحق والعمل بالعدل ، لا التفاخر في الدنيا واستعمال البذل .  
ولقد حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ،  
حدثنا عبد الله بن سليمان قال : قال أبو عمرة بن الملا : كانوا لا يسودون إلا من  
تكاملت فيه ست خصال وتماهن في الإسلام السابعة : السخاء ، والنجدة ، والصبر  
والحلم ، والبيان ، والتواضع ، وتماهن في الإسلام الحياء .  
وأنشدني الكريزى :

إذا نلت الإمارة فاسمُ فيها إلى العلياء بالعمل الوثيق  
بمحض خليقة لا عيب فيها وليس المحض كاللبن المذيق<sup>(١)</sup>  
ولا تكُ عندها حلواً فتُحسى ولا مرّاً فتُنشَب في الخلو

(١) المحض : الخالص في جنسه لا يشوبه شيء من جنس آخر ، واللبن المذيق :  
المخلوط بالماء .

وكلُّ إمارة إلا قليلا مَخَوِّرة الصديق عن الصديق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته ؛  
لأن من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بَشَّةً<sup>(١)</sup> ؛ فقد خان نفسه  
ومن يصحب السلطان لا ينجو من الآثام ، كما أن راكب العجل لا يأمن العثار ،  
ولا يجب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه ، ولا عقوبته إن كذبه ، ولا يجترىء  
عليه ، وإن أدناه ؛ لأن الحازم العاقل لا يشرب السم اتكالا على ما عنده من  
الترياق والأدوية .

وإنى لأستحب لمن امتحن بصحبة السلطان أن يعلمه لزوم تقوى الله والعمل  
الصالح ، كأنه يعلم منه ، ويؤدبه كأنه يتأدب به ، ويتقى سخطاته ، والسخط إذا  
كان عن علة كان الرضا عنه موجودا ، وإذا كان من غير علة ينقطع حينئذ الرجاء  
ولا يجب أن يعلم كلَّ مائتاتى الملوك من أمورها ؛ لأن في معرفتهم إياها بعض الفتنة  
وهيئات ! من ذاصب السلطان فلم يفتن ، ومن اتبع الهوى فلم يعطب ، إن الشجرة  
الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرتها ، وربما كان ذنب الطاووس الذى  
فيه جماله سببَ حنقه ؛ لأنه يثقله حتى يمتنع من الحرب ، ومن صحب السلطان لم  
يأمن التغير على نفسه ؛ لأن الأنهار إنما تكون عذبة ما لم تنصب إلى البحور ، فإذا  
وقعت فى البحور ملحت ، على أن قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة فى نور  
علمهم ، وكثرة غشياتهم إياهم غشارة على قلوبهم ، ومن صحب الملوك لم يأمن تغيرهم  
ومن ذليلهم لم يأمن تفقدهم ، وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها تخلفهم ، وإن  
عزم على شئ لم يجد بدا من مؤامرتهم ، وأصبح شئ بالملوك الحنطة .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ، حدثنا يحيى بن معين ،  
حدثنا المبارك بن سعيد الثورى قال : كان يقال : خمس خلال هن أقيح شئ



بمن كنّ فيه : الحدة في السلطان ، والكبر في ذى الحسب ، والبخل في الفنى ،  
والحرص في العالم ، والفتوة في الشيخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رؤساء القوم أعظمهم هموما ، وأدومهم غموما ،  
وأشغلهم قلوبا ، وأشهرهم عيوباً ، وأكثرهم عدواً ، وأشدّهم أحزاناً ، وأنكاهم .  
أشجاناً ، وأكثرهم في القيامة حساباً ، وأشدّهم — إن لم ينعف الله عنهم — عذاباً .  
ومن أحسن ما يستمين به السلطان على أسبابه ، اتخاذ وزير غفيف ناصح على  
ما تقدم ذكرنا له ؛ فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن  
سوّلت له نفسه سبّه صده ، وإن أراد طاعة نشطه ، فهو المحبب له إلى الناس ،  
والمستجلب له دعاهم .

ولقد أنشدني على بن محمد البسامي :

إذا نسي الأمير قضاء حق فإنّ الذنب فيه للوزير  
لأنّ على الوزير ، إذا تولى أمور الناس ، تذكير الأمير

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على كل من يفشى السلطان وامتنحن  
بصحبته أن لا يبد شتمه شتماً ، ولا إغلاظه إغلاظاً ، ولا التقصير في حقه ذنباً ؛  
لأن ربح العزة بسطت لسانه ويده بالملظة ، فإن أنزله الوالى منزلة رفيعة من نفسه  
فلا يثمن بها ، وليجانب معه كلام اللّقي والإكثار من الدعاء في كل وقت ،  
وكثرة الانبساط ، فربّ كلمة أثارت الوحشة ، بل يمتهد في توقيره وتعظيمه عند  
الناس ، فإن غضب فليحتلّ في نكسين غضبه باللين والمدارة ، ولا يكون سبباً  
لتهييجه .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الملايى ، حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال :  
بعث أبو جعفر إلى جعفر بن محمد قال : إني أستشيرك في أمر ، إني قد تأنيت أهل

المدينة مرة بعد أخرى فلا أراهم يرجعون ، ولا يُعْتَبَرُونَ<sup>(١)</sup> . وقد رأيت أن أبعث فأحرق نخلها ، وأُغَوِّرَ عيونها . فما ترى ؟ فسكت جعفر . فقال : مالك لا تكلم ؟ قال : إن أذنت لي تكلمت . قال : قل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قَدَّرَ فقفر . وقد جعلك الله من النسل الذي يعفون ويصفحون . قال : فطفي . غضبه وسكن .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد عن محمد بن حميد بن فروة عن أبيه قال : لما استقرت للأُمُونُ الخلافة ، دعا إبراهيم بن مهدي المعروف بابن سَكَلَة ، فوقف بين يديه ، فقال : أنت الثوب علينا تدعى الخلافة ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، أنت ولي الثَّارِ ، مُحْكَمٌ فِي الْقِصَاصِ ، وَالْعَفْوِ أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن أخذت أخذت بحق ، وإن عفوت عفوت بفضل ، ولقد حضرت أبي وهو جدك أني برجل كان جرمه أعظم من جرمي ، فأمر الخليفة بقتله وعنده المبارك بن فضالة ، فقال المبارك بن فضالة : إن رأي أمير المؤمنين أن يستأني في أمر هذا الرجل حتى أحدثه بحديث سمعته من الحسن يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إيها يامبارك ، قال : حدثني الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش : أَلَا لِيَقُمَ الْعَافُونَ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، فلا يقوم إلا من عفا ، فقال الخليفة له : يامبارك ، قد قبلت الحديث ، وعفوت عنه ، أخرج أيها الرجل ، فلا سبيل لأخذ عليك ، فقال الأُمُون : يا عم ، هاهنا ، يا عم ، هاهنا » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على مَنْ مَلَكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ الرجوع إلى الله جل وعلا في كل لحظة وطرفة ؛ لِثَلَا يَطْغِيَهُ مَاهِرٌ فِيهِ مِنْ تَسْلُطِهِ ، بل يذكر

(١) يعتبرون - ضم حرف المضارعة - يزبلون عني عليهم بترضيهم إياي .

عظمة الله وقدرته وسلطانه ، وأنه هو المنتقم عن ظلم ، والمجازي لمن أحسن ، فليزم في أمرته السلوك الذي يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين ، وليستبرأ من كان قبله من أشكاله ، فإنه لا محالة مسئول عن شكر ما هو فيه ، كما هو لا محالة مسئول عن حيايه ، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة : ألم أحملك على الخير ، ووزقتك النساء ، وجعلتك ترأساً وترجيعاً فيقول : بلى ، فيقول : فأين شكر ذلك ؟ »

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

يدبر أسباب الرجال مؤمراً إذا صلحت في الصدر أشتى وأبين  
من العقل أن تحتاط فيها وإيته ونحسم ما عشاء ، والأمر يمكن

### ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام ، حدثنا عبد الله بن هاني بن عبد الرحمن بن أبي عتبة ، حدثنا أبي عن عمه إبراهيم بن أبي عتبة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى في يده ، آمناً في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا <sup>(١)</sup> يا ابن جعشم يكفيك منها ماسد جوعتك ، ووارى عورتك ، فإن يكن ثوباً تلبسه فذاك ، وإن كانت دابة تركبها فيخ فلتق الخبز ، وماء الحب ، وما فوق الإزار حساب عليك » .

(١) كذا في الأصل ، وليس لسراقة بن مالك بن جعشم ذكر في الحديث ، ولعله حديثان ، وفي الترغيب والترهيب : يروي عن ثوبان قال : قلت « يا رسول الله ما يكفي من الدنيا ؟ قال : ماسد جوعتك ، ووارى عورتك ، وإن كان لك بيت يظلك فذاك ، وإن كانت لك دابة فيخ » رواه الطبراني في الأوسط .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يمتد بالدينا وزهرتها ، وحسنها وبهجتها ، فيشتغل بها عن الآخرة الباقية ، والنعم الدائمة ، بل ينزلها حيث أنزلها الله ؛ لأن عاقبتها لاحالة تصير إلى فناء ، يحزب عمراتها ، ويموت سكانها ، وتذهب بهجتها ، وتبيد خضرتها ، فلا يبقى رئيس متكبر مؤمّر ، ولا فقير مسكين محترق ، إلا ويجرى عليهم كأس المنايا ، ثم يصيرون إلى التراب ، فيلبون حتى يرجعون إلى ما كانوا عليه في البداية إلى القضاء ، ثم يرث الأرض ومن عليها علام النبوء ، فالعاقل لا يركن إلى دار هذا ضتها ، ولا يطمئن إلى دنيا هذه صفتها ، وقد ادخر له ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيضن بترك هذا القليل ، ويرضى بغوت ذلك الكثير .

حدثنا محمد بن السيب بن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال : سمعت بشر بن الحارث يقول :

لا تأس في الدنيا على فائتٍ      وعندك الإسلام والعافية  
إن فات أمرٌ كنت تسعى له      ففيها من فائتٍ كافية

وأشدنى الكويزي ، أنشدني شعيب بن أحمد سليمان بن يزيد العدوي :

ألم تر أن المرء بُودى شبابه      وأنَّ الدنيا للرجال تشبُّ  
فمن ذائق كأساً من الموت مُرَّةً      وآخرَ أخرى مثلها يترقبُ  
لها منهم زادٌ حيث وسائق      وكل يكأس الموت يوماً مشربُ  
وما وارثٌ إلا سيورث ماله      ولا سالبٌ إلا وشيكاً سيُسلبُ  
ولا آلفٌ إلا سيتبع إلقه      ولا نعمة إلا تبيد وتذهب  
وما من مُتأنٍ وللمصائب حجة      يعاورها المصبران إلا سيضطربُ  
أرى الناسَ أصنافاً أقاموا بقربة      تغلبهم أيامها وتقلَّبُ  
بدارٍ غرور حلوة يمرونها      وقد عابثوا فيها زوالاً وجربوا

بذمون دنيا لا يريحون دَرَّها فلم أر كالدنيا تدم وتحلب  
تسرم طورا ، وطورا تُدَيِّقهم مَضِيضَ مكاوٍ حَرَّها يتلعب  
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبيد الله قال : عاد  
رجل مريضا فسمع قائلا يقول من ناحية البيت :  
ناد ربَّ الدار ذا المال الذي جمع الدنيا بحرص : ما فعل ؟  
فأجابه بحيب :

كان في دار سواها دارُهُ علته بالني ، ثم انتقل  
لم يمتنع بالذي كان حَوَى من حطام المال ، إذ حلَّ الأجل  
إنما الدنيا كظلي زائل طلعت شمسٌ عليه فاضحل  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : رأيت على حجر بطبرستان مكتوب :  
العيش لوزان : فلو ومرَّ والدر نصفان : قريف<sup>(١)</sup> وضر  
والنطق جزآن : فبعر ، ودُرَّ والناس اثنان : فذل ، وحر  
يومك يومان : فخير ، وشر نهار يزول ، وليل يُكرُّ  
وكذاك الزمان على من مضى وكل السنين على ذا تمرَّ  
وأنشدني الأبرش :

إنما الدنيا نهارٌ ضوءها ضوء معارُ  
بيننا عُصْنُكَ غَضٌّ ناعمٌ فيه اخضرار  
إذ رماء زمانه فإذا فيه اصفرار  
وكذاك الليل يأتي ثم يحويه النهار  
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

(١) الريف - بالكسر - أرض فيها زرع وخصب ، وسعة في المأكل والشرب .  
والآيات غير متسقة الوزن .

يلائمَ الدهرُ إذا ما نسا      لائِمَ الدهرِ على غَدْرِه  
 الدهرُ مأمورٌ له أمرٌ      ينصرف الدهرُ إلى أمره  
 كم كافرٍ بالله أمواله      تزداد أضعافاً على كفره  
 ومؤمن ليس له درهمٌ      يزداد إيماناً على فقره  
 لاخير فيمن لم يكن عاقلاً      ييسط رجله على قدره  
 وأنشدني الكركزي :

ما الدهر إلا ليلَةٌ ويومٌ      والعيش إلا بقطعة ونومٌ  
 يعيش قوم ، ويموت قوم      والدهر قاضٍ ماعليه لومٌ  
 أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا إسحاق  
 الموصلي قال : قال أبو حازم : بضاعة الآخرة كالسدة ، فاستكثر منها في أوان  
 كسادها ؛ فإنه لو جاء أوان نفاتها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير .  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : الدنيا بحر طَفَّاح ، والناس في أمواجها يعمون ،  
 وفي أمثال تضربها الأيام للأنام — وما أكثر أشباهها منها — لأن كل ما يصير  
 إلى فناء منها يشبهها ، فمن أوقى من الدنيا أشياء ثلاثة فقد أوقى الدنيا بحذاقيرها :  
 الأمن ، والقوت ، والصحة ، لا يغتر بشيء منها إلا كل خداع ، ولا يركن إليها  
 إلا كل مناع .

فالماعل يعلم أن ما لم يبق لغيره عليه غير باق ، وأن ما سلب عن غيره لا يترك  
 عليه ، فالتقصّد إلى ما يعود بالنفع في الآخرة للماعل من الدنيا ، أخرى من السلوك  
 في قصد الصن بها ، والجمع لها من غير تقديم ما يقدم عليه في الآخرة من الأعمال  
 الصالحة ، وترك الاعتراض بها والاعتبار بتقلبها بأهلها ، ولا شيء أعظم خطراً من  
 الحياة ، ولا غبن أعظم من إفنائها لتغير حياة الأبد ، ومن انتهى أن يكون حراً  
 فليجتنب الشهوات ، وإن كانت للدينه ، وليلم أن كل لذيذ ليس بنافع ، ولكن

كل نافع هو اللذيق ، وكل الشهوات مملولة إلا الأرباحَ فإنها لامل ، وأعظم الأرباح الجنة ، والاستغناء بالله عن الناس .

ولقد أنشدني علي بن محمد الباسي :

فأعظم بصير للزمان ، فإنه على حالة المكروه ليس بدائم  
تدورُ لنا أفلاكه بعجائب إذا ما انقضت كانت كأحلام نائم  
سُرورٌ وهمٌ وانتعاشٌ ، وسقطه إلى أجلٍ دانٍ لذلك هادم  
وبالله دون الناس ، فاستغن واستغن إذا أنزلت إحدى الأمور العظام  
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

والناس في هذه الدنيا على رتب هذا يحطُّ ، وذا يعلو فيرتفعُ  
فأخلصي الشكر فيها قد حُييتَ به وآثرِ الصبر ، كلٌّ سوف ينقطع  
وأنشدني المنتصر بن بلال :

فيوم علينا ويوم لنا ويوماً نساءً ، ويوماً نُسرَّ  
كذاك التقارض بين الأنام فخير بخير ، وشرٌّ بشر

أنبأنا محمد بن عبد الله بن الجنيد ، حدثنا عبد الوارث بن عبد الله عن عبد الله عن مسعر عن معن بن عون قال : كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومتنظري غداً لا يدركه ، لو تنظرون إلى الأجل وسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى للعاقل إلى إزاله الدنيا منزلتها ، ترك الركون إليها مع تقديم ما قدّر منها للعيش الدائم ، والنعيم القيم هو ترك حلول الأمل ، ومراقبة ورود الموت عليه في كل لحظة ومطرفة ؛ لأن طول الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسراب أخلف من رجاء ، وخاب من رآه .

فالعاقل يلزم تركها ، مع الاعتبار الدائم بمن مضى من الأمم السالفة ، والقرون الماضية ، كيف عَفَّتْ آثارهم ، واضمحلت أنباؤهم ، فابق منهم إلا الذكر ، ولا

من ديارهم إلا الرسم ، فسبحان من هو قادر على جمعهم للجزء والعقاب .  
ولقد أنشدنا عمرو بن محمد ، قال : أنشدنا الغلابي قال : أنشدني مهدي بن سابق :  
كنا على ظهرها ، والعيش ذو مهلٍ      والدهر يجمعنا ، والدارُ والوطنُ  
ففرق الدهر ذو التصريف ألفتنا      فالיום يجمعنا في بطنها السكن  
كذلك الدهر لا يبق على أحد      تأتي بأقداره الأيام والزمن  
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

حتى متى يبقى حليف الأمل      مستشعراً للدهر أحزانا  
فلا يرُدُّ الحزنُ شيئاً ، ولا      يُعَيِّبُ هذا الدهر إنسانا  
قد يُقبل الدهرُ بسرَّائه      طَوَّراً ، وقد يدبرُ أحيانا  
فاصبر على ما جرَّ من حادث      مازال غَدَّاراً وخوانا  
وأحسن الظنَّ بمن لم يزل      عليك مفضالاً ومثانا  
وأنشدني عمرو بن محمد قال : أنشدنا الغلابي لابن أبي عيينة المهلبى :

ماراح يوم على حى ولا ابتكرا      إلا رأى عبرة فيها إن اعتبرا  
ولا أنت ساعقنى الدهر فأنصرفت      حتى تؤثر في قوم لها غيرا  
إنَّ الليالي والأيام أنفسها      عن غيب أنفسها لم تكتب الخبرا

أنبأنا على بن سعيد المسكري ، حدثنا إبراهيم بن الجعيد ، حدثنا الحسن بن  
سعيد الجرجاني قال : سمعت أبا مريم الصلت بن كاتم يقول : كانت امرأة من  
بنى إسرائيل متعبدة ، وكانت تظفر كل سبت ، فبينما هي ذات يوم قد وضعت  
إفطارها بين يديها جعلت تقول : محب يحب حبيبه ينشغل بالأكل عن خدمة  
محبه ، فيوشك أن يقدم عليه رسول حبيبه وهو منشغل بأكله عن خدمته ، فلا  
تقر عينه في لقائه ، فكنت كذلك مدة لا تظفر . قال : ثم وضعت إفطارها بين  
يديها ، وجعلت تقول مثل ما كانت تقول ، وإذا شاب من ناحية البيت جميل



الوجه طيب الريح ، فقال : سلام عليك ورحمة الله يا حبيبة الله ، أو يا ولية الله ،  
قالت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قالت : يا ملك الموت ،  
أتأذن لي أن أسجد سجدة أناجي فيها ربي ، فإذا رأيته قد فطمت ذلك قبضت  
روحي ؟ قال : لك ذلك ، قال : فتحت إبطارها ، ثم وثبت فسجدت ، فقبض  
روحها في اجتهداها رضى الله عنها .

### ذكر الحث على لزوم ذكر الموت ، وتقديم الطاعات

حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان السعدي ، حدثنا يحيى بن أكرم ، ومحمود  
ابن غيلان قالا : حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي  
هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا ذكر هادم اللذات :  
الموت »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على الماقل أن يضم إلى رعاية ما ذكرنا  
من شغب العقل في كتابنا هذا لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك  
الاغترار بالدنيا في الأسباب كلها ، إذ الموت وحى دوائر بين الخلق ، وكأس يدار  
بها عليهم ، لا بد لكل ذى روح أن يشربها ويذوق طعمها ، وهو هادم اللذات ،  
ومنغص الشهوات ، ومكدر الأوقات ، ومزيل الماهات .

ولقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

أيا هادم اللذات ، مامنك مهرب  
رأيت النايأ قسمت بين أخس  
وأناشدني السكرى :

إن من عاش آمناً في سرور  
قاعده من سروره في غرور  
ما لن يذكر المقابر والمو  
ت إذا كان عاقلاً من سرور

حدثنا عمرو بن محمد الفلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قرىء على قصر هذه الأبيات :

هذه منازل أقوام عهدتهم في ظل عيش عجيب ، ماله خطر  
صاحت بهم حادثات الدهر ، فأنقلبوا إلى القبور ، فلا عين ، ولا أثر  
حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إبراهيم  
ابن عبد الملك ، حدثني علي بن سلمة الحلبي قال : سمعت أبي يقول : كان معاوية  
يقول « أنا والله من زرع قد استحصد » وتعي له عبد الله بن عامر بن كريز ،  
والوليد بن عقبة ، وكان أحدهما أكبر منه ، والآخر دونه ، فقال :

إذا سار من خلف امرئ وأمامه وأفرد من إخوانه ، فهو سائر  
حدثنا أحمد بن محمد بن مصعب الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد قال : سمعت  
عبيد الله بن مسلم بن زياد الهمداني قال : سمعت عمر بن ذر يقول :  
ورث فتى من الحلي داراً عن آبائه وأجداده فهدمها ، ثم ابتناها وشيدها ،  
فأقي في منامه قليل له :

إن كنت تطعم في الحياة فقد ترى أرباب دارك ما كنوا الأصوات  
أني تحس من الأكارم ذكركم ؟ خلت الديار وبادت الأصوات  
قال : فأصبح الفتى متناظراً قد أمسك عن كثير مما كان يصنع ، وأقبل على  
نفسه .

حدثنا عمر بن حفص البراز ، حدثنا إسحاق بن القتيبي ، حدثنا جعفر بن  
عمرو قال : سمعت مسعراً يقول :

وشقيد داراً ليسكن داره سكن القبور وداره لم يسكن  
وأشدني ابن زنجي البغدادي :

لو أنتى أعطيت سؤلى لما سألت إلا الغر والعافيه

فكم غنى قد بات في نعمة فسُلَّ منها الأيلةَ الثانية ؟  
حدثنا حمزة بن داود بن سليمان ، بالأبلة ، حدثنا ذهل بن أبي شراعة القيسي ،  
قال : حدثني سُكينة - وكانت علامة - قالت : قال لي أبو العتاهية : دخلت  
على هارون أمير المؤمنين ، فلما بُصِرَ بي قال : أبو العتاهية ؟ قلت : أبو العتاهية ،  
قال : الذي يقول الشعر ؟ قلت : الذي يقول الشعر . قال : عطني بأبيات شعر ،  
وأوجز ، فأنشدته :

لأنا من الموت في طرف ولا نفسي ولو تحننت بالحجاب والحرس  
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مدّرع منا ومترس  
ترجو النجاة ، ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليس  
قال : فخر متشكياً عليه ، أو كما قال .

حدثنا عمرو بن محمد : حدثنا العلاءي ، حدثنا أبو جعفر البغدادي قال : قرأت  
على باب قصر بالسند :

نزل الموت منزلاً سلب القوم وارمحلاً

فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : مات أهل القصر كلهم ، فأصبحوا وهذا الكتاب على  
الباب لا يدري من كتبه ، وأنشدني البسامي :

قد يصح المريض بعد إياس كان منه وبهلك العواد  
وبُصاد القطا فينجو سليماً بعد هلك ، وبهلك الصياد

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا ينسى ذكر شيء هو مترقب له ، ومنتظر  
وقوعه من قدم إلى قدم ، ومن لحظة إلى شجرة ، فكم من مكروم في أهله ، معظم  
في قومه ، مبجل في جبرته ، لا يخاف الضيق في الحيشة ، ولا الضنك في المصيبة ،  
إذ ورد عليه مذل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألقاه صريعاً بين الأجيّة  
وجيرانه ، مفارقاً لأهل بيته وإخوانه ، لا يملكون له نفعاً ، ولا يستطيعون عنه

دفعاً . فكلم من أمة قد أبادها الموت ، وبلدة قد عطلتها ، وذات بعل قد أرمها ،  
وذى أب أيتمه ، وذى إخوة أفرده .

فالمأقل لا يفتقر بحالة نهايتها تؤدى إلى ماقلنا ، ولا يركن إلى عيش مغبته ماذكرنا  
ولا ينسى حالة لا بحالة هو مؤاقبها ، وما لاشك يأتيه ، إذ الموت طاب حيث  
لا يعجزه القيم ولا ينفلت منه الهارب . ولقد حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ،  
حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم قال : سمعت  
الوضاح بن حسان يقول : سمعت ابن السكك يحدث قال : بينما صياد في الدهر الأول  
يصطاد السمك ، إذ رمى بشبكة في البحر ، فخرج فيها جمجمة إنسان ، فجعل  
الصيد ينظر إليها ويبكى ، ويقول : عزيز ، فلم تترك لعمرك ، غنى ، فلم تترك لنفسك  
فقير ، فلم تترك لفقرك ، جواد ، فلم تترك لجودك ، شديد ، فلم تترك لشدتك ، عالم ،  
فلم تترك لملكك ؟ برده هذا الكلام ويبكى .

وأنشدني الكريزي :

أموالنا لذوى الميراث نجعلها      ودورنا لخواب الدهر نبنيها  
والنفس تكلف بالدنيا ، وقد علمت      أن السلامة فيها ترك ما فيها  
فلا الإقامة تنجى النفس من تلف      ولا الفرار من الأحداث ينجيها  
وكل نفس لها زورٌ يصبُّها      من المنية يوماً أو يمسيها

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، قال : سمعت ابن واقد الدينى قال :  
حدثنا عبد المنعم الرياحى قال : فقد مالك بن دينار يوماً ، فقالوا : أين كنت .  
يا أبا يحيى ؟ قال : خرجت إلى الأبله ، قالوا : ما أحسنُ ما رأيت ؟ قال : ما رأيتُ  
شيئاً أعجبتُ به إلا أنى رأيت امرأة تصلى ، فقالوا له : يا أبا يحيى ، فما أعجبتُ  
شيء . رأيت ؟ قال : رأيت بالبحرين قصرأ مشيداً ، وإذا على بابهِ مكتوب :

طلبتُ العيش أسمدَ ناعيه      وعشتُ من المأيش والنعم

فلم ألبثَ وربَّ الناس طَوْرًا      سلبتُ من الأفارب والحجب  
وأشدنى الأبرش :

والنفوس وإن كانت على وجل      من النية آمال تفويها  
والمرءُ يئسها ، والدهر يقبضها      والنفس تنشرها ، والموت يطويها  
أنا أنا حمزة بن داود بن سليمان بالأبلة ، حدثنا الهدادي ، حدثنا جليس الكلبي  
عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : لقيني عمران بن حطان فقال لي : يا أحمى ،  
إني عالم بخلافك ، ولكنك رجل تحفظ ؟ فاحفظ عني هذه الأبيات :  
حتى متى نسق النفوس بكأُمرها      ريب المنون ، وأنت لاه ترتع ؟  
أفقد رضىت بأن تعلق بالذئ      وإلى النية كل يوم تدفع ؟  
أحلام نوم ، أو كظل زائل      إنَّ الليب يملها لا يخذع  
فترودنَّ ليوم ففرك دائباً      واجمع لنفسك لا لتفرك تجمع  
حدثنا محمد بن نصر بن نوفل المروزي ، قال : سمعت أبا داود السنجي يقول :  
خرج أبو معاذ النخعي يوماً على أصحابه فقال : إنه قد نُعيت إلى نفسي البارحة ،  
أنا أني أت فقال :

يا أيها الإنسان ، إنك ميتٌ      عما قليل ، قم لنفسك واقعد  
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى      وكأن ما هو كائن فكان قد  
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي كثيراً  
ما يقول :

تمتُّ رجال أن أموت ، وإن أمت      فذلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحد  
فقل للذي يبق خلافاً الذي مضى :      تهيأ لأخرى مثلها فكان قد  
حدثنا أحمد بن محمد الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إسماعيل  
ابن عبد الله المصلي قال : أُنشدنا رجل ونحن في المقابر :

ألا يا عسكر الأحياء ، هذا عسكر الموتى  
أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظرو الكبرى  
يحثون على الزاد وما زاد سوى التقوى  
يقولون لكم : جدوا فهذا آخر الدنيا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا خلق آدم وذريته من الأرض ،  
فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم لاجأه نزل  
المنية بهم ، وتقنينهم عن السبي والحركات ، مع تعطل الجثث والآلات ، ثم تبعهم  
إلى الأرض التى منها خلقهم ، حتى تأكل لحومهم ، كأأكلوا ثمارها ، وتشرب  
دماءهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها ، فالتقى أول  
منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوى لمن مهد فى دنياه  
لقبره ، وقدم منها لآخرته ، فكم عقرت الأرض من عزيز وأقصدت الفير من أنيس .

حدثني محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني محمد بن  
عباس ، حدثنا إبراهيم بن يزيد قال : رأيت أعرابيا وقف على مقبرة وهو يقول :

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون ، والقبور تزيد  
وما إن ترى داراً لحى قد أقفرت وقبرا لبيت بالفناء جديد  
فهم جيرة الأحياء ، أما محلهم فدان ، وأما الملقى فبيد

وأنشدني أحمد بن عبد الله السكرجى لعمر بن شبة فى نفسه :

يا ابن سيعين وعشير وثمانى كاملات  
غرضاً للموت مشغو لا يحد منى وهات  
ويك ، لاتعلم ما تلتقى به بعد المات  
من صفار موبقات وكبار مهلكات  
يا ابن من قدمات من آبائه والأمهات

هل ترى من خلد من ذى طماعة وعُتاة ؟  
إن من يتتاع بالدريسن خبيسات الحياة  
لغبي الرأي محسوف بطول الحشرات

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلاحي ، حدثنا شعيب بن واقد المري عن  
عبد المنعم الرياحي قال : سمعت صالح المري يقول : دخلت المقابر يوماً في شدة الحر  
فنظرت إلى القبور خامدة ، كأنهم قوم صموت ، فقلت : يا سبحان الله ! من يجمع  
بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها ، ثم يحبيكم وينشئكم من طول البلى ؟ قال :  
فتأداني مناد من بين تلك الحفر : يا صالح ( ٣٠ : ٢٥ ) ومن آياته أن تقوم السماء  
والأرض بأسرها ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم مخرجون قال : فسقطت  
والله منشيئاً على .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرنا البسير من الكثير من الآثار ، والتقليد  
من الجسيم من الأخبار ، في كتابنا هذا بما نرجو أن القاصد إلى سلوك سبيل ذوى  
الحجى ، والسالك مقصد سبيل أولى النهى ، يكون له فيها غنية إن تدبرها  
واستمعها ، وإن كنا تنكبنا طرق المسانيد ، ونخرج الحكايات ، وأناشيد الأشعار ،  
إلا ما لم نجد بدا من إخراجها ، كالإيماء إلى الشيء ، والإشارة إلى القصد ، جعلنا  
الله ممن دعت به تبشير التوفيق إلى القيام بحقائق التحقيق إنه منتهى الغاية عند رجاء  
الزومين ، واللان على أولياته بمنازل القرين .

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين الطيبين . والحمد لله  
رب العالمين .

وجد في النسخة الأصلية ماصورته :

فرغ من نسخته بعون الله ورحمته العبد الفقير إلى عفوره أحمد بن محمد بن  
سالم بن جناب المنبجي ، بالرها المحروسة ، يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم سنة  
ثمان وعشرين وستمائة ، ختم الله له بخير ولوالديه ولجميع المسلمين ! .

---



## فهرس

### روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

٢٨	ذكر استحباب افشاء السلام	٣	ترجمة الإمام ابن حبان
	واظهار البشر والتبسم	١٣	مسند الكتاب
٨١	ذكر ما أبيح من المزاح للمرء	١٤	مقدمة »
	وما كره له منه	١٦	ذكر الحث على لزوم العقل
٨٥	ذكر استحباب الاعتزال من		وصفة العقل السيب
	الناس عاماً	٢٧	ذكر اصلاح السرور بلزوم
٩٠	ذكر استحباب المزاحاة للمرء		تقوى الله تعالى
	مع الخاص	٣٤	ذكر الحث على لزوم السلم
٩٨	ذكر كراهية المعادة للناس		والدأومة على طلبه
١٠٤	» الحث على محبة الأخيار	٤٣	ذكر الحث على لزوم الصمت
	والزجر عن عشرة الأشرار		وحفظ اللسان
١٠٨	ذكر كراهية التلون في الوداد	٥٣	ذكر الحث على لزوم الصدق
	بين المتواخين .		ومجانبة الكذب
١١٣	ذكر ائتلاف الناس واختلافهم	٥٨	ذكر الحث على لزوم الحياء
١٢٠	» الحث على زيارة الإخوان		وترك الفحة
	وإكرامهم	٦٨	ذكر الحث على لزوم التواضع
١٢٤	ذكر صفة الأحق والجاهل		ومجانبة الكبر
١٣١	» الزجر عن التجسس	٦٩	ذكر استحباب التعجب إلى
	وسوء الظن		الناس من غير مقارفة المآثم
١٣٥	ذكر الحث على مجانبة الحرص	٧٣	ذكر استعمال لزوم المداراة وترك
	للماقل		للمداهنة مع الناس

٢٢٥ ذكر الحث على لزوم الرفق في أموال وكراهية المجلة فيها	١٣٩ ذكر الزجر عن التماسد والبغضاء
٢٢٩ ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم المصاحبة	١٤٥ ذكر الحث على مجانبية النضب وكراهية المجلة
٢٣٤ ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه	١٤٨ ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس
٢٤٠ » الحث على إقامة المروءات	١٥٢ » الحث على مجانبية المسألة وكراهيتها
٢٤٦ باب الحث على لزوم السخاء ومجانبة البخل	١٥٦ ذكر الحث على لزوم القناعة
١٥٤ ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان	١٦١ الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق
٢٥٨ ذكر استحباب التفرج عن الناس بقضاء الخواص	١٦٥ ذكر الحث على لزوم الرضا بانشدائد والصبر عليها
٢٦٥ ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المال	١٧٤ ذكر الحث على السقوع الجاني
٢٧١ ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام	١٨٠ » حصة الكرم والثمن
٢٧٦ ذكر الحث على المجازاة على الصنائع	١٨٥ » الزجر عن قبول قول الوشاة
٢٨١ ذكر الحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية	١٩١ » استحباب قبول الاعتذار من المعتذر
٢٩١ ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها	١٩٦ ذكر الحث على لزوم كتمان السر
٢٩٣ » الحث على لزوم ذكر الموت وتقديم الطاعات	٢٠٣ » الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة
(تم الفهرست)	٢٠٧ مطلب وصية الخطاب بن العلى المخزومي ابنه
	٢١٣ ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة
	٢١٨ » الحث على لزوم الحلم عند الأذى